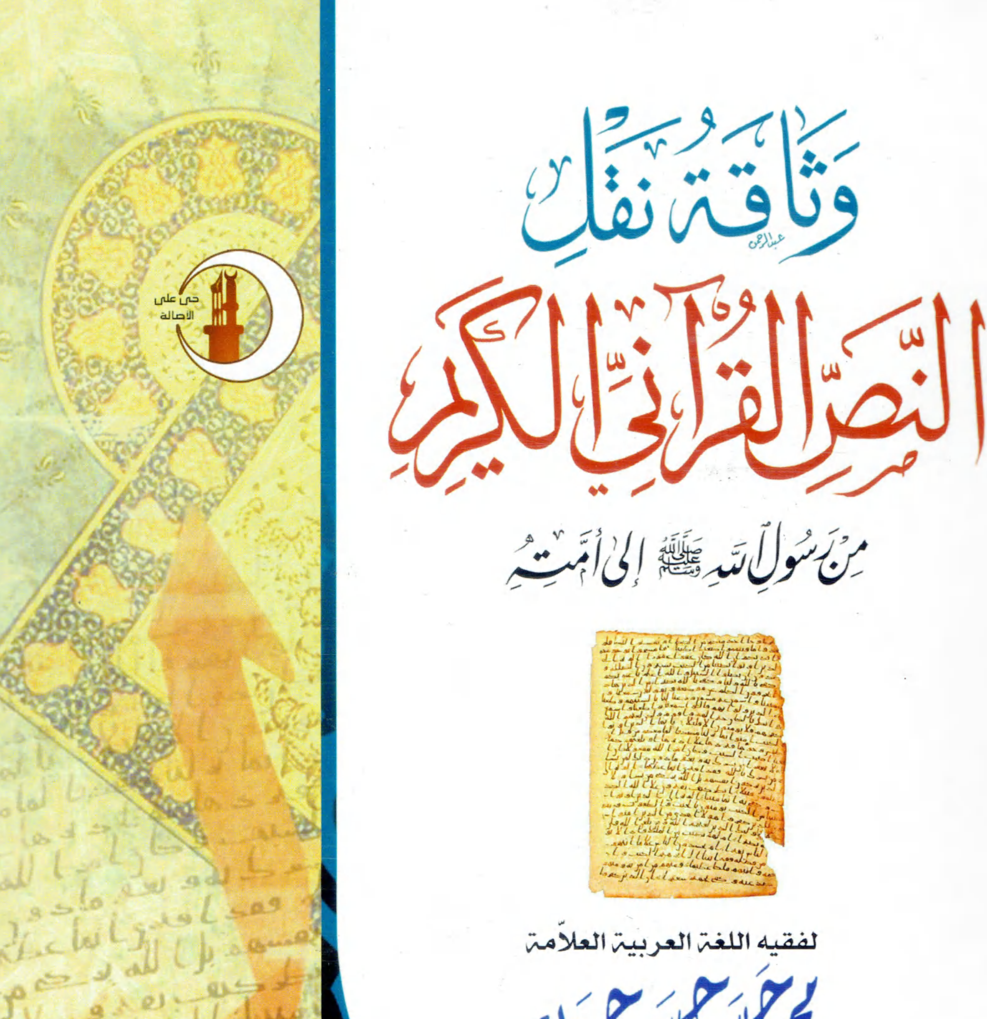


وثاقة نقل النص القرآني الكريم

من رسول الله ﷺ إلى أمته

لفقيه اللغة العربية العلاّمة

محمد حسن حسن جبل

أستاذ أصول اللغة العربية بجامعة الأزهر

المتوفى سنة ١٤٣٦ هـ - رحمه الله

Editions Al-Adab 1923

42 Opera Square - Cairo Tel : (202) 23900868

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة . ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

وثاقة

نقل النص القرآني الكريم

من رسول الله ﷺ إلى أمته

الأستاذ الدكتور

محمد حسن حسن جبل

أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر..

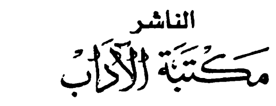
العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة

حاليا أستاذ غير متفرغ بكلية القرآن الكريم



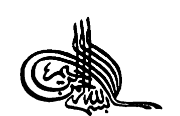
42 Opera square - Cairo – Egypt

الناشر



٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨

البريد الإلكتروني e.mail: adabook@hotmail.com



الناشر

مكتبة الآداب

علي حسن

الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠١٠م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

جبل ، محمد حسن حسن.

وثاقة نقل النص القرآني الكريم

من رسول الله ﷺ إلى أمته/

محمد حسن حسن جبل. – ط١.-

القاهرة: مكتبة الآداب ، ٢٠٠٩.

٣٦٨ ص ؛ ٢٤ سم.

تدمك ١ ١٤٥ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ – القرآن – جمع وتدوين

أ – العنوان

٢٢٢

عنوان الكتاب: وثاقة نقل النص القرآني الكريم

الأستاذ الدكتور: محمد حسن حسن جبل

رقم الإيداع: ٢١٨٢٥ لسنة ٢٠٠٩م

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 978 - 977 – 468 - 145 – 1

مكتبة الآداب

(علي حسن)

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

هاتف: ٢٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢) –

e-mail: adabook@hotmail. com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾

[سورة القيامة / ١٧]

وقال الله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

[سورة الحجر / ٩]

الإهداء

إلى كلية القرآن الكريم بطنطا

الكلية التي رشدت جامعة الأزهر بإنشائها، فتداركت بها الجامعة آصَلَ جوانب رسالتها: دراسة النص القرآني الكريم وقراءاته، وكثيرًا من الدراسات المنصبة عليه، واستدركت هي من العلوم القرآنية الأصيلة عشرة علوم أو أكثر[1]، تلك العلوم

---

(1) العلوم التي لا تدرس إلا بكلية القرآن الكريم (من واقع اللائحة الداخلية لكلية القرآن الكريم)

١- القراءات المتواترة نظريًّا وعمليًّا.

٢- التحرير والعزو (دراسة الأوجه القرآنية المترتبة على جمع القراءات ونسبة كل وجه إلى قائله – روايةً، ومن الكتب - وتحرير أوجه الخلاف، وتطبيق ذلك عمليًّا).

٣- القراءات الشاذة.

٤- تاريخ علم القراءات، ورواة القراءات.

٥- الوقف والابتداء والفواصل.

٦- توجيه القراءات.

٧- تاريخ المصحف.

٨- الرسم العثماني والضبط.

٩- الدلالات اللغوية والأساليب القرآنية.

١٠-دفع المطاعن عن القرآن الكريم، وعن القراءات، وعن القرّاء.

هذا إلى دراسة «الأصوات اللغوية»، و«اللهجات العربية»، و «إعجاز القرآن والبلاغة القرآنية»، و«علوم القرآن»، و«التفسير»، و«مناهج المفسرين»، و«الحديث الشريف وعلومه»، و«النحو وإعراب القرآن»، و«تصريفه»، و«التوحيد»، و«تفسير آيات الأحكام». و«السيرة النبوية في القرآن».

التي أغفلتها الخطط الدراسية للكليات الدينية بالجامعة (: أصول الدين، والشريعة، واللغة العربية).

وفق الله مسيرتها، وقلع كل عقبة تعترض سبيلها، وأبلغ سناها مشارق الأرض ومغاربها. اللهم آمين.

الأستاذ الدكتور
محمد حسن حسن جبل
أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر..
العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة
حاليا أستاذ غير متفرغ بكلية القرآن الكريم



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه وتحياته ورحماته وبركاته على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،

فقد نَبَتت فكرة هذا الكتاب عندما كلفتني كلية القرآن الكريم – رعى الله مسيرتها العلمية – بتدريس مادة دفع المطاعن عن القراءات القرآنية. وكان أخبثَ هذه المطاعن هو ما بثه المستشرق اليهودي إجناتس جولد تسيهر في صدر كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) من مطاعن تنصب على نشأة القراءات القرآنية. وقد مَسَّتْ مطاعنُه تلك أمورًا كثيرة منها: الادعاء بأن القرآن أَخَذَ في نصه وقراءاته مما يُسَمَّى الكتاب المقدس الذي بأيدي اليهود والنصارى، ومنها وَثاقةُ نقل النص القرآني الكريم، ونشأةُ القراءات القرآنية، ورسمُ المصحف، ووحدةُ النص القرآني، وحديثُ الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، ومنها علاقةُ النص القرآني الكريم باللوح المحفوظ...

وقد أردت أن أحيل على مؤَّلف شاف في كل من هذه الأمور، لأتفرغ للرد على مطاعن المستشرق المذكور استنادًا إلى ما في تلك المؤلفات. وراجعت ما أتيح لي منها، فوجدت أن الإحالة إليها لا تشفي – عدا بعض ما كُتِب في رسم

المصحف، لما يشوب تناولها لبعض الجوانب الدقيقة: من إجمال لا يمكن أن يغني عن التفصيل في مواجهة الطاعنين على القرآن وقراءاته، ومن تطوع بمرسَلات حماسية يُتَوهم منها ضرورة اعتقاد المسلم إياها – في حين أنها لا ينبغي أن تُحمَل على عقيدة المسلم أصلًا، ومن تَغاضٍ عن المواجهة في مسائل أو جوانب منها أحيانًا.. إلى نحو ذلك، فعزمت – وبالله العون ومنه التوفيق – على أن أُعِدّ بحوثًا في تلك الموضوعات، أو أُكمِل ما كنت بدأته منها قَبْلًا، لتكون – مع غيرها من بحوث الذين سبقوا بمؤلَّفات فيها – ذَخيرة مُرْصدة يَستمِدّ منها ويَسْتَنِد إليها كلُّ من أراد أن يَعْلَمَ حقيقة الأمر في كل منها، أو يردَّ مطعنًا على القرآن أو الإسلام فيها. والتزمت – مع ذلك أن أواجه – بمعونة الله تعالى وتوفيقه – مطاعنَ جولد تسيهر وغيرِه على القراءات وغيرها بما يوازي تلك الذخيرة المرصدة أولاً بأول.

إن أحد ما قصدت إليه بكتاب هذا الذي بين يديك أيها القارئ العزيز هو تزويد الباحث المسلم بحجة علمية راسخة الأساس تُوَثِّق سلامة وقوع النقل للنص الكريم من رسول الله ﷺ إلى الأمة وصحتَه ودقتَه مشافهةً وتدوينًا خطيًّا، مع تفصيل صور هذا النقل، وتوثيقها، وبيان مدى سعة كل صورة، كلما أتاحت المصادر ذلك كله. وذلك ليكون الباحث المسلم مسلَّحًا بالأدلة العلمية في مواجهة الذين يطعنون في الإسلام والقرآن من هذا الجانب. وقد ميزت تلك الصور في مجالين: الأول شِفاهي، والآخر كتابيّ أي خطيّ:

فأما عن المجال الأول فقد ذكر الإمام الذهبي مؤرخ الإسلام عددًا من الصحابة الذين تلقَّوْا القرآن عن النبي ﷺ عَرْضًا، وجعلهم الطبقة الأولى،

ووضع لتعيينهم ضابطًا ذا شِقّين، فبلغوا سبعة من الصحابة هم الذين تحقق فيهم ضابطُه. ولما بحثت في أمر الذين تلقوا القرآن من رسول الله ﷺ عَرْضًا – مع التزام ضابط الذهبي استدركت عليه مَنْ أبلغوهم إلى اثنى عشر صحابيًا على الأقل تحقق فيهم ذلك الضابط صراحة، وسيرى القارئ أن هناك مع هؤلاء الاثنى عشر مَنْ تَحَقُّقُ الضابط فيه مُستَيَقَنٌ، ولكنّ التزامنا بوجود التصريح في المصادر التاريخية بتحقق الضابط هو الذي جعلنا نذكر أنهم اثنا عشرَ فحسب.

ثم ذكر الذهبي طبقة تالية للطبقة الأولى تلقَّت القرآنَ عنها عَرْضًا أيضًا – وضع الذهبي لتعيينهم ضابطًا شبيهًا بما وضعه لتعيين رجال الطبقة الأولى. وبلغ رجال هذه الطبقة عنده اثنى عشر قارئًا ما بين صحابيّ وتابعيّ، ولما بحثت الأمر واستدركت بَلَغوا – مع التزام ضابط الذهبي أيضًا – أربعة وعشرين. وقد أضفت – في المعلومات القرآنية عن كل مَن استدركتهم – بيانَ موقعه في أسناد القرّاء العشرة الذين اعتمدتهم الأمة.

ثم أتيت بمبحث لم يسبق إليه أحد في ما اطلعت عليه هو بيانُ صور تبليغ الرسول ﷺ القرآن إسماعًا بلا عَرْض، ويغلب فيه الطابع الجماعي، وذلك في مقابل طبقتي العَرْض الفردي اللتين بدأ الذهبي بهما كتابه واستدركنا عليه فيهما ما استدركنا، وقد بلغت تلك الصور تسعًا كان التلقي فيها عن النبي ﷺ مباشرة – وذلك بالإضافة إلى خمس كان التلقي فيها بواسطة صحابة بلّغوا عن النبي ﷺ وبأَمْره. ثم جئت بطبقة الذين حفظوا القرآن كله عن ظهر قلب في حياة النبي ﷺ، ثم بمقرئي العامة، ثم بشواهد استفاضة قراءة النص الكريم بين جمهور المسلمين الأوائل من عصر النبي ﷺ إلى كتابة المصاحف العثمانية، ثم بفصول

مهمة عن الأئمة القراء العشرة الذين اعتمدت الأمة قراءاتهم. وكل من هذه السبل يُعَدّ وحدَه سبيلًا علميًّا وثيقًا لانتقال النص القرآني إلى الأمة.

وأما عن الرافد الكتابيّ الخطيّ فقد فصّلت الكلام في **الكَتَبات الثلاث** لنص القرآن الكريم: في العهد النبوي، وفي عهد أبي بكر، وفي عهد عثمان رضي الله عنهما. وسيجد القارئ في تفصيل الكلام عن الكَتَبات الثلاث إضافات قيمة منها: فورية التدوين الخطي، وقيمته، ومعنى (الحرف) الذي كتبت به المصاحف العثمانية، وما يمثله هذا (الحرف)، ومصير المصاحف الخاصة بعد كتابة المصاحف العثمانية، ثم فصولًا عن مسيرة المصحف، وعن الرسم العثماني، وعن مصير المصاحف العثمانية. والفضل والمنة لله تعالى.

وأخيرًا فإنه لا يخفى أن طبيعة موضوع توثيق نقل النص القرآني الكريم إلى جمهور المسلمين هي طبيعة تاريخية، فقِوامُ الموضوع رواياتُ الذين عاصروا الوقائع ووصفوها، فيكون منهجُ المعالجة وسَوْقِ التفاصيل هو ذكر تلك الروايات، ومناقشتها، وتحرير الوقائع التي حدثت استخلاصًا منها. وهذه الطبيعة التاريخية للموضوع غيرُ طبيعة الموضوعات القائمة على الشرح البحت للنصوص كتفسير القرآن الكريم، وشرح الحديث الشريف، والشعر، وغيرُ الموضوعات القائمة على الاستقراء، أو على إجراء التجارب، أو على تشقيقات فكرية لتبين جوانب عقيدة أو هيكل رياضي أو منطقي أو استيفائها. ومن هنا فقد اتخذت الروايات قِوامًا لكل ما قررته، مع التدقيق في سند الرواية أو متنها إلى أن أطمئن لها تمامًا.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل قبولا حسنًا، وأن يفتح له

قلوب الباحثين في مجال الدراسات القرآنية، وأن يرزقه الذيوع، وأن ينفع به كلَ من قرأه، ويقيّض لما يمكن أن يكون فيه من زَيْغ مَنْ يقومه. اللهم آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإيمان وإحسان، والحمد لله رب العالمين.

طنطا في: رجب / شعبان ١٤٢٢هـ
أكتوبر سنة ٢٠٠١م

أ.د. محمد حسن حسن جبل
أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر
أستاذ غير متفرغ
بكلية القرآن الكريم بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه. وبعد فهذه هي الطبعة العامة الأولى لهذا الكتاب المبارك وفيها إضافات كثيرة، وتنقيح لما احتاج إلى ذلك. وقد عدّلت في بعض كلمات في مقدمة الطبعة الخاصة لتصلح لهذه الطبعة أيضًا. وأسأل الله القبول الحسن. اللهم آمين.

أ.د محمد حسن حسن جبل
طنطا في ٢٤ من شهر رمضان سنة ١٤٣٠هـ
١٤ من سبتمبر سنة ٢٠٠٩م



الباب الأول

النقل الشفاهي لنص القرآن الكريم من النبي ﷺ إلى أمته

❑ هذا الباب يشمل سبل الانتقال الشفاهي وأولها التلقي والعرض: فنعرّف بهما، ثم نذكر طبقتين من المتلقين العارضين، ثم صور التبليغ الجماعي، ثم طبقة الذين استظهروا (:حفظوا) النص القرآني كله في حياة النبي ﷺ، ثم طبقة مقرئي العامة، ثم صورة استفاضة قراءة القرآن في الأمة.

وقد عقدنا فصلًا لكل مما سبق، وخصصنا فصلًا في أول الباب لمعنى التلقي والعرض، وفصولًا في آخره لأئمة القراء الذين اعتمدتهم الأمة، وأسنادهم، وسرّ تعدد القراءات.

ففصول هذا الباب كما يلي:

الفصل الأول: معنى التلقي والعرض.

الفصل الثاني: طبقة العارضين على النبي ﷺ مباشرة.

الفصل الثالث: طبقة العارضين على الذين عرضوا على رسول الله ﷺ مباشرة.

الفصل الرابع: صور تبليغ النص القرآني تبليغًا شفاهيًا بغير العرض (جماعيًا).

الفصل الخامس: الذين استظهروا (= حفظوا) القرآن كله في حياة النبي ﷺ.

الفصل السادس: مقرئو العامة.

الفصل السابع: صورة استفاضة قراءة القرآن الكريم في الأمة.

الفصل الثامن: الأئمة العشرة ومعنى نسبة القراءات إليهم وأساس تخصيصهم.

الفصل التاسع: أسناد وصول قراءة القرآن الكريم إلى الأئمة العشرة الذين اعتمدتهم الأمة.

الفصل العاشر: سر تعدد القراءات ومداه.

الفصل الأول

(معنى التلقي والعرض في حفظ القرآن الكريم)

نقصد بحفظ القرآن الكريم هنا أن يكون نصه – كما أُنْزِل – مستظهَرًا في قلوب الأمة المحمدية. ومعنى استظهار القرآن: حفظه عن ظهر قلب، بحيث يقرؤه المستظهِر دون تطلع في المصحف أو تلقين.

ونظرًا إلى أن النص القرآن مُنزَّل من عند الله تعالى، فإنه لم يكن متاحًا للاستظهار إلا بتلقيه عن البشريّ الوحيد الذي أُنزِلَ عليه القرآن ليبلّغه إلى سائر البشر (وهو سيدنا محمد ﷺ). ونظرًا إلى قداسة النص الكريم وخَطَره العظيم، من حيث إنه سيكون محور التشريع لحياة البشر = فقد لزم أن يقترن في الحَلْقات الأُولى لتلقيه بَعرْض يوثِّق سلامة ذلك التلقي. من هنا فسنقف وقفه لبيان معنى «**التلقي**»، وأخرى لبيان معنى «**العرض**».

(معنى التلقي):

أَخْذُ القرآن الكريم **تلقيًا** معناه الاستماع إلى من يتلوه بصوت يُسْمَعُ بوضوح بُغيةَ استظهاره بمثل ما تُلِي. فالتلقي هنا استقبالٌ بالسماع، وقبولٌ، مع حرص شديد على وَعْي المسموع – كما يؤخذ من صيغة التفعّل. وقد كان هذا هو السبيلَ الأولَ والأساسيّ في تبليغ القرآن للناس وتحصيل الناس القرآن – كما أنزله الله تعالى – على ما سيأتي.

(أخذ الرسول القرآن تلقيًا من الله عز وجل):

أوحى الله القرآن الكريم إلى سيدنا محمد ﷺ فأخذه ﷺ تلقيًا كالتلقي الذي وصفناه: إما بسمعه من سيدنا جبريل عليه السلام إلى قلبه ﷺ، وإما بقلبه ﷺ مباشرة – وهذا قريب إلى التلقي بالسمع، لأنه سكب **للنصّ الكريم** في القلب، وليس من جنس رؤية الصُّوَر بالعين، ولا هو من جنس قراءة المكتوب كما في حالة إنزال التوراة على موسى عليه السلام ألواحًا مكتوبة. قال تعالى لمحمد ﷺ في بدء الرسالة ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: ٥]. وقال أيضًا: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦] وقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦].

□ **أما كيفية ذلك التلقي فقد ذُكِر منها:-**

أ – أن يتَلَقَّى النبيُّ ﷺ القرآن من جبريلَ عليه السلام (وجبريلُ عن رب العزة سبحانه وتعالى). وقد جاء في عدة روايات صحيحة لأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف قوله ﷺ: «أقرأني جبريلُ ....»[1]. وإقراءُ جبريلَ نبيَّنا محمدًا القرآنَ قد يكون بالكيفية التي ذكرها النبي ﷺ في حديثه عن كيفيات الوحي «وأحيانًا يتمَثَّلُ لِيَ الملَكُ رَجُلاً فيُكَلِّمُني فأَعِي ما يقول»[2] فهذه الصورة للتلقي كصورة التلقي البشري، أي نَقْل البَشَر العبارة عن بَشَر سماعًا منه – كما هو واضح. ومن هذه الصورة ما جاء من قراءة جبريل أوائل آيات سورة العلق

---

(١) ينظر تفسير الطبري تحـ الشخين أحمد ومحمود شاكر (المعارف) ١/ ٢٩، ٣١ –برقمي ١٩، ٢٢.

(٢) ينظر صحيح البخاري / أوله / بدء الوحي / الحديث رقم ٢.

أمامه ﷺ في غار حراء، فإنه ﷺ حفظها بهذا[1].

ب - كما ذُكِرت كيفية أخرى هي أن يأتيَه الوحيُ في مثل صلصلة الجرس فتستولي على قلبه حالةُ الوحي، ثم تَفْصِم عنه وقد وَعَى ﷺ ما أُوحِيَ إليه. وهذه الكيفية هي التي جاءت في قوله ﷺ عن كيفية أخرى - للوحي «أحيانًا يأتيني مثلَ صَلْصَلة الجرس، وهو أشدُّه عليّ فيفصمُ عني وقد وَعَيْت عنه ما قال»[2] فهذا تَلَقٍّ بالسكب في القلب. ولئن كان ذكر اسم جبريل - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧] وقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] يوجّه الآيتين إلى الكيفية الأولى، فإن ذكر القلب فيهما يجعلهما تتسعان للكيفية الثانية. وليس تفصيل الكيفية[3] شُغلَنا هنا.

□ ويجدر بنا هنا أن نُنَوّه بما سجله القرآن الكريم من حرص الرسول ﷺ أعظم الحرص على وَعْي القرآن وترديد ما يتلقاه منه بلسانه أوّلًا بأوّل حتى تسجّلَه ذاكرتُه ويستقرَّ في قلبه، وأن الله سبحانه وتعالى نهاه عن ذلك نهي تكريم مقرونًا بوعدين كريمين يكفل له أحدهما **أُولَى مراحل حفظ القرآن حتى لا يتفلت منه**، ويكفيه ﷺ مشقة الترديد المتلهف المكروب حرصًا على النص

---

(١) السابق نفسه حديث رقم ٣.

(٢) نفسه رقم ٢.

(٣) ينظر الإتقان للسيوطي في كيفيات الوحي وهو فصل من النوع السادس عشر. (عالم الكتب ١/ ٤٤).

القرآني، كما يكفيه الآخرُ شَغْل قلبه ببيانه. فقال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩] وقال تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعلى: ٦، ٧].

□ هكذا بدأ أمر القرآن مع سيدنا محمد ﷺ وأمته: أوحاه الله تعالى إليه محوطًا بمِنَّةِ المصدر القُدْسِيّ والمحتوَى النُّورانيّ، ومصحوبًا بوعد الحفظ والبيان، فتلقاه ﷺ بكل قلبه وروحه وجوارحه حرصًا **وعرفانًا وامتنانًا – مع العزيمة التامة على النهوض بالتكليف.**

(توجيهُ الله تعالى نبيه إلى تبليغ القرآن إسماعًا لقومه ليأخذوه تلقيًا):

□ نعود إلى تَلَقّي الأمة المحمدية القرآن الكريم عن النبي ﷺ بصورة يتحقق فيها معنى التلقي الذي بيّناه فنقول: إن الله تعالى أَمَر نبيه ﷺ بتبليغ القرآن الكريم إلى الناس بصورة يتحقق فيها أصلُ معنى التلقي، وهو استماع ما يُلْقَى على ما ذكرناه، وتتسع لما هو بمعناه: أي بالفعل «تلا» مُعَدًّى بالحرف «عَلَى» – وهو تركيب يعني القراءة بصوت مرتفع لإسماع آخرَ أو آخرين. مثل: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٢٧] ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ [الأعرف: ١٧٥] ومن هذا القبيل: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ..﴾ [الأنعام: ١٥١] وكذلك: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟

ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ (أي عليكم) ﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦ ﴾ [النمل: ٩٢] ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [الرعد: ٣٠] ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١٠٦] وهناك عدة آيات أخر بصورة **الأمر الصريح** بتلاوة القرآن عليهم[1].

□ هذا إلى جانب ما جاء بصيغ خبرية ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ [الأنفال: ٢] ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴾ [الكهف: ٨٣] ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾ [البقرة: ١٥١] ﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٠١] ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ ﴾ [الأنفال: ٣١] وهناك آيات أُخَر كثيرة، وكلها يؤكد على هذا السبيل من سبل تبليغ القرآن[2].

□ وأَخْذًا بهذا التوجيه الإلهي للنبي ﷺ بأن يتلو القرآن على أمته، كانت وسيلته ﷺ الأُولَى والأساسية لتبليغ القرآن إلى الأمة هي إسماعه إياهم القرآن كما أُنْزِلَ بصَوْته فورَ نزوله عليه ﷺ - وقد ذكرنا ذلك قبلًا، وقد طبّق الرسول ﷺ ذلك في كل فرصة مناسبة - كما سيتبين في فصل خاص بذلك.

---

(١) في سورة يونس ٧١، الشعراء ٦٩، وفي العنكبوت ٤٥ ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ ﴾ (أي دون «على»).

(٢) منها آل عمران ١٦٤، الجمعة ٢، الطلاق ١١، البينة ٢، آل عمران ١٠١.

❑ ونُذكّر هنا بأمور:

أ – أولها أن النبي ﷺ كان أُمّيًا لا يقرأ المكتوب، فكان التبليغ بالإسماع الصوتي هو وسيلته المناسبة للتبليغ.

ب – وأن أَوَّلَ جُمْهور من أمته التي بُعِث إليها – أعني ذلك الجمهور الذي كان هو الأقربَ إليه والمحيطَ به في أول بعثته، كان هو العرب، وكانت الأمية تعمّهم جميعًا إلا من ندر منهم، فكان إسماعُهم القرآن وتبليغهم إياه تلاوةً عليهم هو المناسب أيضًا.

جـ – وأنه مع توفر هذين الداعيين إلى التبليغ إسماعًا، فإنه ﷺ اتخذ كُتَّابًا يكتبون له الوَحْيَ ليسجلوا ما أُنْزِل من القرآن فورَ نزوله وكما أُنْزِل، حتى لا يظل القرآن رَهْنًا لذَواكِرِ البَشَر بشروط ذلك من حياتهم، وحضورهم، وإيمانهم، وضبطهم، واستجابتهم.

د – وأنه ﷺ احتفظ للإبلاغ إسماعًا أي تلاوةً بمرتبته الأُولَى حتى بعد الاطمئنان على تدوين النص كتابة – وسنرى شاهد ذلك الاحتفاظ الآن.

الإقراء والعرض

الصورة المثلى لتحقيق التلقي بمعناه الكامل هي الإقراء والعرض، لأنها هي أَقْوَى المتاح الشِّفاهيّ للتبليغ، ذلك أن أهم طرفي عملية التلقي هنا – وهو رسول الله ﷺ – هو **الواسطة البشرية الوحيدة لإبلاغ القرآن إلى الناس**. وكان ﷺ أميًا لا يقرأ المكتوب، فلا بد أنه ﷺ بَلّغهم القرآن إقراءً مشافهة.

❑ والمقصود بالإقراء هنا أن يُقْرِئ الرسولُ ﷺ الصحابيَّ ما أنزله الله عليه

ﷺ - أي يجعله يقرؤه، وذلك بأن يقرأ النبي ﷺ **أَوَّلًا**: على الصحابي (أي يُلْقِي عليه تلاوة) ما أنزله اللهُ عليه، فيَعِيه الصحابيُّ، ثم يقرأُ الصحابيُّ ما تُلِيَ عليه مطابِقًا لما سمعه[1].

وقد نُصَّ على إقراء الرسول ﷺ بعض أصحابه مرات جِد كثيرة وبخاصة في روايات حديث الأحرف السبعة[2]، أما في قراءة النبي ﷺ قراءة عامة بين المسلمين للإبلاغ والتعليم أيضًا فسوف نعقد لها فصلًا خاصًا.

❑ والمقصود بالعَرْض هنا أيضًا أن يقرأ الصحابيُّ أمامَ النبي ﷺ ما سبق أن وعاه من القرآن أخذًا عنه ﷺ في المجلس نفسه أو في مجلس قبله، وذلك للتحقق من صحته عباراتٍ وكلماتٍ بأعيان حروفها مع ضبط كل حرف بحركته، توثيقًا لذلك كله، وتثبيتًا للحفظ عليه. وسيأتي مزيد من القيود بعد أن نقف وقفة مع «العرض» من حيث هو مصطلح قِرائي، لأن العَرْض هو قِوام التلقي الذي هو الوسيلة العظمى لانتقال القرآن الكريم من الرسول ﷺ إلى أمته، ثم مِنْ كل طبقة أو «قرن» من هذه الأمة المباركة إلى الطبقة أو القرن الذي يليه. وهكذا إلى ما شاء الله تعالى. وسنرى في هذه الوقفة توثيقًا لما سبق من تعريف العرض - بالإضافة إلى ما يجدّ من قيود فيه.

---

(١) ينظر «جمال القراء» للسخاوي (تحـ د. علي حسين البواب) ٢/ ٤٤٦ و٤٤١.

(٢) ينظر تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٢١ - ٤٦ - أرقام ١٢، ١٥، ١٦، ٢٥، ٢٦ - مثلاً. وكذلك المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي (طيار) ٧٧ - ٩٠.

معنى العرض في اللغة:

من معاني العرض في اللغة إبرازُ الشيء وإظهارُه ليُرَى. يقال عَرَضت الشيء: أظهرته وأبرزته، وعَرَضت المتاع للبيع: أظهرته لذوي الرغبة ليشتروه[1]» وجاء عن الحَرَالى (علي بن أحمد ٦٣٨هـ) ما يبدو أنه تحرير لمعنى العرض، لكن بالتصريح بقَيْد فيه. حيث قال: «العَرْض - بالسكون: إظهار الشيء بحيث يُرَى للتوقيف على حاله»[2] وهذا القيد يُلْمَح من الفعل «يُرَى» في المعنى اللغوي، من إظهار المتاع لذي الرغبة في شرائه. فعرض المتاع عليه يُوقِفُه على حاله وهذا كالضروري للمشتري.

المعنى الاصطلاحي للعرْض في مجال قراءة القرآن وقراءاته:

مع أن صورة العرْض الاصطلاحيّ حدثت واقعيًّا منذ حياة النبي ﷺ. متمثلة في عرْض أصحابه عليه ما سمعوه منه ﷺ من القرآن، وأن النبي ﷺ كان - في كل رمضان - يعرض على جبريل عليه السلام ما أنزل عليه من القرآن[3] - أي يقرؤه أمامه، أقول إنه مع ذلك، ومع ذكر (العرض) في تراجم القراء آلاف المرات، فإننا لم نجد تحديدًا مبكرًا للمعنى الاصطلاحي لعرض القرآن. في حين

---

(١) المصباح المنير.

(٢) ينظر التوقيف على مهمات التعاريف ٥١٧.

(٣) ينظر صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب ٧ حديث ١٩٠٢ «وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان يعرض عليه النبي ﷺ القرآن» وانظر معه رقم ٤٩٩٧ في باب ٧ من كتاب فضائل القرآن «أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العامَ مرتين».

أن عرض الحديث الشريف اتخذ مكانًا في كتب الاصطلاحات المبكرة[1]. ولعل أقدم ما يقاس عليه وأجوده أيضًا قول الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) لراوي الموطأ عنه عبد الله بن مسلمة القعنبي (ت ٢٢١هـ) «قراءتُك عليّ (أي قراءة القعنبي موطأ مالك عليه) أصحُّ من قراءتي عليك»[2]، ويليه قول الإمام يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) حيث سمَّى قراءة اللَّقين حديثَ الشيخ عليه: عرْضًا[3]. فيقال: العرض في مجال قراءة القرآن هو أن يقرأ اللقين القرآن أمام مقريء ضابط للرواية المقروء بها[4]، ليوقف المقريءُ اللقينَ على مدى سلامة قراءته من الناحية العامة أو الخاصة، وليسدِّده إن وقع في قراءته ما يُخِلّ بسلامتها في أي من المستويات. والمقصود بالناحية العامة الأداءُ اللغوي المشترك بين ناطقي العربية، وبالناحية الخاصة: الأداء حسب مَنْحىً خاصّ في القراءة المروية عن أئمة القراءات: نافع وعاصم إلخ من إمالة أو نصب، وهمز أو تسهيل، وإدغام أو فك، وزيادة مدٍّ أو عدمه[5] إلخ.

---

(١) ينظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (بسج) ٣/ ٢٤٤ وهو ناقل عمن سبقوه. وعرض الحديث منقول لغويًا من عَرْض الكتاب على صاحبه أو معارضة كتابين أحدهما بالآخر.

(٢) ينظر لطائف الإشارات (تحـ ش عامر، د. شاهين) ١/ ١٨١ – مع النظر في ترجمة القعنبي في تهذيب التهذيب ٦/ ٣١. ومبحث التحمل والأخذ عن المشايخ هذا الذي في لطائف الإشارات يَنظر إلى ما في الإتقان (النوع الرابع والثلاثون). ولعله عن سابق لهما.

(٣) أ – ينظر تدريب الراوي تحـ د. محمد العوضي ٢٨٧.

ب – كلمة (لقين) وضعتها أنا بدلًا من كلمة (تلميذ) لعجمة أصل هذه مع عدم مناسبتها للكبار، وبدلًا من كلمة (طالب) لعمومها.

(٤) (حفص أو ورش – مثلًا).

(٥) مما أثر في هذا أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قرأ على النبي ﷺ (من ضَعف) [الروم=

وهذا الكلام عن منحى خاص في القراءة يكاد يكون خاصًّا بالقرآن الكريم من ناحية، وبالحلْقات التالية لعصر الصحابة أو التابعين من سلاسل الأسناد من ناحية أخرى، لأن المطلوب لتمام معنى العرض في أي نص - أو في الجمهور الأعظم من النصوص - هو صحة النص (أي خلوه من الإسقاط والتبديل وما إليهما) دون منحًى خاص في الأداء.

☐ ويبقى هنا أمر مهم لأنه يتعلق بصلب معنى العرض، وهو مدى جوهرية قيد «عن ظهر قلب» الذي ذكره بعضهم في معنى «عرضت الكتاب»[(١)]، حيث يعد عرْض الكتاب هذا أصلًا لاتخاذ كلمة (عرض) مصطلحًا في القراءة. مع أن مصطلح «العرض» عند علماء الحديث – وهو أسبق كما أسلفنا - كأنه يسوى بينهما[(٢)]. والحق أن ملمح الإظهار والإبراز يتحقق في الأمرين. لكن الأصل في «عرض القرآن الكريم خاصة» هو القراءة عن ظهر قلب، لأن انتقال القرآن الكريم من رب العزة إلى الناس إنما وقع بواسطة بشريٍّ وحيد هو سيدنا محمد ﷺ وقد كان أُمِّيًّا لا يقرأ المكتوب – فليس هناك حظ من النظر في كتاب أو مصحف ينسب للمعروض عليه. وقد ذكرنا أن النبي ﷺ كان يعرض ما نزل عليه من القرآن على جبريل عليه السلام في رمضان. وهذا يؤصل

= ٥٤] بفتح الضاد فقال ﷺ (من ضُعف) يا بني – أي بضم الضاد. ينظر المحرر الوجيز (قطر ١١/ ٤٧٥) وفيه تخريجه.

(١) ينظر التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (تحـ د. الداية) ٥١١.

(٢) ينظر تدريب الراوي للسيوطي (تحـ د. العوضي) ٢٨٧، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى – بحواشي أحمد بسج (ط ١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م دار الكتب العلمية بيروت) ٣/ ٢٤٤.

المصطلح. كما يؤصل كون العرض عن ظهر قلب. ويضاف أن حظ العارض من النظر في المصحف وهو يقرأ أمام النبي ﷺ ليس له أي وجود تاريخي. ولو وجد لانحصرت قيمته في قبوله، لأن مرجع تقويم سلامة المقروء هنا هو المعروضُ عليه الأميُّ وحده ﷺ بما تلقاه عن ربه عز وجل. كما يضاف أن العرض «عن ظهر قلب» يشهد بأن كيفية القراءة عند العارض هكذا محفوظة وثابتة، وهذا مطلوب للحكم بسلامة القراءة – في حين أن القراءة من المصحف تتيح التكلف الوقتي الذي يمْكن أن يزول سريعًا. ومن هنا يتحقق أن الأصل في معنى عبارة «عرض القرآن» هو أن العارض يقرأ القرآن عن ظهر قلب أمام المعروض عليه ليوقفه على حاله حفظًا وصحة قراءة عامة أو خاصة، حسب ما سبق بيانه. ثم إن ذلك الأصل يمكن أن يتخلف في العرض على غير النبي ﷺ.

□ وفي العود إلى معنيي الإقراء والعرض نقول إنه يتضح من معنى الإقراء الذي سبق أن فصّلناه أن إقراء النبي صحابيًّا القرآنَ يلزمه عرض ذلك الصحابي على النبي ﷺ ما سبق أن وعاه أي تلقاه من القرآن عنه ﷺ. وهذا العرض يتمثل هنا في إعادة الصحابي قراءة ما سمِع أو تلقى – كما سمع.

كذلك فإن عرض الصحابي القرآن على النبي ﷺ يلزمه – بما يقرب من اليقين – أن يكون النبي ﷺ نفسه هو الذي أقرأ ذلك الصحابي. وأساس هذا اللزوم الأخير أن النبي ﷺ هو الواسطة البشرية الوحيدة لتلقي القرآن من الله تعالى ونقله إلى البشر، وأنه يَبْعُد عندنا أن يعرض صحابي على النبي ﷺ ما أقرأه صحابيّ آخر تَلَقَّى من النبي، لما قد يعنيه ذلك من تهمة للصحابي الذي أقرأ، ومن تجاوز في التعامل مع النبي ﷺ وشَغْل لوقته ﷺ في تحصيل ما هو حاصل.

ومن أجل هذا التلازم جمعنا بين الإقراء والعرض في صورة واحدة من صور التبليغ.

☐ وقد حفظ لنا مؤرخو القراءات أسماء طبقة من الصحابة عُرِفوا بأن كلًّا منهم عَرَض القرآن على رسول الله ﷺ أي قرءوه أمامه ﷺ وهو يسمع، وذلك للتوثق من أن ما وَعَوْه من القرآن هو مطابق لما نزل على النبي ﷺ عبارات وكلمات بأعيان حروفها وضبط الحروف والكلمات حسب ما أسلفنا. وقد ذكرنا في السطور السابقة أن عَرْض صحابيٍّ ما القرآنَ على النبي ﷺ يلزمه أن يكون النبي ﷺ هو الذي أقرأ ذلك الصحابي ما يعرضه. وهذا اللازم استنتاج، لكن لدينا أقوالاً صريحة لبعض الصحابة الذين عَرَضوا على النبي بأن رسول الله ﷺ «أقرأهم»[1]، وهي تؤكد ما استنتجناه، ولكنها لم تشمل كل الذين عرضوا القرآن على النبي ﷺ.

والآن فسنذكر الطبقات التي بواسطتها انتقل القرآن إلى الأمة مشافهة لا مكان فيها لاحتمال أخذ القرآن من صحف مكتوبة.

وأولى هذه الطبقات هي طبقة الذين عرضوا القرآن على رسول الله ﷺ.

---

(١) تصريح عمر وهشام بإقراء الرسول إياهما في تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٢٤ – ٢٥ حديث ١٥، وتصريح ابن مسعود فيه نفسه ١/ ٢٨٨ حديث ١٨، و «أبي» نفسه ١/ ٣٢ حديث ٢٥، ٣٣ حديث ٢٦، ٤١ حديث ٣٨. وإقراء الرسول من لم تذكر أسماؤهم رجل/ رجلًا فيه نفسه ١/ ٢٥ حديث ١٦، ٣٢ حديث ٢٥، ٣٣ حديث ٢٦، ٤١ – ٤٣ حديث ٣٨، ٣٩، ٤١، وينظر صحيح البخاري فضائل القرآن / ب٨ (القراء من أصحاب النبي ﷺ رقم ٥٠٠٠ و ٥٠٠٥ (تصريح أبي وابن مسعود).

الفصل الثاني

الصحابة الذين عرضوا القرآن على رسول الله ﷺ مباشرة

أ- الصحابة الذين ذكرهم الذهبي:

ذكر مؤرخ الإسلام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ) أسماء سبعة تلقَّوا القرآن الكريم عن النبي ﷺ **بالعَرْض** (الشفاهي) عليه ﷺ - حسب معنى العرض بقيوده التي ذكرناها، جعلهم الذهبي الطبقة الأولى وأرخ لحيواتهم[(١)]، ثم ذكر أسماء الذين تلقوا عنهم القرآن عَرْضًا مشافهة حسب ما ذُكر أيضًا وهم اثنا عشر جعلهم الطبقة الثانية وأرّخ لحيواتهم[(٢)] وعلى رجال الطبقة الثانية عرضت طبقة ثالثة وهكذا حتى الطبقة الثامنة عشرة في بداية القرن الثامن الهجري. فبلغ عدد قراء تلك الطبقات أربعةً وثلاثين وسبعَ مئةٍ قارئ، مع تعيين من تلقى عنه كلُّ قارئ قراءته عرْضًا[(٣)] .. وهكذا اتصل انتقال القرآن الكريم تلقيًا بالمشافهة. وقد استمر التلقي هكذا إلى يومنا هذا بأَسْناد متصلة موثقة. جزى الله خير الجزاء الأئمة الذين سجلوا تلك الأَسناد وجعلوها طبقات. وسنستدرك على الإمام الذهبي بعض الأسماء في الطبقتين الأولى والثانية.

---

(١) ينظر معرفة القراء الكبار للذهبي ٢٤ - ٤٢.

(٢) نفسه ٤٣ - ٦١.

(٣) ينظر السابق نفسه - الكتاب كله، فهو مخصص لذكر هذه الطبقات.

وإذا أذن القارئ بشيء من التشقيق والاستنباط لبيان سِرِّ قلة عدد الصحابة الذين عرضوا القرآن على النبي ﷺ، بحيث لم يزيدوا - عند الذهبي - على سبعة أَبلغَهم بحثُنا هذا إلى اثنى عشر - برغم أن العدد الإجمالي للصحابة بلغ أكثر من مئة ألف[1]، عيّن منهم ابن حجر في الإصابة نحو أحد عشر ألفًا[2]، وعَرَّف بحيواتهم. وأهم ما يستنبط من سر قلة العدد تلك، هو أن مؤرخي القرآن كانوا يقصدون بقولهم إن صحابيًا ما «عرض القرآن على رسول الله ﷺ» أن ذلك الصحابي عرض «كل القرآن» أو «أكثره» القريب من الكل. فهذا القيد في معنى العرض هو الذي لا يتأتى تحققه إلا لعدد قليل. وأيضًا فإن القرآن نزل مُنَجَّمًا على ثلاث وعشرين سنة - أي لم تكن جملته متاحة أمام الصحابة منذ أول البعثة، بل لا تُعَدّ تلك الجملة متاحة إلا منذ انقطاع الوحي، وذلك قبل وفاة رسول الله ﷺ بأيام[3]. ويُسْهِم في الوصول إلى تلك القِلّة أن العَرْضَ المذكور يتطلب ملازمة الصحابي للرسول ﷺ، ومتابعتَه ما ينزل من الوحي، وحرصَه على الحفظ، واستعدادَه له - في حين أن الجمهور الأعظم من الصحابة كانوا منتشرين في الجزيرة، تفشو فيهم الأمية. ومَن كان في «المدينة» منهم كان لأكثرهم

(١) ينظر ما نقل في «الإصابة» لابن حجر (تحـ د. عبد المنعم البري وزملائه) ١/ ١٥٤) عن أبي زُرعة الرازي أن النبي ﷺ «توفي ومن رآه وسمع منه زيادةٌ على مئة ألف إنسان من رجل وامرأة كلهم قد رَوَى عنه سماعًا أو رؤية».

(٢) أي تقديرًا بعد حذف المكرر فآخر ترجمة في الإصابة (٨/ ٤٩٢) رقمها ١٢٣٠٨.

(٣) في الإتقان النوع الثامن (عالم الكتب ١/ ٢٧) أن آخر آية نزلت قبل وفاة النبي ﷺ بتسع ليال - وهي إحدى الروايات في هذا.

مطالبُ معايشِهم وأُسَرهم التي تَشْغَل معظم الفرص المتاحة للتلقي والعرض. هذا إلى أنه قيل إنه استُشهد في حروب الردة (١٠ – ١٢هـ) كثير من القراء، منهم سبعون في موقعة اليمامة[1] (نحو ١١هـ).

□ والذي نعرض له هنا هو الطبقة الأولى نذكرهم حسب ما ذكرهم الذهبي. لكن نبرز لقارئ كتابنا هذا بعض أخبارهم القرآنية، ونضيف خَصِيصةً مهمة – هي وجهٌ آخر من وجوه اتصال التلقي الشفاهي السمعي يتميز بحيثية خاصة: هذه الخصيصة هي أن كلًّا من رجال الطبقة الأولى صار رأسًا لسلسلة سَنَد إمامٍ قارئٍ أو أكثر من أئمة القراءات العشرة الذين اعتمدت الأمة قراءاتهم، لتواترها وشهرتها أي أنها هي الحجة الملزمة في القرآنية، وما عداها ليس كذلك.

□ **فأول من ذكر الذهبي من رجال الطبقة الأولى هو سيدنا عثمان بن عفان** ﷺ (ت ٣٥هـ). ومن أخباره[2] القرآنية أنه عَرَض القرآن على رسول الله ﷺ، وكان من أكبر كُتّاب الوحي (القرآن) فورَ نزوله، وحفظ القرآن كله في حياة النبي ﷺ. وفي خلافته كتبت عدة نسخ للقرآن الكريم (بالرسم العثماني المنسوب إليه) وُزِّعَت على الأقاليم، وكان دائم التلاوة للقرآن الكريم. وقُتِل شهيدًا والمصحف بين يديه، وله اثنتان وثمانون سنة. وذلك سنة خمس وثلاثين للهجرة. وقد قرأ عليه المغيرةُ بن أبي شهاب (ت ٩١هـ عن تسعين سنة) وأبو عبد الرحمن

---

(١) الرقم في الإتقان (النوع العشرون. عالم الكتب ١/ ٧١) عن القرطبي، وفي فضائل القرآن لابن كثير (الحويني ٥٨): قريب من خمس مئة.

(٢) ما نذكره من أخبار السبعة الذين ذكرهم الذهبي أكثره ذكره الذهبي، كما أن أكثره أيضًا معلومات عامة عن هؤلاء الصحابة الكرام. وهي متاحة في سيرهم، وفي طبقات ابن سعد والإصابة. وسأُوثِّق دقائق ما أردت التنويه به هنا.

السُّلَمي (ت ٧٤هـ) وأبو الأسود الدؤلي (٦٨هـ) وزِرّ بن حُبَيش (٨٢هـ).

□ والإمام عثمان بن عفان هو رأس في سند خمسة من أئمة القراءات القرآنية السبعة. وهم: ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو عمرو عن طريق أبي الأسود (وباقي السبعة: نافع وابن كثير). كما أنه رأسٌ في سند يعقوب من الأئمة الثلاثة الذين أكملوا السبعة عشرة. (والاثنان هما أبو جعفر وخلف)[1].

□ وثاني من ذكر الذهبي من قراء الصحابة الذين عرضوا على رسول الله ﷺ هو سيدنا **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه وكرم وجهه. وقد كان أول الشبان إسلامًا – وهذا يقطع بتلقيه القرآن عن النبي ﷺ مباشرة، وكان أيضًا من كُتّاب الوحي[2]، وحفظ القرآن كله في حياة رسول الله ﷺ[3]، وزكّى جَمْعَ عثمان المسلمين على القراءة بالمصحف العثماني[4]، وثَبَّتَ سُنَّةَ عَدَمِ المَساس بالرسم

---

(١) بالنسبة لابن عامر أعني اتصال سنده إلى سيدنا عثمان ينظر السبعة لابن مجاهد ٨٥ والتيسير للداني ٩ والإقناع لابن الباذش ١١٣ وغاية الاختصار ١/ ٣٢. وبالنسبة لعاصم ينظر التيسير ٩، والإقناع ١/ ١٢٤، وغاية الاختصار لأبي العلاء العطار ١/ ٥٢ – ٥٣. وبالنسبة لحمزة ينظر غاية الاختصار ١/ ٥٧ و٦٠ حيث ذُكِر في إسناده السلميُّ وأبو الأسود وهما قرآ على سيدنا عثمان. والكسائيُّ أخذ عن حمزة. وبالنسبة لأبي عمرو فإنه قرأ على يحيى بن يعمر، ويحيى عَلَى أبي الأسود وأبو الأسود على سيدنا عَلِيّ وعثمان ينظر غاية الاختصار ١/ ٤٣. وأما يعقوب فاتصلت قراءته بسيدنا عثمان عن طريق عاصم فالسُّلَمِيّ، وعن طريق أبي عمرو بسنده إلى عثمان. ينظر غاية الاختصار ١/ ٤٧ و٥٣ و٤٣.

(٢) سيأتي هذا ضمن فصل مستقل.

(٣) وهذا سيأتي ضمن فصل مستقل.

(٤) ينظر كتاب المصاحف لابن أبي داود (تحـ د. واعظ) الأثر رقم ٣٩، ٤٠، ٧٧، ٧٨.

العثماني[1]. وهو شيخ ابن عباس ﷺ في التفسير. وقُتِل شهيدًا وله سبع وخمسون أو ثلاث وستون سنة، وذلك صبيحة السابع عشر من رمضان سنة أربعين للهجرة. وقد قرأ عليه عرْضًا أبو عبد الرحمن السلمي وأبو الأسود الدؤلي وعبد الرحمن بن أبي ليلى[2].

□ والإمام عليّ هو رأس في سند كل من أئمة القراءات: ابن كثير، وعاصم، وحمزة، وأبي عمرو - من السبعة، وهو في رأس إسناد يعقوب من الثلاثة المكملين للعشرة[3].

□ **وثالث** الذين ذكر الذهبي من قراء الصحابة الذين عرضوا القرآن على رسول الله ﷺ هو سيدنا **أبي بن كعب** أبو المنذر الأنصاري ﷺ. وصفه رسول الله ﷺ بأنه «أَقْرَأُ» الأمةِ لكتاب الله عز وجل. وأمره النبي ﷺ أن يقرأ عليه القرآن - أي ليتعلم من قراءة النبي ﷺ، وكان يختم القرآن في ثمان ليال، وهو أحد الذين

(١) نفسه ٧٧، ٧٨. وينظر ص ٢٦٨ هنا.

(٢) ينظر معرفة القراء الكبار ٢٥ - ٢٨، و - غاية النهاية ١/ ٥٤٦.

(٣) عن ابن كثير - أي اتصال سنده إلى علي - ينظر الإقناع ١/ ٩١ وغاية الاختصار ١/ ٢٣ حيث وصل سند ابن كثير إلى ابن عباس الذي أخذ عن أُبيّ وعليّ. وعن عاصم ينظر السبعة ٧٠ والتيسير ٩ والإقناع ١/ ١٢٤ وغاية الاختصار ١/ ٥٣. وعن حمزة ينظر السبعة ٧٣، والإقناع ١/ ١٣٦ (عن طريق أبي الأسود عن عليّ) و١٣٧ (عن طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عليّ). وعن أبي عمرو ينظر السبعة ٨٣ (عن يحيى عن أبي الأسود عن عليّ) والتيسير ٨ (مجملاً)، والإقناع ١/ ١٠٢ - ١٠٣، وغاية الاختصار ١/ ٣٩ عن يحيى بن يعمر. وعن يعقوب ينظر غاية الاختصار ١/ ٤٦ - ٤٧ حيث ذكر في سلسلته الحسن وهو عن عليّ.

حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ، وكان «يملي» في لجنة كتابة المصحف، كما أنه أحد الذين صُرِّح بأن رسول الله ﷺ أقرأهم[1] (توفى أُبَيّ نحو ٣٥هـ) أخذ عنه القرآنَ (أي عرض عليه) من الصحابة ابنُ عباس (٦٨هـ)، وأبو هريرة (٥٨هـ)، وعبد الله بن السائب (٧٠هـ). ومن التابعين أبو عبد الرحمن السلمي، وعبد الله بن عياش (نحو ٧٨هـ)، وأبو العالية الرياحي (ت نحو ٩٠/ ٩٦هـ).

□ وقد جاء «أُبَيّ» في رأس أسناد أئمة القراءات نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وعاصم، والكسائي من السبعة، وأبي جعفر ويعقوب وخلف الثلاثة المكملين للعشرة[2].

□ ورابع الصحابة القراء الذين ذكر الذهبي أنهم عرضوا القرآن على النبي ﷺ هو سيدنا **عبد الله بن مسعود** الهُذَلِيّ رضي الله عنه وجاء التصريح بإقراء الرسول ﷺ إياه[3]

---

(١) سيأتي الكلام عن الذين حفظوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ. أما التصريح بأن الرسول ﷺ أقرأه ففي تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٣٢ حديث ٢٥ و٣٣/ ٢٦ و٤١ حديث ٤٨.

(٢) ينظر عن نافع السبعة ٥٥ والتيسير ٤ والإقناع ١/ ٧٤، ٧٦. وعن ابن كثير السبعة ٦٤ والتيسير ٨ والإقناع ١/ ٩١. وعن أبي عمرو ينظر السبعة ٨٣ والتيسير ٨ (في إجمال)، والإقناع ١/ ١٠٢ وغاية الاختصار ١/ ٣٩ و٤٢ (عن أبي العالية) وعن عاصم ينظر الإقناع ١/ ١٢٤ عن طريق السلمى، وعن حمزة ينظر السبعة ٧٢ (عن طريق ابن عباس) والإقناع ١/ ٧٤ و١٣٧. وعن الكسائي ينظر السبعة ٧٨ والتيسير ١٠، والإقناع ١٤٦ (ضمن أخذه عن حمزة في الكتب الثلاثة): وعن أبي جعفر ويعقوب وخلف ينظر غاية الاختصار ٧، و٤٦ – ٤٨ عن طريق سَنَدَىْ أبي جعفر وعاصم بالنسبة ليعقوب، و٥٦ – ٥٨ بالنسبة لخلف عن طريق سَنَد حمزة عن ابن أبي ليلى إلى ابن عباس.

(٣) التصريح بإقراء الرسول ﷺ عبد الله بن مسعود في تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٢٨ حديث ١٨ من روايات حديث الأحرف السبعة. وكتاب المصاحف آثار ٥٠ – ٥٢، ٥٤ – ٦١ (عدا – ٥٩).

وتَلَقّى من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، وزكّى النبي ﷺ قراءته فقال «من أحبَّ أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أُنْزِل فليقرأْ قراءة ابن أم عبد» (وهو ابن مسعود) وهو أحد الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ، وأَوَّلُ مَنْ أفشَى القرآن من فِي رسول الله ﷺ مُراغِمًا الكفارَ بذلك عند الكعبة، وكان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث، وفي غيره في الجمعة. وعرض عليه القرآن الأسود النخعي وزر بن حبيش وعلقمة وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم، توفى سنة اثنتين وثلاثين(١).

☐ وجاء ابن مسعود في رأس إسناد أئمة القراءات: عاصم وحمزة والكسائي من السبعة، ويعقوب وخلف من الثلاثة(٢).

☐ **وخامس** من ذكرهم الذهبي من الصحابة القُرَّاء الذين عرضوا القرآن على النبي ﷺ سيدنا **زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجيّ** - رضي الله عنه، كاتبُ النبي وأمينُه ﷺ على الوحي، وأحدُ الذين جمعوا القرآن (أي حفظوه) في حياة النبي ﷺ. ورَأَس لجنتَيْ تدوين القرآن الكريم في عهد أبي بكر وفي عهد عثمان.

قرأ عليه من الصحابة أبو هريرة وابنُ عباس، ومن التابعين أبو عبد الرحمن السُّلَميّ وأبو العالية الرياحيّ. توفى سنة خمس وأربعين أو ثمان وأربعين(٣).

---

(١) ينظر معرفة القراء الكبار ٣٢ – ٣٦، وغاية النهاية ١/ ٤٥٨ – ٤٥٩.

(٢) ينظر عن عاصم السبعة ٧٠ والتيسير ٩ والإقناع ١/ ١٢٤، وعن حمزة السبعة ٧١ – ٧٢، والتيسير ٩، والإقناع ١/ ١٣٥ – ١٣٧ وعن الكسائي ينظر السبعة ٧٨ والتيسير ١٠، والإقناع ١/ ١٤٦ (عن طريق إسناد حمزة بالنسبة للكتب الثلاثة) وعن يعقوب ينظر غاية الاختصار ١/ ٤٥ – ٤٧ و٥٣ وعن خلف نفسه ١/ ٦٨ مع الإقناع ١/ ١٣٥ – ١٣٧.

(٣) ينظر معرفة القراء الكبار ٣٦ – ٣٨ وغاية النهاية ١/ ٢٩٦.

❏ وجاء زيد في رأس سَنَد كل من ابن كثير، وعاصم، وأبي عمرو، من السبعة، ويعقوب من الثلاثة[1].

❏ **وسادس** من ذكرهم الذهبي من الصحابة القُرّاء الذين عرضوا على رسول الله ﷺ سيدنا **أبو موسىٰ الأشعري** اليماني ﷺ وهو عبد الله بن قيس. هاجر إلى النبي ﷺ، وكان حَسَنَ الصوت بالقرآن حتى قال عنه النبي ﷺ «لقد أُوتِيَ هذا مِزْمارًا من مزامير آل داود». وعرض عليه القرآن حِطّان بن عبد الله الرقاشي وأبو رجاء العُطَاردي وأبو شَيْخ الهُنَائي – توفى في ذي الحجة سنة أربع وأربعين على الصحيح[2].

وقد جاء أبو موسى الأشعري في رأس أحد أَسناد أبي عمرو بن العلاء[3] من السبعة.

❏ **وسابع** من ذكرهم الذهبي من الصحابة القراء الذي عرضوا على رسول الله ﷺ سيدنا **أبو الدرداء عُوَيمر بن زيد** الأنصاري الخزرجي ﷺ. تأخر إسلامه عن بدر وأَبْلَى يوم أُحُد بلاء حسنًا. عرض على النبي ﷺ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن (= حفظوه) في حياته ﷺ. رَأَسَ حلقات الإقراء في جامع دمشق وكانت تضم ألفًا وست مئة ونيفًا. عَرَض عليه عبدُ الله بن عامر (ت١١٨هـ)، وخليد

---

(١) عن ابن كثير ينظر التيسير ٨ والإقناع ١/ ٩٢ وعن عاصم ينظر التيسير ٩ والإقناع ١/ ١٢٤ وعن أبي عمرو ينظر غاية الاختصار ١/ ٣٩ و٤٢) (عن طريق أبي العالية) وعن يعقوب نفسه ١/ ٤٥ – ٤٧ و٥٣.

(٢) ينظر معرفة القراء الكبار ٣٩ – ٤٠ وغاية النهاية ١/ ٤٤٢ – ٤٤٣.

(٣) عن أبي عمرو في الإقناع ١/ ١٠٣ غاية الاختصار ١/ ٣٩ و٤٢) (عن طريق حطان).

ابن سعد، وراشد بن سعد، وخالد بن معدان، وأم الدرداء الصغرى هجيمة بنت حُيَيّ الأوصابية الحميرية زوج أبي الدرداء التي عرض عليها عطيةُ بن قيس الكلابي، ويونسُ بن هبيرة، وإبراهيمُ بن أبي عبلة وهو تابعي ثقة كبير (ت ١٥٣). توفي أبو الدرداء سنة اثنتين وثلاثين[١]. وقد جاء أبو الدرداء في رأس أحد أسناد ابن عامر من السبعة[٢].

ب – المستدركون على طبقة العرض المباشر:

أسلفنا أن الإمام الذهبي ذكر سبعة فحسب من الصحابة الذين عرضوا القرآن على رسول الله ﷺ. وبالرغم من أن تحديد الذهبي هذا هو مقتضى حدود اطّلاعه على أخبار من قرأ على النبي ﷺ ثم أقرأ غيرَه، فإنّ حَصْره هذا صار أمام مؤرخي القُرّاء بعده حاجزًا يصعب اختراقه للإضافة إليه. لكننا وجدنا أن من حَقّ القرآن وحق الأمة أن نستدرك من يثبت لنا صراحةً قراءتُه على الرسول ﷺ. ونُقدم من كان إقراؤه غيرَه من هؤلاء يمثل حَلْقة من سَنَد أيٍّ من القراء العشرة الذين اعتمدت الأمة قراءاتهم. وقد استثنينا من قيود الاستدراك هذه سيدنا أبا بكر الصديق ﷺ، فاستدركنا اسمه، لما ذكرناه عنه مما يأتي، ولأنه أولُ رجل سمع القرآن من النبي ﷺ حين دعاه إلى الإسلام فكان أولَ من آمن به ﷺ[٣]. ولأنه أسلم

---

(١) ينظر معرفة القراء الكبار ٤٠ – ٤٢، وغاية الاختصار ١/ ٦٠٦ و ٢/ ٣٥٤ والأعلام ٨/ ٧٧ عن هجيمة، وغاية النهاية ١/ ١٩ (عن إبراهيم بن أبي عبلة).

(٢) التيسير للداني ٩ وصرح به الذهبي في معرفة القراء الكبار ٨٣ وذكره فيه صـ٤١.

(٣) الكلام عن أن أبا بكر هو أول من أسلم من الرجال في سبل الهدى والرشاد للشامي ٢/ ٤٠٦ – ٤٠٧ وعن سماعه القرآن من النبي ﷺ في هذه المناسبة في ٢/ ٤٠٥ من هذا الكتاب نفسه.

على يديه خمسة أو أكثر[1] من كبار الصحابة الأوائل – منهم من صار أشهر العارضين على رسول الله ﷺ. ثم لِما عُرِف عنه ﷺ من وَلَعه بقراءة القرآن في مسجده الخاص حتى ضَجّ الكفار من (افتتان) الناس بسماع قراءته[2] وسيأتي المزيدُ من أسس هذا الاستدراك.

ومن أمانة العلم أنني سأذكر العبارات والأخبار التي اعتمدت عليها في استدراك من استدركته على الإمام الذهبي من الذين قرءوا على رسول الله ﷺ، لأتيح للقارئ والدارس التفكير والاقتناع على بيّنة. وقد رأيت لمزيد من التدقيق في هذه الجزئية – أن أُقَسّم المستدرَكين إلى مستويين: الأول للذين ورد تصريح بعرضهم أو قراءتهم على النبي ﷺ نفسه قراءة يقضي السياق بأنها تشمل أكثر النص القرآني على الأقل – كسادتنا: عمر، وواثلة، وفضالة، ومعاذ، وأنس، والشهاب ﷺ. وهؤلاء وقبلَهم الصديقُ ﷺ أرى أن استدراكهم حق لا ينبغي إهداره. والمستوى الآخر للذين بُني استدراكهم على ثبوت قراءتهم على النبي ﷺ قراءة يوحي السياق بأنها محدودة القدر كسيدينا ابن عمر وهشام بن حكيم، أو على استنتاج من دلائل قوية كما هو بالنسبة لسيدينا عُبادة وعُقبة بن عامر رضي الله عنهم جميعًا.

---

(١) ينظر السابق نفسه ٢/ ٤٠٩ – ٤١٠ و٤١٢.

(٢) السابق نفسه ٢/ ٥٣٩ – ٥٤٠.

المستوىٰ الأول

١ – استدراك سيدنا أبي بكر في طبقة عارضي القرآن علىٰ النبي ﷺ:

☐ يجب أن يُسْتدرَك هنا في طبقة الذين عرضوا القرآن على رسول الله ﷺ سيدُنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه[1] وقد سبق أن قطع بحفظه القرآن في حياة النبي ﷺ إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري (ت ٣٣٤هـ)، والإمامان أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) والقرطبي (ت٦٧١هـ) والإمامُ المفسر المؤرخ أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ). والحقيقة أنه يكفي للحكم بحفظه القرآن أنه كان له – منذ ما قبل الهجرة – مسجد عند باب داره يصلي فيه ويقرأ القرآن، حتى تأذى به المشركون وشَكَوْا منه[2]. أي أن شغَفَه بالقرآن لازَمه منذ أسلم تقريبًا، فكيف يقال إنه لم يحفظه. وإنما الذي نريد أن نقرره هنا أنه تلقى القرآن من رسول الله مباشرة، إذ لا يُتَصَوَّر أن يكون الصديق تلقى القرآن عن غير رسول الله ﷺ – مع كونه أول من أسلم من الرجال، ومع شغفِه بالقرآن، وملازمتِه رسول الله ﷺ أكثر مَن كل من عداه، وتقدّمِه أمةَ محمد ﷺ بعده، ثم هو المبادر بتذكير

---

(١) ينظر عن سيدنا أبي بكر الطبقات الكبرى لابن سعد (تحـ محمد عبد القادر عطا) ٣/ ١٢٥ – ١٦٠، والسيرة النبوية لابن هشام (تحـ السقا وصاحبيه) مجـ١/ ٧٥٠ و٢/ ٧٠٤ (فهرس كليهما)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ١٨١ – ١٩١، الإصابة لابن حجر (تحـ الشيخ عادل عبد الموجود وزملائه) ٤/ ١١٤ – ١٥٠، تهذيب التهذيب ٥/ ٣١٥ – ٣١٧، «الإتقان» (عالم الكتب) ١/ ٧١، وينظر عن شهادة الأئمة الأشعري والباقلاني والقرطبي وابن كثير: غاية النهاية في ترجمة سيدنا أبي بكر، وفضائل القرآن لابن كثير (الحويني) ٥٤، ١٦٠.

(٢) تنظر السيرة النبوية لابن هشام (السقا وصاحبيه) مجـ١/ ٣٧٣.

الأمة – حين رُوّعت بخبر وفاة رسول الله ﷺ – وكان أكثرَهم ذهولًا وارتياعًا عمر بن الخطاب – بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ... ﴾ [آل عمران: ١٤٤](١)، وهو المبادر بتصحيح فهم الجمهور لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥](٢)، وهو الذي ردّ على ابنته أم المؤمنين السيدة عائشة تمثُّلَها – عندما زارته وقد حَضَرَتْه الوفاة – بقول الشاعر:

لَعَمْرُكَ مـا يُغْنِـي الثَّـراءُ عَـن الفَتَـى إذا حَشْرَجَتْ يومًا وضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

إلى التمثل بقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: ١٩](٣) في حين أن ساعة حضور الموت ساعةُ كَرْب وذهول .. وثبت أنه صَلَّى الصبح بالصحابة وهو خليفة، فقرأ سورة البقرة كلها في الركعتين(٤). فلا بد أنه كان يحفظها في حياة النبي ﷺ، لأنه تولَّى الخلافة بعد وفاته ﷺ مباشرة، ولعامين فحَسْبُ تُوُفِّي بعدهما. فهذه مواقف تكشف عن حضور القرآن في قلبه ﷺ – ولا بد أن هناك غيرُ هذه المواقف كثير. لكن الذي كُتِبَتْ هذه السطورُ من أجله هو: هل هناك من يمكن أن يُسْنَدَ إليه إقراء أبي بكر القرآنَ غيرُ رسول الله ﷺ، وكل ما سبق يقطع بأن الرسول – لا غيره هو الذي أقرأه؟ ولقد

---

(١) السابق نفسه مجـ٢/ ٦٥٦.

(٢) ينظر تفسير القرطبي (الهيئة المصرية) ٦/ ٣٤٢–٣٤٣.

(٣) ينظر السابق نفسه ١٧/ ١٢.

(٤) ينظر فتح الباري (الحلبي) ٢/ ٣٩٨ حيث قال «روى عبد الرازق بإسناد صحيح عن أبي بكر الصديق أنه أم الصحابة في صلاة الصبح بسورة البقرة فقرأها في الركعتين».

أسلم على يده ثمانية منهم عثمان الذي بدأ به الذهبي طبقة العارضين على رسول الله ﷺ. أَمَّا أَنَّ أبا بكر لم يُقْرِئ أحدًا أي لم يَعْرِض عليه أحدٌ القرآن فذلك لوفاته مبكرًا بعد النبي بعامين فَحسْب، مع اشتغاله بأعباء الخلافة، وحروب الردة، وجمع القرآن. ولم تطل أيامه ليقرئ أحدًا. وربما كان هناك من عرض على أبي بكر، ولم يصلنا خبره.

٢- استدراك سيدنا عمر في طبقة عارضي القرآن على النبي ﷺ:

□ وأما سيدنا عمر رضي الله عنه فإنه ينبغي أن يُذْكر ضمن الذين عرضوا على رسول الله ﷺ.

أ - فهو من الذين صرحوا بأن الرسول «أقرأهم» وعين عمر سورة الفرقان، وجاء ذلك ضمن رواية صحيحة من روايات حديث نزول القرآن على سبعة أحرف[1] وقد ذكرنا أن «الإقراء» **يلزمه «العرض»**. ولا يسوغ افتراض أن هذه كانت هي السورة الوحيدة التي أُقْرِئَها.

ب - سيدنا عمر كان من كبار الصحابة المقربين إلى رسول الله ﷺ والملازمين له، إذ كان ثانيَ وزيريه بعد أبي بكر، والقرآنُ هو دستور دولة الإسلام يلزم كبارَ الدولة تتبُّعُه واتباعُه. وقد استدعَى رسولُ الله ﷺ عمرَ ليقرأ عليه سورة **الفتح** لمّا نَزَلَت بعد صلح الحديبية الذي كان لعمرَ موقف إزاءه[2]، وقد

---

(١) ينظر تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٢٤ - ٢٥.

(٢) ينظر صحيح البخاري كتاب المغازي / الحديبية / رقم ٤١٧٧.

ذُكِر ضِمْنَ الذين حفظوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ[1]. ومن شواهد حضور القرآن في قلبه استحضاره قوله تعالى مخاطبًا الرسول ﷺ بشأن المنافقين ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] محاولًا بذلك صرفَ النبي عن الصلاة على المنافق عبد الله بن أُبَيّ[2]. وهو صاحب الموافقات الخمس التي نزل بها القرآن[3] فعمرُ قريب جدًّا من القرآن.

د – لم يُذْكر في ترجمته أنه عرض على أحد من طبقة العرض المذكورة – إذا تجاوزنا عن صعوبة تصور ذلك لما سبق، ولما هو معروف من جلالة قدره.

وما دام الرسول قد أقرأه فلم يبق إلا أنه عرض عليه ﷺ.

هـ – ومن أقوى الأدلة على عرض عمر القرآن (كله أو أكثره – على ما ذكرنا في خصائص طبقة العرض) على رسول الله ﷺ أن عمر رأسٌ في سلاسل السند لأربعة من القراء العشرة كما سيأتي بعد قليل. وهذه السلاسل قِوامها التلقي والعرض. والهدف منها هنا هو توثيق الوصول بنص السند إلى متلقيه عن الله عز وجل. ويُصدّق كل ما قلنا هنا أنا أبا العلاء الهمذاني – وهو من كبار مؤرخي القراءات – قد صرح ثلاث مرات، في كتابه «غاية الاختصار» بأن عمر

---

(١) ينظر الإتقان: النوع العشرون ضمن من ذكرهم أبو عبيد (١/ ٧٢ من طبعة عالم الكتب).

(٢) صحيح البخاري / كتاب التفسير / التوبة رقم ٤٦٧٠، ٤٦٧١، وتفسير القرطبي (الهيئة) ٨/ ٢١٨ – ٢١٩.

(٣) هي الصلاةُ خلفَ مقام إبراهيم، وحجبُ أمّهات المؤمنين، وتذكيرُهن بإمكان أن يبدل الله نبيَّه خيرًا منهن، والإثخانُ عند الأسر، وتكملة الآية ١٤ من سورة «المؤمنون». ينظر تفسير القرطبي (الهيئة) ٢/ ١١٢.

عرض (أو قرأ) القرآن على رسول الله ﷺ[1].

☐ هذا، وقد جاء عمر ﷺ في رأس سند الأئمة القراء:

أ – عبد الله بن كثير – ذلك أن عبد الله بن كثير عرض على الصحابي عبدالله ابن السائب، وابن السائب عرض على عمر[2] وأُبيّ بن كعب.

ب – وفي رأس سند أبي عمرو بن العلاء. فإن أبا عمرو عرض على ابن كثير، وقد عرفنا أن ابن كثير عرض على ابن السائب الذي عرض على عمر[3] وكذلك فإن أبا عمرو عرض على أبي العالية، وأبو العالية عرض على عمر[4].

جـ – وفي رأس سند حمزة – فإن حمزة عرض على سليمان بن مهران (الأعمش)، . والأعمش عرض على أبي العالية الذي عرض على عمر[5] فهؤلاء الثلاثة الذين ذكرناهم من الأئمة السبعة.

(د، هـ، و) وفي رأس سند كل من الكسائي من السبعة، ثم خلف ويعقوب من الثلاثة المكملين للعشرة. فأما أن عمر ﷺ في رأس سند الكسائي فبعرض الكسائي على حمزة أربع مرات[6] وحمزة على سليمان على أبي العالية على عمر.

---

(١) ينظر غاية الاختصار (تحـ د. أشرف طلعت) ١/ ٤٢، ٤٩ – ٥٠.

(٢) تنظر ترجمة عبد الله بن السائب، وترجمة عبد الله بن كثير في غاية النهاية ١/ ٤١٩، ٤٤٢.

(٣) تنظر ترجمة أبي عمرو، وابن كثير في غاية النهاية ١/ ٢٨٩، ٤٤٢.

(٤) تنظر تراجم أبي العالية، وأبي عمرو، وعمر في غاية النهاية ١/ ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٩، ٥٩١، وغاية الاختصار ١/ ٣٩ و٤٢، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٦٠.

(٥) تنظر تراجم حمزة، والأعمش، وأبي العالية في غاية النهاية ١/ ٢٦٢، ٣١٥، ٢٨٤ على التوالي.

(٦) تنظر ترجمة الكسائي على بن حمزة في غاية النهاية ١/ ٥٣٥.

وأما أنه في رأس سند خلف فبأخذ خلف عن حمزة أيضًا، وأما يعقوب فإنه كان من شيوخ يعقوب مسلمةُ بن محارب بن دثار السدوسي، وقد عرض مسلمة على أبيه محارب، وعرض محارب على أبيه دثار بن كردوس عن عمر بن الخطاب[(١)].

ومن شيوخ يعقوب أيضًا مهدي بن ميمون الذي أخذ عن شعيب بن الحبحاب الذي أخذ عن أبي العالية الذي عرض على عمر.

كذلك قرأ يعقوب على سلام المزني، وهذا قرأ على عاصم الجحدري، وهذا على الحسن البصري عن أبي العالية عن عمر[(٢)].

وبهذا يثبت أيضًا أن ثلاثة على الأقل عرضوا القرآن على عمر ﷺ جميعًا[(٣)].

٣- استدراك واثلة بن الأسقع ضمن طبقة العارضين على النبي ﷺ:

جاء في غاية النهاية «وَاثِلة بن الأسقع ﷺ، من أهل الصفة، شهد تبوك مع النبي ﷺ. وأخذ القراءة عن النبي ﷺ. قرأ عليه يحيى بن الحارث الذِّماري في قول الجماعة، وأخذ عنه (أيضًا) إبراهيم بن أبي عبلة .... توفى سنة خمس وثمانين، وله ثمان وتسعون سنة»[(٤)].

---

(١) تنظر ترجمتا محارب بن دثار، ومسلمة بن محارب في غاية النهاية ٢/ ٤٢، ٢٩٨ على التوالي.

(٢) ينظر – في قراءة يعقوب على مهدي وسلام – غاية الاختصار ١/ ٤٦ ثم ٤٩ – ٥٠.

(٣) الثلاثة المقصودون هم عبد الله بن السائب (صحابي ت حوالي ٦٥هـ) ودثار بن كردوس السدوسي (ابنه محارب روى عن الصحابة: ابن عمر، وجابر ..) ولم أجد لدثار ذكرًا في الإصابة ولا تهذيب التهذيب ولا غاية النهاية، والثالث أبو العالية ت ٩٠/ ٩٦هـ. وأغفل الذهبي ذكر عمر، ولم يذكر ابن الجزري في ترجمة عمر من أخباره القرآنية إلا رواية حروف عنه، وأن أبا العالية قرأ عليه.

(٤) غاية النهاية ٢/ ٣٥٨. وينظر كذلك ١/ ٤٢٢ منه.

وجاء في جمال القراء للسخاوي «روى أيوب بن تميم عن يحيى بن الحارث الذماري: أخبرَنا عبدُ الله بن عامر (الإمام السبعي) أنه قرأ على واثلةَ بنِ الأسقع، وأن وَاثلة قرأ على النبي ﷺ..» ولا يخفى أن هذه العبارة تعني العرض»

وروى عبد الرحمن بن العلاء بن زَبْر، عن عبد الله بن عامر قال قرأت على معاوية بن أبي سفيان، وعلى واثلة بن الأسقع، وقرأ على النبي ﷺ. وكذا روى عنه غيرُ ابن زَبْر[1] وهذه العبارة تعني العرض.

وقد ذكرت قراءة ابن عامر على واثلة بن الأسقع في غاية النهاية وغاية الاختصار أيضًا[2].

وبهذا كله يثبت أمران: **الأول**: أن الصحابيّ واثلةَ بنَ الأسقع هو من الذين قرءوا على رسول الله ﷺ بشهادة ابن عامر بذلك في أكثر من رواية رواها السخاوي.

والثاني: أن واثلةَ بنَ الأسقع هو رأس في سند أحد القراء السبعة وهو عبدالله بن عامر، وهو كذلك رأس في سند كل من تلقى عن يَحْيى بن الحارث الذِّماري.

☐ ويجدر بالذكر هنا أن يحيى بن الحارث الذماري قرأ على عبد الله بن عامر أيضًا كما قرأ على واثلة بن الأسقع، ثم إنه خلف ابن عامر في القراءة وفي الإقراء

---

(١) جمال القراء ٢/ ٤٥٥ وعبارة «وقرأ» على النبي ﷺ السياق يرجح أنها «قرآ» بألف الاثنين، لكن الذي أمامنا أنها مسندة لضمير المفرد.

(٢) ينظر غاية النهاية ٢/ ٤٢٤، وغاية الاختصار ١/ ٣١.

بدمشق[1] وقد سئل عنه أبو حاتم فقال: ثقة. كان عالمًا بالقراءة في دهره بدمشق. وقال ابن معين هو ثقة. وقال أيوب بن تميم: كان يحيى بن الحارث يقف خلف الأئمة لا يستطيع أن يؤُمَّ من الكبر. كان يَرُدّ عليهم إذا غَفَلوا» ثم قال ابن الجزري: قرأت على ... ثنا (أي حدثنا) سويد بن عمر بن عبد العزيز قال سألت يحيى بن الحارث عن عدد آي القرآن فأشار إليّ بيده: ستة آلاف ومئتان وستة وعشرون بيده اليسار. مات سنة خمس وأربعين ومئة، وله تسعون سنة»[2] اهـ.

واضح من الترجمتين أننا أمام سلسلة صحيحة غزيرة التفرع تجمع حلقتها العليا حفظ القرآن تلقيا عن رسول الله ﷺ إلى ما في حلقتها التالية من نشر إقراء القرآن والبحث في علومه.

فهذه السلسلة تضاف إلى سلاسل انتقال القرآن تلقيا.

□ أما إبراهيم بن أبي عبلة فقد أخذ عن واثلة بن الأسقع كما أخذ عن أم الدرداء الصغرى لكن لم يُذْكر في ترجمته أن أحدًا عرض عليه القرآن وإنما أُخِذَت عنه حروف (ت حوالي ١٥١ هـ)[3].

٤ - استدراك معاذ بن جبل في الصحابة الذين قرءوا على النبي ﷺ:

هو معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي . ولد قبل الهجرة بعشرين سنة، وأسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وشهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار. وشهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد. وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين ابن

---

(١) ينظر غاية النهاية ٢/ ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) السابق نفسه.

(٣) تنظر غاية النهاية ١/ ١٩.

مسعود، ورُوِي له عن رسول الله ﷺ سبعة وخمسون ومئة حديث. ورَوَى عنه كثير من الصحابة والتابعين. وتوفى في طاعون عمواس بالشام سنة ثماني عشرة. واختُلف في عمره عند وفاته على أقوال كثيرة بين ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٨ عامًا. والمعلومات المذكورة في هذه الفقرة ترجح التحديد الأخير أي وفاته عن ثمانية وثلاثين عامًا(١).

من أخباره القرآنية ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب».

وأيضًا ما رواه البخاري ومسلم عن أنس قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعةٌ كلهم من الأنصار: أُبَيّ بن كعب، ومُعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد(٢). وجاء في الجامع الكبير للسيوطي «جاء معاذ إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أقرئني فقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن مسعود أقرئه. قال ابن مسعود «فأقرأته ما كان معي، ثم اختلفت أنا وهو إلى رسول الله ﷺ (أي كنا نتردَّد عليه ﷺ) فقرأ معاذ، وكان معلمًا من المعلمين على عهد رسول الله ﷺ»(٣) فهذا حديث صريح في أخذ معاذ

---

(١) ينظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ٩٨ – ١٠٠، وتهذيب التهذيب ١/ ١٨٦ – ١٨٨.

(٢) ينظر المرجعان السابقان في نفس الموضعين. وصحيح البخاري / فضائل القرآن / القراء من أصحاب النبي ﷺ رقم ٤٩٩٩، ٥٠٠٣.

(٣) الجامع الكبير ٢/ ٥٤٨ (مخطوط) مسند عبد الله بن مسعود ورمز تخريجه (ش) = ابن أبي شيبة. وهو في منتخب كنز العمال على هامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٦٩.

القرآن من رسول الله ﷺ. وجاء في المُنْتَهى للخزاعي في سند القارئ أبي بَحْرية السَّكُوني (ت بعد ٨٠هـ، وله اختيار عَرَضه الخزاعي ضمن الخمسة الذين زادهم الخزاعي على العشرة) أنه قرأ على معاذ، **وقرأ معاذ على رسول الله ﷺ**[١].

والحقيقة أن ما عرفنا من سيرة سيدنا معاذ: من سبقه إلى الإسلام بشهوده العقبة وهو في الثامنة عشرة أو نحوها، ومن تزكية الرسول ﷺ لجودة قرآنيته بتوجيهه ﷺ المسلمين أن يأخذوا عنه القرآن وأحكام الدين، وإرساله إياه بذلك إلى مكة بعد الفتح ثم إلى اليمن بعد تبوك[٢]. كل ذلك يوثق رواية حديث ابن مسعود التي تصرح بإقراء النبي ﷺ معاذًا ﷺ. وكذا سند أبي بحرية الذي يصرح بقراءة معاذ على النبي ﷺ. وجاء في أسد الغابة أن سهيل بن عمرو القرشي كان يختلف إلى معاذ وهو في مكة ليقرئه القرآن [٣].

وجاء في جمال القراء «وروى خالد بن يزيد عن عبد الله بن عامر أنه قال «بعث عمر بن الخطاب ﷺ إلى كل مصر من الأمصار رجلًا من الصحابة يعلمهم القرآن والأحكام. فبعث إلى الشام **معاذ بن جبل وأبا الدرداء**. قال ابن عامر: **وقرأت عليهما**»[٤].

---

(١) ينظر المنتهى للخزاعي تحـ د. محمد شفاعت رباني صـ١٣٢.

(٢) ذكر الزرقاني في مناهل العرفان ١/ ٢٤١ و٣١٤ – ٣١٥ بعث معاذ إلى مكة بعد الفتح ليعلم القرآن، ولم يذكر مصدر الخبر، لكن ما في ترجمة سهيل بن عمرو القرشي في أسد الغابة يوثقه. وينظر الأعلام للزركلي (ط٤) ٧/ ٢٥٨.

(٣) ينظر أسد الغابة (الشعب) ٢/ ٤٨٠ – ٤٨١.

(٤) جمال القراء ٢/ ٤٥٤.

فمعاذ بن جبل رأس في سند قراءة ابن عامر كما جاء صريحًا عنه. وينبغي أن نتأمل رواية ابن عامر عن نفسه. فهذا إمام ثقة يذكر سنده. ثم هو يذكر أنه قرأ على معاذ عندما بعث عمر معاذًا إلى الشام **ليعلم الناس القرآن**. وابن عامر كان يقيم بالشام عندما بُعِث إليه معاذٌ معلمًا للقرآن. فمن المتوجه جدًّا أن يقرأ عليه ابن عامر الذي يسعى ليكون من أهل القرآن، بل إن الغريب حينئذ أن لا يقرأ عليه ابنُ عامر. وعلى هذا فلا وجه لاستبعاد أبي العلاء الهمذاني وقوع ذلك، ولا لتوهين ابن الجزري الرواية به[1]. وقد ذُكِرَت قراءة ابن عامر على معاذ في «المصباح» لأبي الكرم أيضًا.

٥- استدراك فَضالة بن عُبيد الأنصاري ضمن الذين قرءوا على النبي ﷺ:

هو فَضالة بن عبيد الأنصاري الأوسيّ. شهد أحد وما بعدها من المشاهد ومنها بيعة الرضوان، وشهد فتح مصر، وسكن دمشق ووَلِيَ قضاءها لمعاوية، وأمَّره معاويةُ على غزو الروم في البحر. رَوَى عن رسول الله ﷺ خمسين حديثًا. توفى بدمشق سنة ثلاث وخمسين[2].

وجاء في (جمال القراء) «روى يحيى بن الحارث الذماري عن عبد الله بن عامر أنه قرأ على فضالة بن عبيد، **وقرأ فَضالة على النبي ﷺ**. وروى خالد بن يزيد وسعيد بن عبد العزيز أن عبد الله بن عامر كان يمسك المصحف على فضالة

(١) ينظر غاية الاختصار للهمذاني ١/ ٣٠ وغاية النهاية للجزري ١/ ٤٢٤.

(٢) من تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ٥٠ (باختصار).

ابن عبيد في جامع دمشق عند المحراب العتيق الذي تسميه العامة محراب بني أمية. ابنُ عامر ينظر في مصحف فَضالة، وفضالة يقرأ ظاهرًا. **فكانت قراءة فَضالة التي قرأها على النبي ﷺ يَسْمعها ابنُ عامر مِن فيه»**[1] وهذا صريح في عرض فضالة على النبي ﷺ.

وقد ذكرت قراءة ابن عامر على فضالة أيضًا في غاية الاختصار لأبي العلاء الهمذاني، وفي غاية النهاية لابن الجزري. ووصف ابن الجزري الخبر بذلك بأنه جيد[2].

ففَضالة بن عبيد رأس آخر في سند قراءة الإمام السبعي عبد الله بن عامر.

٦- استدراك أنس بن مالك ﷺ:

هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاريّ أبو حمزة صاحبُ رسول الله ﷺ وخادمُه. قال ابن الجزري «روى القراءة عنه ﷺ سماعًا». وردت الرواية عنه في حروف القرآن (ت ٩١هـ) قرأ عليه **قتادة ومحمد بن مسلم الزُّهْريّ**»[3].

□ وواضح أن رواية القرآن سماعًا هي مستوى أو مرتبة في نقل النص القرآني، أقل من مرتبة عرض النص على رسول الله ﷺ لكنها تقوم مقامه – على ما قال الإمام مكي بن أبي طالب[4] إلى أن نعثر على مستوى أقوى أو أصرح في

---

(١) جمال القراء ٢/ ٤٥٥.

(٢) ينظر غاية الاختصار ١/ ٣١ وغاية النهاية ١/ ٤٢٤.

(٣) ينظر غاية النهاية ١/ ١٧٢. وينظر عن معالم حياة أنس بن مالك طبقات ابن سعد (تحـ محمد عبد القادر عطا) ٧/ ١٢ – ١٩، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٧٦ – ٣٧٩.

(٤) ينظر الإبانة (تحـ د. عبد الفتاح شلبي) ٦١.

العرض، وبخاصة أن فُرصة ذلك امتدت نحو عشر سنوات هي مدة ملازمة سيدنا أنس لرسول الله ﷺ خادمًا له حتى انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

❐ ثم إن قراءة أنس التي سمعها من الرسول ﷺ امتدت إلى سلسلة سند القارئ السبعي نافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩/ ١٧٩/ ١٦٧) من خلال قراءة الإمام محمد بن مسلم الزهري عالم الحجاز والأمصار (ت ١٢٤/ ١٢٣/ ١٢٥هـ) على أنس بن مالك، ثم قراءة نافع على الزهري[1].

أما قراءة قتادة (ت ١١٧هـ) فلم تمتد: إذ لم يُرْوَ عنه منها إلا الحروف[2]، وبعد، فقد قال الإمام مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) وهو بصدد جبر نقص تلقى سيدنا عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ، حيث ذكر ابن مسعود أنه تلقى من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة. قال الإمام مكي «ويجوز أن يكون سمعه (أي سمع القدر الذي لم يتلقه عن النبي ﷺ) من النبي ﷺ فيقوم سماعه منه مقام قراءته عليه»اهـ. أقول: وهذا يصدق في حالة سيدنا أنس بن مالك، وبخاصة أن سماعه محقق ومصرح به وكانت فرصته عشر سنين، وأن الزهري قرأ عليه.

٧- استدراك شهاب القرشي:

أ- جاء في الإصابة لابن حجر ٣/ ٢٩٥. «شهاب القرشي - مولاهم، نزيل حمص. روى ابن منده من طريق محفوظ بن علقمة عن ابن عائذ قال قال عبد الله

(١) ينظر غاية النهاية ١/ ١٧٢ و٢/ ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢/ ٣٣٠ - ٣٣٤.

(٢) ينظر السابق ٢/ ٢٥ - ٢٦.

ابن زُغب «كان شهاب القرشي أقرأه النبي ﷺ القرآن كله، فكان عامة الناس بحمص يقرءون منه» قال ابن منده: غريب تفرد به نصر بن خزيمة[1]. اهـ.

ب – وفي مصنف عبد الرازق ٥/ ٢٨٦ «حدثنا علقمة بن شهاب القرشي. وعلقمة هذا تابعي من أهل الشام. وهذا يؤكد أن شهابًا القرشي هذا – كان موجودًا بالشام وله عقب.

جـ – الرواية التي في (أ) صريحة في أن النبي ﷺ أقرأ شهابًا القرشي هذا، وأنه أقرأه القرآن كله، وأن عامة الناس بحمص أخذوا القرآن عنه.

د – وجاء في الإصابة عن عبد الله بن زغب راوي الحديث: أنه عبد الله بن زغب الإيادي، وأنه مختلف في صحبته، لكن رجح ثبوت صحبته بسند ذكر فيه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» اهـ وأخرج الطبراني هذا الحديث من هذا الوجه. وأنه جاء عنه عن النبي ﷺ قصة قس بن ساعدة الإيادي، وأن له رواية عن عبد الله بن حواله في سنن أبي داود. وفي الإصابة أيضًا ٤/ ٥٩ أن عبد الله بن حوالة هذا شامي حِمْصيٌّ وأن ابن زغب روى عنه، وأنه توفى سنة ٥٨هـ أو سنة ٨٠هـ بالشام[2].

هـ – وبناء على ما سبق فإنه ينبغي التماسُ المتلقين عن شهاب القرشي هذا من بين القراء الحمصيين، أو الشاميين عامة، ومن عثر على أحد منهم فينبغي أن يسجله

---

(١) ينظر الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (تحـ ش عادل عبد الموجود وأخرين) ٣/ ٢٩٥.

(٢) ينظر مصنف عبد الرازق ٥/ ٨٦.

هنا. وقد أخرت ذكر الشهاب هذا للغموض الذي يكتنف شخصيته. فمن وجد ما يجلي عن شخصيته فليثبته هنا. والله المستعان. والآن يمكننا أن نقول إننا استدركنا – على سبيل اليقين ستة من الصحابة الذين عرضوا القرآن الكريم على رسول الله ﷺ منهم خمسة رءوس سلاسل إسناد. فصارت تلك الرءوس اثنى عشر صحابيا كريما. ولم نحسب الشهاب القرشي إلى أن ينكشف غموض شخصيته.

المستوىٰ الثاني

٨- استدراك عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

هو ابن أمير المؤمنين الفاروق. ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة وتوفى سنة أربع وسبعين. ذكر عنه في غاية النهاية أنه وردت الرواية عنه في حروف القرآن. ثم ذكر ثلاثة ملامح من أخباره القرآنية:

أ – أن من تلك الحروف التي رويت عنه ما رواه عطية العوفي عنه قال قرأت على عبد الله بن عمر ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم: ٥٤] (بفتح الضاد في الكلمات الثلاث) فقال لي ابن عمر «ضُعف» (أي بضم الضاد) **وقال (أي ابن عمر) قرأت علىٰ رسول الله ﷺ** «من ضَعف» (أي بفتح الضاد) فقال «من ضُعف» يا بني (أي بضمها). **فهذا ملمح.**

ب – ما رواه عنه **عاصم الجحدري** أن ابن عمر كان يقرأ {وجدها تغرب في عين حامية} [الكهف: ٨٦] ويقول «حارّة» **أي يفسرها بذلك.**

ج – الملمح الثالث من الأخبار القرآنية عنه أنه مكث على سورة البقرة ثمان سنين يتعلمها» والمعنى أنه يتدبر معانيها وتفسير آياتها [١].

☐ ونذكر هنا أن ابن الجزري لم يترجم لعطية العوفي وأن ترجمته في الطبقات الكبرى ليس فيها أخبار قرآنية[٢] والذهبي لم يترجم له ولا لابن عمر في معرفة القراء الكبار.

☐ ويتبين مما ذكر في (أ) أن ابن عمر قرأ على النبي ﷺ – وإن كان مقدار تلك القراءة غير معروف لنا الآن، يقدّر أنه لا يقل عن سورة الروم.

☐ ومن الذين تبين أنهم قرءوا على ابن عمر عَرْضًا: **يحيى بن يعمر العَدْواني**[٣] (ت نحو سنة ٩٠هـ)،ومسلم بن جندب (ت بعد ١١٠هـ أو سنة ١٣٠هـ)[٤] وعكرمة بن خالد (ت ١١٥هـ)[٥].

☐ وبذلك يكون عبد الله بن عمر في رأس سند الإمام **أبي عمرو بن العلاء** بقراءة أبي عمرو علي يحيى بن يعمُر وعكرمة بن خالد اللذين قرآ على ابن عمر[٦] ومن ثم في سنَد قراءة **يعقوب** – بقراءة يعقوب على أبي عمرو حسب ما

---

(١) ينظر غاية النهاية ١/ ٤٣٧ – ٤٣٨، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – لابن عطية (قطر) ١١/ ٤٧٥.

(٢) ينظر الطبقات الكبرى (تحـ محمد عبد القادر عطا) ٦/ ٣٠٥.

(٣) ينظر غاية النهاية ٢/ ٣٨١ وغاية الاختصار ١/ ٤٣.

(٤) ينظر غاية الاختصار ١/ ١٦.

(٥) ينظر غاية الاختصار ١/ ٤١ وغاية النهاية ١/ ٥١٥.

(٦) قراءة أبي عمرو علي يحيى في غاية الاختصار ١/ ٣٩ و٤٣ وغاية النهاية ١/ ٢٨٩. وقراءته على عكرمة بن خالد في غاية الاختصار ١/ ٣٨ وقراءة عكرمة على ابن عمر فيه ١/ ٤١ =

روى راجحًا[1]، وفي رأس سند **الإمام نافع** بقراءة نافع على مسلم بن جندب عن ابن عمر أيضًا[2].

٩- استدراك عبادة بن الصامت (ت٣٤هـ):

هذا الصحابي الجليل أبو الوليد عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي قديمُ الإسلام. فقد شهد بيعتي العقبة، وكان أحد النقباء في الثانية، وشهد المشاهدَ كلَّها، وبيعةَ الرضوان، واستعمله النبي ﷺ على الصدقات [3].

وقد جاءت عنه أخبار قرآنية بالغة الأهمية ويؤكد بعضها بعضا.

الأول: أنه كان ممن جمع القرآن (أي حفظه استظهارًا) في حياة النبي ﷺ. ذكر ذلك ابن حجر العسقلاني عن ابن أبي داود في كتاب الشريعة. وقد ذكر ذلك أيضًا في طبقات ابن سعد بإسناده «جمع القرآن في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبيّ بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الدرداء»[4].

فهذا خبر صحيح بأن عبادة كان ممن حفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ.

= وغاية النهاية ١/ ٥١٥ كما قدمنا.

(١) ينظر غاية النهاية ٢/ ٣٨٦.

(٢) قراءة نافع على مسلم بن جندب في غاية الاختصار ١/ ١٥ وقراءة مسلم على ابن عمر فيه ١/ ١٦ كما ذكرنا.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٥٦ – ٢٥٧.

(٤) ينظر فتح الباري (مصطفى البابي) ١٠/ ٤٢٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٢٧٢.

والخبر الثاني أن عبادة **«كان يعلّم أهل الصفة القرآن»**[1] وأهل الصفة هم فقراء المهاجرين والطارئين على المدينة من المسلمين في عهد النبي ﷺ، كانوا يقيمون في صفة المسجد النبوي وكان يخالطهم بعضُ مُحِبِّي ملازمة المسجد. والذين شاركوا في هذه الإقامة والمخالطة فاكتسبوا هذه النسبة يبلغون نحو المئة[2]. لكن الذين كانوا يجتمعون منهم في المسجد معًا كانوا عشرات يزيدون أو ينقصون. وواضح أنهم كان لديهم فراغ كبير. وكانوا يستغلونه في حفظ القرآن وذكر الله تعالى.

وكان الرسول ﷺ يقرئهم القرآن الكريم أحيانًا، كما كان بعض الصحابة الآخرين يفعل ذلك[3]. ومن هنا وجدنا بينهم من عُرِف بحفظ القرآن الكريم كأبي هريرة، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعقبة بن عامر، وأبي الدرداء، وفضالة بن عبيد، ومعاذ القارئ، وواثلة بن الأسقع وربما غيرهم[4].

- فعبادة بن الصامت أقرأ بعض هؤلاء، ولا بد.

والخبر الثالث:

جاء في الجامع الكبير للسيوطي أن عبادة بن الصامت قال «كان رسول الله ﷺ يُشْغَل، فإذا قَدِم الرجل مهاجرًا على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٥٦ – ٢٥٧.

(٢) ذكروا في حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٣٣٩ – ٢/ ٣٣.

(٣) ينظر السابق ١/ ٣٤٢.

(٤) السابق ١/ ٣٣٩، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٧٦، ٢/ ٧، ٨، ١١، ١٧، ٢٠ – على التوالي.

القرآن. فدفع إليّ رسول الله ﷺ رجلاً (فكان) معي في البيت أُعَشِّيه عَشاء البيت وكنت أقرئه القرآن»[1].

فهذا خبر محدد يعين أن عبادة كان من حفاظ القرآن الذين يثق رسول الله ﷺ في حفظهم، ويَكِلُ إليهم تعليم الداخلين في الإسلام القرآن.

الخبر الرابع:

هو ما جاء في طبقات ابن سعد تكملة للخبر الأول المقتبس منها هنا: أنه لما كان زمن عمر بن الخطاب كَتَبَ إليه وَالِيهِ على الشام يزيدُ بن أبي سفيان:أن أهل الشام قد كثرُوا ورَبَلوا وملئوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويُفَقِّههم. فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم. فدعا عمر أولئك الخمسة (معاذًا، وعبادة، وأبيًّا، وأبا أيوب، وأبا الدرداء) فقال لهم إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم. إن أَجَبْتم (أي إن استجبتم كلُّكم) فاستهموا (أي اختاروا ثلاثة بالقرعة)، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا. فقالوا: ما كنا لنتساهم. هذا شيخ كبير – لأبي أيوب، وأما هذا فسقيم – لأبي بن كعب. فخرج معاذ، وعبادة، وأبو الدرداء ... فقدِموا حمص فكانوا بها. حتى إذا رَضُوا من الناس أقام بها عبادة، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين. فأما معاذ فمات عام طاعون عمواس (١٨هـ)، وأما عُبَادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء

---

(١) الجامع الكبير (مخطوط) ٢/ ٤٢٤.

فلم يزل بدمشق حتى مات»[1] وتكملة الخبر أن عُبادة هو أول من وَلِي قضاء فلسطين. وأنه توفى ببيت المقدس – وقيل بالرملة – سنة أربع وثلاثين، وهو ابن ثنتين وسبعين سنة[2].

هذا ما بلغنا من المعالم القرآنية في سيرة عبادة بن الصامت ﷺ. وهي وإن خلت من تصريح بقراءة عبادة على مولانا رسول الله ﷺ فإنها تكاد تنطق به:

١ – إن قدم إسلام عبادة، بحيث كان ممن شهد بيعتي العقبة.

٢ – وبروز شخصيته بين أهل البيعتين، بأن كان نقيبًا في البيعة الثانية.

٣ – واهتمامه المبكر بحفظ القرآن الكريم، بحيث كان ممن حفظه استظهارًا في حياة النبي ﷺ.

٤ – وإحالة النبي ﷺ إليه بعض الداخلين حديثًا في الإسلام ليقرئهم القرآن.

٥ – وإقراؤه أهل الصفة – وهو عمل عامّ لا يمارَس إلا بإذنٍ أو إقرار من ولي الأمر ﷺ.

٦ – ثم اختيار عمر ﷺ له ضمن صُحبة قرءوا على الرسول ﷺ بتصريح الذهبي أشهر مؤرخي قراء القرآن الكريم كأُبَيّ، وأَبي الدرداء. أو ببحثنا كمعاذ وأَبي أيوب أحد الذين حفظوا القرآن كلّه عن ظهر قلب في حياة النبي ﷺ – مما يعني – على الأقل – أنه كان مشهورًا بحفظ القرآن الكريم ...

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٥٧. وقد ذكرت خلاصة هذا الخبر في تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٢٥٧.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٥٧.

كل ذلك يرجح قراءة عبادة ﷺ على الرسول نفسه ﷺ. ويؤيد هذا الترجيح أن كل ما ذكرناه يؤكد قربه من الرسول ﷺ بحيث يصعب تصديق أنه أخذ القرآن عن غيره ﷺ، وبخاصة أنه لم يُذْكَر في أخبار الصحابة المصرَّح بعرضهم القرآن على الرسول ﷺ أو غيرهم أن أيًا منهم أقرأ عُبادة القرآن. فمن الراجح المؤيد بالأمور السابقة أن عبادة ﷺ أخذ القرآن عن النبي ﷺ مباشرة. ولا يقدح في هذا الاستنتاج أنه لم يصل إلى علمنا خبر بأنه ﷺ في رأس سند أيٍّ من القراء العشرة.

١٠ - استدراك عقبة بن عامر الجهني:

هو الصحابي الجليل عقبة بن عامر بن عبس الجهني .. (ت٥٨هـ).

وأسس استدراكه هنا على ما يلي:

أ - أنه كان من أهل الصفة أو مخالطًا لهم. وأهل الصفة كان رسول الله ﷺ يقوم (= يقف) عندهم ويقرأ عليهم القرآن، كما كان بعض حفاظ القرآن يتلون على أهل الصفة القرآن[(١)].

ب - جاء في الجامع الكبير ما يعني قربه من رسول الله ﷺ، وأنه ﷺ قرأ عليه الإخلاص والمعوذتين وبيّن له فضلهن[(٢)].

جـ - جاء في شرح السنة للبغوي عن عن عقبة بن عامر أنه قال: اتبعت النبي

---

(١) ينظر عن أهل الصفة حلية الأولياء ١/ ٣٣٩ - ٢/ ٣٣ وينظر عن عقبة خاصة ١/ ٣٤١، ٢/ ٨.

(٢) ينظر الجامع الكبير للسيوطي مسند عقبة بن عامر في الجامع المخطوط ٢/ ٥٦٨ - ٥٦٩.

ﷺ وهو راكب فوضعت يدي على قدمه فقلت له: أَقْرأُ من سورة «هود» أو من سورة «يوسف»؟ قال: لن تقرأ بشيء أبلغ عند الله من ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾»[1].

د – وعن عبد الرحمن الحبلي أنه سمع عقبة بن عامر يقول (قال: وكان عقبة أحسن الناس صوتًا بالقرآن) قال عمر: يا عقبة: اعرض عليّ سورة. قال فعرض عليه «براءة من الله ورسوله» أي سورة التوبة[2].

هـ – أن عقبة بن عامر ذكر ضمن الذين حفظوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ[3].

و – أن عقبة بن عامر وصف «**بالقارئ**» مرتين وذلك في ترجمته في تهذيب التهذيب. وجاءت إحدى المرتين في السياق التالي «قال أبو سعيد بن يونس: كان قارئًا، عالمًا بالفرائض (: المواريث) والفقه، فصيح اللسان شاعرًا، كاتبًا. وكانت له السابقة والهجرة: وهو أحد من جمع القرآن (أي في عهد النبي ﷺ)، **ومصحفه بمصر إلى الآن بخطه** – على غير التأليف الذي في مصحف عثمان وفي آخره بخطه «وكتب عقبةُ بن عامر بيده». وجاء في تهذيب التهذيب أيضًا «وَلِيَ إِمْرة مصر من قِبَلِ معاوية سنة ٤٤هـ». جمع له معاوية **الصلاة** والخراج. وكان **قارئًا** فقيهًا مُفَرِّضًا شاعرًا[4].

---

(١) «شرح السنة» ٤/ ٣٧٩.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد ٧٩.

(٣) ينظر ذلك المبحث في كتابنا هذا.

(٤) ينظر تهذيب التهذيب ٧/ ٢٤٢ – ٢٤٤، وينظر أيضًا الطبقات الكبرى لابن سعد (تحـ محمد عبد القادر عطا) ٤/ ٢٥٦، ٧/ ٣٤٥.

ز – كل ما ذكرناه عنه هنا مهم يدفع إلى استدراك اسمه، ولكن عدم ذكر من قرأ عليه يقف دون نصب لوائه هنا. فمن وجد ذلك فلينصب لواءه رأسَ سند في القراءات.

أهمية طبقة عارضي القرآن الكريم على النبي ﷺ مباشرة:

مما سبق يعلم أننا أضفنا إلى الصحابة السبعة الذين ذكر الذهبي أنهم عرضوا القرآن على النبي ﷺ وعرض عليهم غيرهم – خمسة آخرين من بين العشرة الذين استدركناهم وهم عمر بن الخطاب، وواثلة بن الأسقع، ومعاذ بن جبل، وفَضالةُ بن عبيد، وأنس بن مالك – رضي الله عنهم جميعًا، وبهم صار الذين صرحت المصادر التاريخية المتاحة بتحقق الشرطين فيهم: عَرْضِهم القرآن (كله أو أكثره) على النبي ﷺ، ثم عَرْضِ آخرين معينين من سلاسل إسناد القراء العشرة عليهم .. صاروا اثني عشر صحابيًا.

ولا يخفى أن تحقق الشرط الأخير في هؤلاء الخمسة – بعد تحقق الشرط الأول – هو الذي سنَّى أن يكون كل من هؤلاء الخمسة رأسَ إسناد لقارئ أو أكثر من القراء العشرة الذين اعتمدت الأمة قراءاتهم – حسب ما بيّنا، وأنّ تخلف هذا الشرط نفسه بالنسبة لغير الخمسة (أعني التصريح بإقرائهم أشخاصًا معينين ممن دخل في سلاسل الإسناد)، أو عدم الاطمئنان إلى تحقق عَرْضهم قدْرًا كافيًا من القرآن على الرسول ﷺ (كما في حالة ابن عمر)، أو فقد وضوح وجود الشخصية (كما في حالة الشهاب القرشي) هو الذي جعلنا لا نضم غير الخمسة إلى المستدركين على الذهبي وذلك التزامًا بالضوابط العلمية في هذا الأمر الخطير – أمر تسلسل إسناد نقل النص القرآني الكريم.

بعد هذا التوضيح نذكر – من باب التوكيد لما ذكرنا والإبراز لما يستخلص مما ذكرنا – عددًا من وجوه أهمية طبقة العارضين على النبي ﷺ مباشرة. وهي:

١ – أول وجوه أهمية هذه الطبقة أنها هي التي تلقت القرآن الكريم مباشرة عن متلقيه عن الله عز وجل سَكْبًا في القلب أو بواسطة جبريل عليه السلام.

٢ – أن هذه الطبقة تلقت القرآن مشافهة لا بالكتابة. لأن الرسول ﷺ كان أميًّا لا يقرأ المكتوب. ومع أنه ﷺ كان يأمر بكتابة ما يوحى إليه من القرآن فورَ نزوله، فإن هذه الطبقة صُرِّح في تاريخ كل من أفرادها بأنه عرض القرآن على رسول الله ﷺ أو أن الرسول ﷺ أقرأه، أو أنه أخذ القرآن عن الرسول ﷺ. وحصيلة هذه العبارات واحدة وهي التلقي الشفاهي المباشر عنه ﷺ بما يترتب على ذلك من كون العبارات وكلماتها وحروفها كلها مُتَلَقَّاة بأعيانها عنه ﷺ.

وتفسير ما قد يوجد من روايات باختلاف كلمات من قراءة بعض من رجال هذه الطبقة عن نظائرها من قراءة غيره هو نزول القرآن على سبعة أحرف، فكان الرسول ﷺ ربما أقرأ هذا بحرف ما (= كلمة في آية) غير الحرف الذي أقرأ الآخَر به، أو ربما وقع ذلك إقرارًا أو إجازة بها عُلم أن الكل منزل من عند الله على رسول الله ﷺ. وأيًّا كان فهي كلمات محدودة العدد جدًّا.

٣ – **وثالث هذه الأمور المهمة بالنسبة لأفراد هذه الطبقة أنهم جميعًا أقرءوا** جيلًا من الصحابة والتابعين عرضوا عليهم القرآن كما عرضوا هم على رسول الله ﷺ: أي أنهم نقلوا ما تلقَّوْه بمشافهة رسول الله ﷺ إلى ذلك الجيل، ثم نقل ذلك الجيل إلى من بعده حتى انتهى الأمر إلى عشرة من أئمة القراءات اعتمدت

الأمة قراءاتهم. ثم مِن هؤلاء الأئمة ومَن أخذوا عنهم تلقت الأجيال التالية إلى يومنا هذا القرآن الكريم تقرؤه كما قرأه رسول الله ﷺ بنفس آياته بكلماتها وبأعيان حروفها، ويستمر ذلك - إن شاء الله تعالى إلى أن يبدل الله الأرضَ غيرَ الأرض والسماء.

٤ - ورابع تلك الأمور وهو نتيجة أو ثمرة للأمور السابقة - أنه ليس هناك أدنى مجال لأي أحد أن يدعي أنه حدث تغيير أو اختلاف في مفردات القرآن أو حروف تلك المفردات بضبوطها الأساسية عما تُلُقِّيَ عن رسول الله ﷺ. ولا يستثنى من هذا إلا ما يكون من الأداء اللهجي كالإمالة وتخفيف الهمز إلخ، وما أُلْحق بالأداء اللهجي من سنن العرب في كلامها، أو يكون مما تُلُقِّى عن النبي ﷺ في نطاق حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» كما أسلفنا منذ قليل. ثم كل ما يُدَّعَى بعد ذلك من اختلاف أو تغيير فهو محض افتراء واختلاق ليس له أي أساس علمي.

٥ - وأخيرًا - وهو أمر بالغ الأهمية - أن العدد الذي استدركناه يجعل طبقة العرض المباشر - وهي أهم الطبقات على الإطلاق - تزيد عن الحد الأدنى من العدد الذي يتحقق به تواتر النقل زيادة بيّنة - عند الذين قالوا إن ثبوت القرآن يكون بالتواتر مع العدالة وحدّدوا العدد. فقد قيل إن «الأصح أن مازاد على الأربعة صالح لتحقق التواتر .. فأقل عدده خمسة .. وقيل عشرة، وقيل اثنا عشر..»[1] فشرط العدد متوفر بتمكن إذ بلغوا اثني عشر صحابيًّا. وشرط

---

(١) ينظر: «غاية الوصول شرح لب الأصول» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (عيسى الحلبي) ٩٥ - ٩٦، وتقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جُزَيّ (تحـ محمد علي فركوس/ دار الأقصى) ١١٩.

العدالة متوفر بتمكن أيضًا. لأن الصحابة كلهم عدول. وهؤلاء من أكابر الصحابة، ومن أقربهم إلى رسول الله ﷺ، وقد جمعوا مع الصحبة أنهم من أهل القرآن، بل هم أهلوه الأولون.

أما عند الذين قالوا إن ثبوت القرآن هو بصحة السند مع الاستفاضة[1]، فالأمر أوضح. فهؤلاء كل منهم صحيح التلقي عن رسول الله ﷺ، وكل منهم عدل ضابط بالصحبة وبالحيثيات التي ذكرناها. والاستفاضة متحققة بعددهم من ناحية، وبالذين تلقوا عنهم ثم عن هؤلاء المتلقين إلى ما شاء الله – من ناحية أخرى، ثم بالذين حفظوا النص الكريم نفسه عن ظهر قلب في حياة الرسول ﷺ، وبعشرات الألوف من المسلمين الذين حفظوا أبعاضا من النص الكريم نفسه في ذلك العصر المبكر، ثم بحفظ ملايين المسلمين نص القرآن الكريم أو أبعاضه في العصور التالية إلى عصرنا هذا.

---

(١) عالجت مبحث التواتر أو صحة السند هذا في كتابي (تحقيقات في التلقي والأداء) فانظره إن شئت.

الفصل الثالث
طبقة الصحابة والتابعين الذين عرضوا على الطبقة الأولى التي عرضت على رسول الله ﷺ مباشرة

أ- الصحابة والتابعون الذين ذكرهم الذهبي في هذه الطبقة:

هؤلاء الذين جعلهم الذهبي الطبقةَ الثانيةَ بأنهم عرضوا القرآن على طبقة الصحابة الذين خصهم بالعرض على رسول الله ﷺ = نذكرهم بإيجاز، تأريخًا، ثم توطئة لإلحاق من استدركناهم من هذه الطبقة بهم - بعد مَن استدركناهم من الطبقة الأولى.

☐ **فأولهم الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر**: وهو من الشهرة عند المسلمين بحيث لا يُظَنّ أن هناك مسلمًا لم يسمع باسمه في خطبة أو حديث ديني، وذلك لكثرة ما روى عن حديث رسول الله ﷺ. أسلم سنة سبع. وقرأ القرآن على الصحابيّ الجليل أبيّ بن كعب. وقد حَكَى جماعة من القراء البغداديين أنه قرأ على النبي ﷺ مباشرة، وهذا حَرِيٌّ أن يكون صحيحًا، لتمام انقطاعه - منذ أسلم - إلى صحبته ﷺ وإلى الصُفَّة، فلم يشتغل بتجارة ولا زراعة. عرض عليه القرآن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج - (تابعي ت١١٧/ ١١٩هـ)، وعلى الأعرج هذا عرض **نافع بن أبي نعيم الإمام السبعي**.

وعرض على أبي هريرة أيضًا **الإمام العشري أبو جعفر يزيد بن القعقاع** (تابعي ت ١٣٠هـ) فأبو هريرة في سند قراءة هذين الإمامين، كما أنه في سند قراءة الإمام **أبي عمرو بن العلاء**، لقراءة أبي عمرو على أبي جعفر.

توفى أبو هريرة سنة (٥٧/ ٥٨هـ)[1].

☐ **وثاني من ذكرهم الذهبي في هذه الطبقة هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب** – حبر الأمة، وتَرجُمان القرآن، وأبرز مُبْتَدِئي علوم الإسلام وبخاصة التفسير وعلوم اللغة والفقه. حفظ المحكم (المُفَصَّل) في زمن النبي ﷺ، ثم عَرَض القرآن كله على أُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وقيل إنه قرأ على عليّ بن أبي طالب أيضًا. عرض القرآن عليه مولاه درباس، وسعيدُ بن جبير (٩٥هـ)، وسليمانُ بن قَتّة البصري (تابعي ت في الربع الأخير من القرن الأول تقديرًا) الذي عرض عليه عاصم الجحدري (١٢٨هـ)، كما عرض على ابن عباس أيضًا عكرمةُ بن خالد المخزومي المكي (تابعي ت١١٥هـ)، والإمام العشري المدني أبو جعفر يزيد بن القعقاع (تابعي ت ١٣٠).

وابن عباس في سلسلة سند كل من الأئمة أبي جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبي عمرو بن العلاء .. ولد ابن عباس في مكة قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفى بالطائف سنة (٦٨هـ)[2].

☐ **وثالث من ذكرهم الذهبي في هذه الطبقة هو الصحابي عبد الله بن السائب بن أبي السائب صيفي بن عابد المخزومي.**

قال عنه الذهبي إنه من (شُبّان) الصحابة – يعني الذين تحققت لهم الصحبة

---

(١) ينظر – في ما ذكرناه هنا عن أبي هريرة – معرفة القراء الكبار ١/ ٤٣ – ٤٤، وغاية النهاية ١/ ٣٧٠، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٣٣٩ و٣٧٦ – ٣٧٨.

(٢) ينظر – بشأن ما ذكرناه هنا عن ابن عباس معرفة القراء الكبار ١/ ٤٥ – ٤٦، وغاية النهاية ١/ ٤٢٥ – ٤٢٦، ٥١٥ بالإضافة إلى ما ذكرناه هنا عن أسناد أئمة القراءات.

وهم صغار السن فحسب، وتوفى النبي ﷺ قبل مجاوزتهم سن الشباب. والسائب والد عبد الله صحابي أيضًا[١]. روى عبد الله القراءة عرضًا عن أبيّ بن كعب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وعرض عليه القرآن مجاهد بن جبر، وعبد الله بن كثير - الإمام السبعي. وعبد الله بن السائب في سند الإمامين السبعيين ابن كثير وأبي عمرو بن العلاء. توفى عبد الله بن السائب قبل سنة سبعين هـ[٢].

□ ورابع من ذكرهم الذهبي هو التابعي: **المغيرة بن أبي شهاب المخزومي**. وقد قرأ المغيرة هذا على عثمان بن عفان ﷺ، وقرأ على المغيرة **الإمام السبعي عبدالله بن عامر اليحصبي** (ت١١٨هـ). والمغيرة في سند هذا الإمام وحده.

توفى المغيرة سنة إحدى وتسعين، وله تسعون سنة[٣].

□ وخامس من ذكرهم الذهبي في هذه الطبقة هو التابعي **حِطَّان بن عبد الله الرَّقاشيّ** (أو السدوسي) البصري. قرأ على أبي موسى الأشعري، وقرأ عليه الحسن البصري. وحِطان في سند قراءة الإمام أبي عمرو بن العلاء، بواسطة

---

(١) كون السائب والد عبد الله بن السائب أسلم فكان صحابيًا نقطة خلافية (ينظر تهذيب التهذيب ٣/ ٤٤٩) وقد حلل د. إبراهيم راشد في كتابه «أبو السائب المخزومي أخباره ونقداته» ص١٤ - ١٧ الأخبار الخاصة بهذه النقطة، وأثبت إسلامه وبقاءه إلى خلافة معاوية، وبيَّن الأئمةَ المتقدمين الذين قَضَوا بذلك.

(٢) الأخبار عن عبد الله بن السائب من «معرفة القراء الكبار» ١/ ٤٧ - ٤٨، وغاية النهاية ١/ ٤١٩ - ٤٢٠ وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٢٩.

(٣) ينظر عن المغيرة «معرفة القراء الكبار» ١/ ٤٨ - ٤٩ «وغاية النهاية» ١/ ٣٠٥ - ٣٠٦.

الحسن عن حطان. توفي حطان سنة بضع وسبعين هـ[1].

❑ وسادس من ذكرهم الذهبي من هذه الطبقة: **الأسود بن يزيد النخعي**. (توفي سنة خمس وسبعين هـ) أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن مسعود، وقرأ عليه يحيى بن وثاب الأسدي (ت١٠٣هـ) وأبو إسحاق السبيعي (ت١٣٢هـ) وإبراهيم النخعي (٩٦/ ٩٥هـ). والأسود في سند قراءة الإمام حمزة بن حبيب بقراءة حمزة على السبيعي عنه، وعلى الأعمش وطلحة عن إبراهيم عنه، وعن حمران عن يحيى بن وثاب عنه. كما أن الأسود في سند قراءة الإمام الكسائي بقراءة الكسائي على حمزة، وقراءته على طلحة بن مصرف عن يحيى بن وثاب عن الأسود، وفي سند خلف بقراءته على سليم عن حمزة[2].

❑ وسابع من ذكرهم الذهبي من هذه الطبقة: **علقمة بن قيس النخعي** الفقيه. ولد في حياة النبي ﷺ. أخذ القرآن عرضا عن عبد الله بن مسعود. وكان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن. وكان ابن مسعود يقول: لو رآك رسول الله ﷺ لسُرَّ بك. قام بالقرآن في ليلةٍ عند البيت. توفي علقمة سنة اثنتين وستين. عرض عليه إبراهيم النخعي. وأبو إسحاق السبيعي، وعُبيد بن نَضْلة، ويحيى بن وثاب[3].

---

(١) ينظر عنه معرفة القراء الكبار ١/ ٤٩، وغاية النهاية ١/ ٢٥٣ – ٢٥٤، و٢٣٥، ٢٨٨ – ٢٨٩.

(٢) معرفة القراء الكبار ١/ ٥٠، وغاية النهاية ١/ ١٧١. ثم تنظر ترجمات المذكورين في فقرة الأسود بن يزيد هذه في غاية النهاية.

(٣) معرفة القراء الكبار ١/ ٥١ – ٥٢، وغاية النهاية ١/ ٥١٦. ثم ٢٦٢.

وعلقمة في سند قراءة الإمام السبعي حمزة بواسطة قراءته على السبيعِيّ عنه، ثم في سند قراءة الإمامين عليّ بن حمزة الكسائي وخلف العاشر بأخذهما عن الإمام حمزة.

□ وثامن من ذكرهم الذهبي في هذه الطبقة. **أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ** وهو عبد الله بن حبيب بن ربيعة. لأبيه صحبة، قال: «والدي علمني القرآن. فإن أبي كان من أصحاب رسول الله ﷺ قد شهد معه». عرض أبو عبد الرحمن القرآن على عثمان، وعليّ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبيّ بن كعب. رضي الله عنهم.

روى أنه كان يقرأ على عثمان ويسأله، وكان وَلِيَّ الأمر، فشق عليه، فقال له إنك تَشْغَلني عن أمر الناس، فعليك بزيد بن ثابت فإنه يجلس للناس، ويتفرغ لهم. قال وكنت أَلْقَى عليا فأسأُله فيخبرني ويقول عليك بزيد بن ثابت، فأقبلت على زيد فقرأت عليه القرآن ثلاث عشرة سنة. توفى سنة (٧٠/ ٧٢/ ٧٣/ ٧٤/ ٨٥هـ) وهو ابن تسعين سنة، أخذ القرآن عن عبد الرحمن السلمي عَرْضا عاصم بن أبي النجود، وعطاء بن السائب، وأبو إسحاق السبيعي، ويحيىٰ بن وثاب وغيرهم، والحسن والحسين رضي الله عنهما. قال ابن مجاهد: أول من أقرأ الناس بالكوفة القراءة المجمع عليها (أي الموافقة للرسم العثماني بعد نسخ المصاحف به والإجماع عليه) أبو عبد الرحمن السلمي.

وقد ظل يقرئ الناس في المسجد الأعظم (أي مسجد الكوفة) أربعين سنة من زمن عثمان (المتوفى ٣٥هـ) إلى أن توفى. وقال: صمت لله ثمانين رمضان.

وأبو عبد الرحمن السلمي في سند الأئمة الكوفيين عاصم مباشرة، ثم حمزة بواسطة قراءته علي السبيعي[1]، ثم الكسائي وخلف بواسطة حمزة

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/ ٥٢ – ٥٧، وتهذيب التهذيب ٥/ ١٨٣ – ١٨٤. وغاية النهاية =

حسب ما في الكلام عن علقمة.

☐ **وتاسع من ذكرهم الذهبي من هذه الطبقة عبد الله بن عياش بن أبي** ربيعة المخزومي المكي ثم المدني. ولد بالحبشة وقيل إنه رأى النبي ﷺ. أخذ القرآن عرْضا عن أبيّ بن كعب. توفي بعد سنة سبعين وقيل سنة ثمان وسبعين. روى القراءة عنه عرْضا مولاه أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وشيبة بن نِصاح، وعبد الرحمن بن هرمز، ومسلم بن جُنْدُب، ويزيد بن رومان. قال ابن الجزري وهؤلاء الخمسة شيوخ نافع. وكان أبو جعفر أقرأ أهل المدينة في زمانه. فعبد الله ابن عياش في سند قراءة الأئمة: **أبي جعفر** مباشرة، ونافع بواسطة شيوخه هؤلاء، وأبي عمرو بواسطة أبي جعفر وشيبة ويزيد بن رومان[1].

☐ **وعاشر من ذكرهم الذهبي من هذه الطبقة أبو رجاء العُطاردي** عمران ابن تيم ويقال ابن مِلحان. ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة. أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره. تلقن القرآن من أبي موسى الأشعري، وعرض على ابن عباس. ولقي أبا بكر الصديق وحدّث عن عمر. توفي سنة خمس ومئة، وله مئة وسبع وعشرون سنة وقيل مئة وثلاثون. قرأ عليه القرآن أبو الأشهب العُطاردي. وأبو رجاء العطاردي في سند قراءة الإمام البصري يعقوب الحضرمي بقراءة يعقوب على أبي الأشهب، وقراءة أبي الأشهب على أبي رجاء هذا[2].

= ١/ ٤١٣ – ٤١٤، ثم ٢٦١.

(١) ينظر معرفة القراء الكبار ١/ ٥٧ – ٥٨، وغاية النهاية ١/ ٤٣٩ – ٤٤٠ ثم ٢٨٩.

(٢) معرفة القراء الكبار ١/ ٥٨ – ٥٩، غاية النهاية ١/ ٦٠٤ ثم ١٩٢ و٢/ ٣٨٦.

❑ **وحادي عشر من ذكرهم الذهبي من هذه الطبقة أبو الأسود الدُّؤَلي ظالم** ابن عمرو بن سفيان. قاضي البصرة. أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره. أخذ القراءة عرضا عن عثمان، وعليّ. توفى في طاعون الجارف سنة ٦٩هـ[1]. روى القراءة عنه ابنه **أبو حرب**، **ويحيىٰ بن يعمر**، **ونصر بن عاصم**.

وأبو الأسود في سند قراءة الإمامين: أبي عمرو بواسطة يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، وحمزة بواسطة حُمران بن أعين عن أبي حرب.

❑ **وثاني عشر من ذكرهم الذهبي من هذه الطبقة أبو العالية الرياحي** رفيع ابن مهران البصري. أسلم في خلافة أبي بكر ودخل عليه، وصلى خلف عمر وروى عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم جميعًا. عرض على عمر (وعرضه عليه محقق موثق – لا معنى لإغفاله)، وعلى أبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن عباس. وهو من أوعية العلم في عصره. توفي سنة تسعين، وقيل ست وتسعين.

قال الذهبي: كان أبو العالية إمامًا في القرآن والتفسير والعلم والعمل. وقال ابن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن منه، وبعده سعيد بن جبير، وبعده السُّدِّيّ، وبعده الثَّوْري. وقال أبو العالية: كنت آتي ابنَ عباس وهو أمير البصرة فيجلسني على السرير. قرأ على أبي العالية شعيبُ بن الحبحاب، والحسنُ بن الربيع بن أنس والأعمشُ، وأبو عمرو – على الصحيح.

فأبو العالية في سند الأئمة أبي عمرو – مباشرة، وحمزة والكسائي بواسطة الأعمش، ومن ثم خلف العاشر، ويعقوب بواسطة قراءة يعقوب على مهدي بن

---

(١) ينظر معرفة القراء الكبار ١/ ٥٩ – ٦٠، وغاية النهاية ١/ ٣٤٥ – ٣٤٦، ثم ٢٦١، ٢/ ٣٣٦، و٣٨١.

ميمون عن شعيب بن الحبحاب عن أبي العالية [1].

وأبو العالية آخر من ذكرهم الذهبي من هذه الطبقة. ثم قال بعد ذكره «فهؤلاء الذين دارت عليهم أسانيد القراءات المشهورة ورواياتهم. والله أعلم» [2] .. ثم لم يبين هو كيف دارت عليهم أسانيد القراءات المشهورة – وذلك عدا بعض إشارات لا تكفي في هذا الغرض. وقد بينّا نحن ذلك تفصيلًا.

وسنجد أن هناك آخرين استدركناهم من هذه الطبقة هم أيضًا ممن دارت عليهم أسانيد القراءات العشر، ثم بيّنّا موقع كل منهم في تلك الأسانيد.

ب – المستدركون من الطبقة الثانية

الضابط الذي وضعه الإمام الذهبي للطبقة الثانية ذو شقين:

أ – أن يكون الواحد منهم عَرَض القرآن على واحد (أو أكثر) من أهل الطبقة الأولى، وهم الصحابة الذين قَصَر عليهم الذهبي عرض القرآن على رسول الله ﷺ.

ب – الشق الآخر ذَكَره بعد ذكر أسمائهم والتعريف بشيء من أخبار كل منهم وهو قوله «فهؤلاء الذين دارت عليهم أسانيد القراءات المشهورة ورواياتهم (كذا) والله أعلم» [3] اهـ وهو يقصد بالقراءات المشهورة القراءات

---

(١) معرفة القراء الكبار ١/ ٦٠ – ٦١، وغاية النهاية ١/ ٢٨٤ – ٢٨٥. وفيهما الروايات الموثقة لعرضه القرآن على عمر ﷺ.

(٢) معرفة القراء الكبار ١/ ٦١.

(٣) الشق الأول في «معرفة القراء الكبار» ١/ ٤٣ في رأس الكلام عن هذه الطبقة، والشق الآخر في آخر الكلام عن هذه الطبقة ١/ ٦١.

العشر كما صرح في خاتمة كلامه عن الطبقة الأولى. وقوله ورواياتهم لعله يقصد ورواياتها أي روايات تلك القراءات الزائدة عن المشهورة.

- وسألتزم في هؤلاء الذين أستدركهم بذلك الضابط بشقيه، فلا آتي إلا بمن قرأ على أحد من صحابة الطبقة الأولى، وله – مع ذلك – ذكر في سند إمام أو أكثر من أئمة القراءات العشر الذين اعتمدتهم الأمة، وأتتبع ذلك حتى أُبيّن موقعه من تلك الأَسناد.

- وسأقتصر من أخبارهم على الجانب القرآني، وبخاصة ما يتحقق الضابط بشقيه فيه. ولم أستثن من هذا الالتزام إلا حالة واحدة هي حالة أم الدرداء فجعلتها في آخر المستدرَكين لأن أحد الذين قرءوا عليها كان لقراءته صورة من الامتداد – كما سيأتي.

- وقد نظرت في ترتيب عرضهم هذا إلى سبق إدراكهم العصر النبوي (المختلف في صحبتهم، ثم التابعيون الكبار، ثم سائر التابعين).

١ – الصحابي أو التابعي: عُبَيد بن نَضْلة الخُزَاعي

عبيد بن نضلة، أبو معاوية الخزاعي. تابعي ثقة. أخذ القراءة عرضًا عن عبد الله ابن مسعود. وعرض أيضًا على علقمة بن قيس. روى القراءة عنه عرضًا يحيىٰ بن وثاب، وحُمران بن أعين. وكان مقرئ أهل الكوفة في زمانه. وقال عنه الكسائي: كان من خيار أصحاب عبد الله (بن مسعود). قال عاصم لتلميذه أبي بكر بن عياش: «ألاَ تقرأ عَلَيّ كما قرأ يحيى (بن وثاب) على عبيد بن نضلة كل يوم آية»!. توفى في حدود سنة خمس وسبعين. قال عنه الذهبي إنه مختلف في صحبته[١].

---

(١) عن غاية النهاية ١/ ٤٩٧ – ٤٩٨ وينظر معرفة القراء الكبار للذهبي ترجمة يحيى بن وثاب.

وعُبَيْد بن نَضْلة هذا في سند الإمام السبعي حمزة الزيات – بقراءة حمزة على حمران بن أعين عن عبيد بن نضلة. وكذلك بقراءة حمزة على سليمان الأعمش عن يحيى بن وثاب الذي قرأ على عبيد بن نضلة. ومن ثم يكون في سند الإمام خلف ابن هشام بقراة خلف على سليم بن عيسى عن حمزة.

كذلك فإن عبيد نضلة في سند قراءة الإمام السبعي على بن حمزة الكسائي، وذلك بقراءة الكسائي على طلحة بن مصرف الذي قرأ على يحيى بن وثاب عن عُبيد بن نضلة[1]، وكذلك بقراءة الكسائي على حمزة عن حمران بن أعين عن عبيد بن نضلة».

٢- التابعي الكبير: عَبِيدة بن عمرو السَّلْماني

عَبِيدة بن عمرو (ويقال ابن قيس) السَّلْماني أبو مسلم وقيل أبو عمرو الكوفي التابعي الكبير، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره فهو من المخضرمين. أخذ القراءة عرضًا عن عبد الله بن مسعود .. أخذ القراءة عنه عرْضًا إبراهيم بن يزيد النخعي، وأبو إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبِيعي. توفى سنة اثنتين وسبعين[2].

وعبيدة السلماني هذا في سند قراءة الإمامَين السَّبْعيين: حمزة الزيات الذي قرأ على السَّبيعي عن عَبيدة، وعلى بن حمزة الكسائي الذي قرأ على طلحة بن مصرف عن إبراهيم بن يزيد النخعي عن عبيدة هذا.

وبوجود عبيدة السلماني في سند الإمام حمزة يكون في سند الإمام خلف بن

---

(١) ينظر ترجمة حمران بن أعين ويحيى بن وثاب في غاية النهاية ٢/ ٣٨٠، ١/ ٢٦١ على التوالي.

(٢) غاية النهاية ١/ ٤٩٨.

هشام أيضًا، لأن خلفًا أخذ قراءة حمزة بقراءته على سليم بن عيسى عنه[1].

٣- التابعي الكبير: زِرّ بن حبيش الكوفي

زر بن حبيش بن حُبَاشة أبو مريم الأسدي الكوفي. عرض على عبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب عرض عليه عاصم بن أبي النَّجُود، وسليمان الأعمش وأبو إسحاق السَّبِيعي ويحيى بن وثاب. قال عاصم: ما رأيت أقرأ من زر. وكان ابن مسعود يسأله عن العربية يعني عن اللغة. توفي عام الجماجم (٨٣هـ) وهو ابن اثنتين وعشرين ومئة سنة، أي أنه ولد قبل الهجرة بأربعين سنة. وقال ابن عبد البر «كان عالمًا بالقرآن، قارئًا، فاضلًا»[2].

وكما هو واضح فإنه شيخ مباشر للقارئ السبعي عاصم بن أبي النجود. ثم هو في سند قراءة الإمام حمزة بقراءة حمزة على سليمان بن مهران الأعمش [3] وعلى أبي إسحاق السبيعي اللذين قرآ على زر بن حبيش، وبقراءة حمزة على يحيى ابن وثاب عن زِرّ. كما أن زر بن حبيش في سند قراءة الإمامين على بن حمزة الكسائي وخلف بن هشام بقراءتهما على حمزة: الكسائي قرأ على حمزة مباشرة، وخلف بواسطة سليم بن عيسى عن حمزة. وأخيرًا فإن زر بن حبيش في سند

---

(١) تنظر ترجمة إبراهيم بن يزيد النخعي، وأبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي في غاية النهاية ١/ ٩ و٦٠٢.

(٢) غاية النهاية ١/ ٢٩٤، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣٢١ – ٣٢٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٦١. ولم يذكر في معرفة القراء الكبار.

(٣) توثيق قراءة الأعمش على زر في ترجمة زر في غاية النهاية ١/ ٢٩٤ وتوثيق قراءة حمزة على سليمان الأعمش في غاية النهاية ١/ ٣١٥.

قراءة الإمام يعقوب، وذلك لأن يعقوب قرأ على سلام بن سليمان المزني الطويل الخراساني (ت١٧١هـ)، وسلام قرأ على الإمام عاصم بن أبي النجود الذي قرأ على زِرّ بن حبيش مباشرة كما ذكرنا[(١)].

٤- التابعي الكبير سعد بن إياس

هو سعد بن إياس: أبو عمرو الشيباني الكوفي. قال عنه في غاية النهاية: أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره، عرض على عبد الله بن مسعود - عرض عليه **يحيىٰ ابن وثاب، وعاصم بن أبي النجود**. توفي سنة ٩٦هـ أو نحوها وله مئة وعشرون سنة»[(٢)].

واضح أن سعد بن إياس هذا شيخ مباشر للإمام السبعي عاصم بن أبي النجود. وعن طريق يحيى بن وثاب وصلت قراءة سعد بن إياس **إلى الإمام حمزة** بواسطة قراءة حمزة على سليمان بن مهران الأعمش وحمران بن أعين اللذين قرآ على يحيى بن وثاب. فصار سعد بن إياس في سند حمزة، ثم في سند الإمامين **الكسائي وخلف** عن طريق تلقيهما قراءة حمزة: الكسائي مباشرة، وخلف بواسطة سُلَيم بن عيسى عنه[(٣)].

---

(١) ينظر إسناد قراءة الأئمة حمزة والكسائي وخلف ويعقوب التي ذكرناها في كتابنا هذا.

(٢) غاية النهاية ١/ ٣٠٣، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٥٨ - ولم يترجم له في معرفة القراء الكبار.

(٣) ينظر قراءة الأعمش وحمران على يحيى بن وثاب في سند حمزة الذي ذكرناه هنا.

٥- التابعي الكبير: زيد بن وهب الجهني

زيد بن وهب أبو سليمان الجهني الكوفي. رحل إلى النبي ﷺ فتوفى النبيُّ ﷺ وزيد في الطريق. عرض على عبد الله بن مسعود. وعرض عليه سليمان بن مهران الأعمش، توفى بعد الثمانين[١].

وزيد بن وهب في سند قراءة الإمام حمزة بقراءة حمزة على سليمان بن مهران الأعمش - كما هو صريح هنا، ثم إن زيد بن وهب في سند الإمامين **الكسائي وخلف** بقراءتهما على حمزة: الكسائي قرأ على حمزة مباشرة، وخلف بواسطة قراءته على سليم بن عيسى عن حمزة[٢].

٦- التابعي الكبير عبد الرحمن بن أبي ليلى

عبد الرحمن بن أبي ليلى أبو عيسى الأنصاري الكوفي تابعي كبير. أخذ القراءة عرضًا عن علي بن أبي طالب، وروى القراءة عنه ابنه عيسى. قُتِل بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين[٣].

وعَلَى عيسى بن عبد الرحمن هذا عَرَضَ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (١٤٧هـ) الذي هو من شيوخ حمزة. فيكون عبد الرحمن بن أبي ليلى في سند **الكسائي وخلف** لأخذهما بقراءة حمزة: الكسائي مباشرة، وخلف بواسطة سليم ابن عيسى عن حمزة[٤].

---

(١) ينظر غاية النهاية ١/ ٢٩٩.

(٢) ينظر إسناد قراءة الإمامين الكسائي وخلف التي ذكرناها هنا.

(٣) غاية النهاية ١/ ٣٧٦ - ٣٧٧.

(٤) ينظر سند حمزة المذكور هنا.

٧- التابعي الجليل: عمرو بن شُرَحبيل الهَمْداني

عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمداني الكوفي. تابعي جليل صالح عابد. عرض على عبد الله بن مسعود. (توفي قبل ٦٧هـ) عرض عليه أبو إسحاق السَّبيعي عمرو بن عبد الله، وأبو وائل[١].

□ وعمرو بن شرحبيل هذا في سند قراءة الإمام السبعي حمزة لأن حمزة قرأ على أبي إسحاق السبيعي الذي قرأ على عمرو بن شرحبيل[٢].

□ ومادام عمرو بن شرحبيل في سند حمزة فهو في سند الإمامين على بن حمزة **الكسائي**، **وخلف** بن هشام البزار، وذلك بأخذهما بقراءة حمزة. فالكسائي عن حمزة مباشرة، وخلف عنه بواسطة سليم بن عيسى.

٨- التابعي عاصم بن ضمرة

عاصم بن ضمرة السَّكُوني الكوفي، أخذ القراءة عن عليّ بن أبي طالب. ومعظم روايته عنه وهو ثقة صالح. (توفى عاصم هذا في النصف الثاني من القرن الأول - تقديرًا) روى القراءة عنه عرضًا أبو إسحاق السَّبيعي (ت١٢٨/ ١٣٢هـ). وهو في سند (الإمام) حمزة من قراءة حمزة على السَّبيعي[٣].

ويضاف هنا كذلك أن عاصم بن ضمرة في سند الإمامين **الكسائي** **وخلف** أيضًا لأخذهما بقراءة حمزة: الكسائي مباشرة، وخلف بواسطة سليم بن عيسى[٤].

---

(١) ينظر غاية النهاية ١/ ٦٠١ - ٦٠٢.

(٢) تنظر ترجمة السبيعي في غاية النهاية ١/ ٦٠٢، وينظر سند الإمامين الكسائي وخلف في كتابنا هذا.

(٣) ينظر/ غاية النهاية ١/ ٣٤٩.

(٤) ينظر سند حمزة الذي ذكرناه في كتابنا هذا.

٩- التابعي: عُبَيد بن قيس الكلابي

عُبَيد بن قيس أبو مسلم الكلابي الكوفي. أخذ القراءة عرضًا عن ابن مسعود (توفى عبيد هذا في النصف الثاني من القرن الأول - تقديرًا) . أخذ القراءة عنه عرضًا يحيى بن وثاب (ت ١٠٣هـ). ذكره الحافظ أبو عمرو الداني[١].

وعبيد بن قيس هذا في سند قراءة الإمام السبعي حمزة بقراءة حمزة على سليمان الأعمش وحُمران بن أعين، وهما قرآ على يحيى بن وثاب. وبالتالي فإن عبيد ابن قيس في سند قراءة الإمام **خلف** بن هشام بتلقي خلف قراءة حمزة بواسطة سليم بن عيسى.

كذلك فإن عبيد بن قيس في سند قراءة الإمام علي بن حمزة **الكسائي**. وذلك بقراءة الكسائي على حمزة، ثم بقراءة الكسائي على طلحة بن مصرف الذي قرأ على يحيى بن وثاب عن عبيد بن قيس[٢].

١٠- التابعي الجليل: محمد بن مسلم الزُّهْري

محمد بن مسلم الزُّهْري المدني أحد الأئمة الكبار، وعالم الحجاز والأمصار. قرأ على أنس بن مالك. عرض عليه **نافع بن أبي نعيم في ما حكاه** أحمد بن جبير عن إسحاق المُسَيِّبي عنه. توفى الزهري (١٢٤/ ١٢٣/ ١٢٥هـ)[٣].

---

(١) غاية النهاية ١/ ٤٩٧.

(٢) تنظر ترجمة يحيى بن وثاب وسليمان الأعمش وطلحة بن مصرف، وحمران بن أعين في غاية النهاية ٢/ ٣٨٠ ثم ١/ ٣١٥ و٣٤٣ و٢٦١ على التوالي.

(٣) ينظر عنه غاية النهاية ٢/ ٢٦٢.

❑ فمحمد بن مسلم الزهري في سند قراءة الإمام نافع مباشرة على ما هو مذكور هنا. ثم إن محمد بن مسلم في سند قراءة الإمام السبعي **أبي عمرو** بن العلاء وذلك بقراءة أبي عمرو على نافع بن أبي نعيم عن الزهري(١).

١١- التابعي: عكرمة بن خالد المخزومي

عكرمة بن خالد بن العاص المخزومي المكي. تابعي ثقة جليل حجة (ت١١٥هـ). روى القراءة عن أصحاب ابن عباس ولا يبعد أن يكون عرض عليه فقد روى عنه كثيرًا. وقطع الحافظ أبو العلاء بأنه قرأ عليه **وعلى ابن عمر أيضًا**. عرض عليه أبو عمرو بن العلاء وحنظلة بن أبي سفيان(٢).

وعلى هذا فعكرمة بن خالد في سند القارئ السبعي **أبي عمرو** بن العلاء. ومن هنا فهو كذلك في سند قراءة الإمام **يعقوب** بن إسحاق الحضرمي (ت٢٠٥) أحد الثلاثة المكملين للعشرة، وذلك بقراءة يعقوب على سلام بن سليمان الطويل المزني (ت١٧١)، وقراءة سلام على أبي عمرو بن العلاء(٣).

١٢- التابعي: مسروق بن الأجدع

هو مسروق بن الأجدع بن مالك – (أبو عائشة، ويقال أبو هشام) الهمداني الكوفي (توفى سنة ثلاث وستين). أخذ مسروق القراءة عرضًا عن عبد الله بن مسعود ... روى القراءة عنه عرضًا يحيى بن وثاب. قال مسروق: وكان عبد الله

---

(١) ينظر غاية النهاية ١/ ٣٣١ حيث ذكر قراءة أبي عمرو على نافع.

(٢) ينظر غاية النهاية ١/ ٥١٥ وقد توفي حنظلة هذا (١٥١هـ) غاية النهاية ١/ ٢٦٥ ولم يذكر ابن الجزري هنا أحدًا قرأ على حنظلة.

(٣) تنظر ترجمة يعقوب بن إسحاق ثم ترجمة سلام في غاية النهاية ٢/ ٣٨٦ و١/ ٣٠٩.

يقرئنا في المسجد، ثم يجلس بعدُ يفتي الناس. وقد عد إبراهيم النخعي مسروقًا أحد ستة من أصحاب عبد الله كانوا يقرئون الناس ويعلمونهم[١]: وقول إبراهيم النخعي هذا يُؤَوّل بالذين اشتهروا بذلك. ولا ينفي أن آخرين أيضًا أقرءوا ولو إقراء خاصًّا (أي لأفراد) مقابل التصدر لذلك أمام الجمهور.

وعودًا إلى مسروق فما دام قد عرض عليه يحيى بن وثاب، فإن مسروقًا يكون في سند قراءة الإمام حمزة بقراءة حمزة على سليمان الأعمش وحمران بن أعين – وهما على يحيى بن وثاب عن مسروق، وفي سند قراءة الإمام علي بن حمزة الكسائي بقراءة الكسائي على طلحة بن مصرف الذي قرأ على يحيى بن وثاب عن مسروق، وبقراءة الكسائي على زائدة بن قدامة عن سليمان الأعمش، وعلى عيسى بن عمر الهمداني عن طلحة بن مصرف، وهما (أعني الأعمش وطلحة بن مصرف) قرآ على يحيى بن وثاب عن مسروق[٢] ومادام مسروق في إسناد الإمام حمزة فهو في إسناد الإمام خلف بن هشام أيضًا، لأخذ خلف قراءة حمزة بواسطة سليم بن عيسى.

---

(١) ينظر غاية النهاية ٢/ ٢٩٤ حيث ذكر أسماء ستة، وفي ١/ ٤٥٨ ذكر أسماء اثني عشر ممن قرءوا على ابن مسعود. كلهم تقريبًا أقرءوا أيضًا.

(٢) تنظر تراجم حمران بن أعين وحمزة بن حبيب، وزائدة بن قدامة، وسليمان الأعمش، وطلحة بن مصرف، وعيسى بن عمر الهمداني، ويحيى بن وثاب في غاية النهاية ١/ ٢٦١، ٢٦١ – ٢٦٣، ٢٨٨، ٣١٥، ٣٤٣، ٦١٢، ٢/ ٣٨٠ على التوالي.

١٣- عبد الله بن عامر اليحصبي

هذا إمام من أئمة القراءات السبع، ومتقدم الوفاة (ت١١٨هـ) وإنما أخرناه لأن تلقيه عن صحابة الطبقة الأولى (المباشرة)، أو بالأحرى تلقيه عن سيدنا عثمان خاصة – محل خلاف. لكن غبار هذا الخلاف الخاص غَشِي تلقيه عن أبي الدرداء – وهو من صحابة الطبقة الأولى – الذي تكاد الروايات والشواهد تجزم به[١].

ذكرت قراءة ابن عامر على أبي الدرداء بأسلوب حاسم في التيسير للداني، وبرواية قوية في الإقناع لابن الباذش، وبأخرى قوية في جمال القراء للسخاوي، وفي هذا الأخير روايات بقراءة ابن عامر على معاذ بن جبل، وفضالة بن عبيد، وواثلة بن الأسقع، ومعاوية بن أبي سفيان بل وعلى عثمان نفسه رضي الله عن الجميع.

وقد ذكر أبو بكر بن مجاهد أن عبد الله بن عامر قرأ على المغيرة بن أبي شهاب، وأن المغيرة قرأ على عثمان بن عفان، وذُكر هذا في «تيسير» الداني، و «إقناع» ابن الباذش، و «جمال القراء» للسخاوي.

كذلك ذكر ابن مجاهد رواية قراءته على عثمان نفسه. وذُكر هذا في «تذكرة» ابن غلبون، و «إقناع» ابن الباذش.

ويثبت لنا بعد ذلك كله أن عبد الله بن عامر قرأ على بعض صحابة الطبقة

---

(١) ينظر عن ابن عامر: «السبعة» لابن مجاهد ٨٥ – ٨٧، «تذكرة» ابن غلبون ١/ ٥٦ – ٥٩، التيسير للداني ٩، «الإقناع» لابن الباذش ١/ ١١٣ – ١١٥، «جمال القراء» للسخاوي ١/ ٤٢٨ و٤٥٤ – ٤٥٧، وغاية النهاية لابن الجزري ١/ ٤٢٣ – ٤٢٥.

الأولى ولاشك. وهذا يُحِق استدراكه هنا. وأوكد مَن تلقى منه ابن عامر هو أبو الدرداء، ثم فضالة وواثلة ومعاذ، ثم معاوية ثم عثمان - ﷺ.

وعبد الله بن عامر نفسه إمام سبعي كما قلنا.

١٤ - أم الدرداء الصغرى

هُجَيْمَة بنت حُيَيّ الأوصابية الحميرية أم الدراء الصغرى زوجة أبي الدرداء أخذت القراءة عن زوجها أبي الدرداء. وقد عرفنا أن أبا الدرداء هو من صحابة الطبقة الأولى الذين عرضوا على النبي ﷺ، أخذ القراءة عنها **إبراهيم بن أبي عبلة**، وعطية بن قيس (أو ابن عبد قيس)، ويونس بن هبيرة. وكانت فقيهة كبيرة القدر، توفيت بعد الثمانين[1].

فأما إبراهيم بن أبي عبلة فتابعي ثقة كبير. وقد قرأ القرآن على أم الدرداء سبع مرات وأخذ أيضًا عن واثلة بن الأسقع وربما عن الزهري أيضًا .. لكن يبدو أنه اتجه إلى الحروف وإلى اختيار مخالف للعامة[2] فلم تلحق قراءته بسند للقراءات المعتمدة، وأما يونس بن هبيرة فلم أجد له ترجمة[3].

وأما عطية بن قيس فهو «عطية بن قيس أبو يحيى الكلابي الحِمْصي الدِّمَشْقِيّ. تابعيّ. قارئ دمشق بعد ابن عامر. ثقة. ولد سنة سبع في حياة الرسول ﷺ. عرض القرآن على أم الدرداء، عرض عليه علي بن أبي حملة، والحسن بن عمران العسقلاني - كذا قال أبو مسهر. وفيه نظر «قال عبد الله بن

---

(١) ينظر غاية النهاية ٢/ ٣٥٤.

(٢) ينظر السابق ١/ ١٩.

(٣) لا في غاية النهاية، ولا في طبقات ابن سعد ولا في تهذيب التهذيب.

قيس: كان الناس يُصْلِحُون مصاحفهم على قراءته وهم جلوس على دَرَج مسجد دمشق قبل أن يبنيه الوليد. (توفى عطية هذا ١٢١هـ، وقد جاوز المئة سنة)[١].

ولم أجد ترجمة لعلي بن أبي حملة أو الحسن بن عمران العسقلاني. وقد ذكرت هجيمة هنا لأن عطية بن قيس الذي قرأ عليها تركت قراءته أثرًا ممتدًّا، حيث كان القراء يصلحون مصاحفهم على قراءته – كما ذُكر الآن.

* * *

وهكذا يتبين – بما عرضناه في الفصلين الثاني والثالث – أن طبقات المتلقين للنص القرآني الكريم تلقيًا موثقًا بادئا بالعرض على سيدنا رسول الله ﷺ، مباشرة = هذه الطبقات تتصل ويتسع عدد كلٍّ منها عن سابقه.

وقد اجتزأنا بالطبقتين الأولى والثانية، لأنهما الأهمُّ والأبرزُ في نشأة هذه الطبقات، ولأنهما توضّحان كيف يتمّ التوالي واقعيًّا، ولأنهما توصلان إلى طبقة أئمة القراءات العشر المشهورة المعروفة التسلسل.

ومن شاء المزيد فإن الإمام الذهبي تتبع الطبقات إلى عصره - كما ذكرنا في الفصل الثاني. ويمكن لمن شاء أن يكمل عمله من جهتين: إتمام الطبقات إلى عصرناواستدراك ما فات الذهبي في كل طبقة. ونصف السبيل متاح في غاية النهاية لابن الجزري. وقد صنع ابن الجزري طبقات القراءات الثلاث المكملة للسبع إلى عصره في كتابه منجد المقرئين[٢].

---

(١) ينظر غاية النهاية ١/ ٥١٣ – ٥١٤.

(٢) ينظر منجد المقرئين تحـ د. عبد الحيّ الفرماوي الباب الرابع كله.

الفصل الرابع

صور تبليغ النص القرآني شفاهيًّا (جماعيًّا) بغير عرض

١ - إسماعه ﷺ من حضر مجلسه المعتاد ما نزل عليه من القرآن في ذلك المجلس:

كان ﷺ يقرأ ما أوحى الله إليه فور تلقيه على من حضره من أصحابه ليتلقَّوه عنه – وعلى كاتبه ﷺ ليدوِّن ما أُنْزِل كما أُنْزِل.

ومن أمثلة هذا «ما رواه الأئمة واللفظ لأبي داود عن زيد بن ثابت قال كنت إلى جنب رسول الله ﷺ وسلم فغشيته السكينة (يعني ما كان يغشاه ﷺ عند نزول الوحي عليه) فوقعت فَخِذُ رسول الله ﷺ على فَخِذي، فما وجدت ثقل شيء أثقل من فَخِذ رسول الله ﷺ، ثم سُرِّيَ عنه فقال: اكتُبْ فكتبت في كَتِف ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر الآية. فقام ابن أم مكتوم – وكان رجلاً أعمى – لمّا سمع فضيلة المجاهدين فقال: يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيعُ الجهادَ من المؤمنين؟ فلما قَضَى كلامَه غَشِيَتْ رسولَ الله ﷺ السكينةُ فوقعت فخذه على فخذي، ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى، ثم سُرِّيَ عنه فقال: اقرأ يا زيد. فقرأت ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فقال رسول الله ﷺ ﴿ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ﴾ الآية كلها. قال زيد فأنزلها الله وحدها فألحقتُها ..»[1].

– وبجانب ما تدل عليه القصة من فورية الكتابة تدل على تَلَقِّي حاضِري

---

(١) ينظر تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ٥/ ٣٤٢.

مجلسِ الرسول ﷺ القرآنَ منه فور نزوله أيضًا. وقد كان من حاضري المجلس عبدُ الله بن أم مكتوم، وزيدُ بن ثابت كاتب الرسول ﷺ.

- ومن الأمثلة أيضًا ما جاء في الجامع الصحيح للترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا **عند** رسول الله ﷺ حين أنزلت سورة الجمعة، **فتلاها**، فلما بلغ ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ قال له رجل: يا رسول الله. مَنْ هؤلاء الذين لم يَلْحَقُوا بنا؟ فلم يكلّمه. قال (أبو هريرة): وسَلْمانُ الفارسي فينا. قال فوضع رسول الله ﷺ على سَلْمان يدَه فقال: «والذي نفسي بيده لو كان الإيمانُ بالثريا لتناوله رجالٌ من هؤلاء»[1].

- والحديث جاء في صحيح البخاري وأوله قول أبي هريرة: **كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة**[2].

- وفي المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ في غار، فنزلت عليه «والمرسلاتِ عُرْفا» فأخذتُها من فيه ﷺ وإنّ فاه رَطْبٌ بها ... فلا أدرى بأيها ختم: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ أو ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾[3].

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي (تحـ شاكر) ٥/ ٤١٣ – ٤١٤ برقم ٣٣١٠.

(٢) صحيح البخاري: التفسير / الجمعة / ٤٨٩٧، وينظر أيضًا فتح الباري (مصطفى البابي) ١٠/ ٢٦٧.

(٣) الإتقان للسيوطي (عالم الكتب) ١/ ٣٧ (النوع الثالث عشر) وقوله في غار: هكذا هو في النسخة المحققة وغير المحققة ولم أجد الحديث في الجامع الكبير للسيوطي ٢/ ٥٣٢ – ٥٥٥، ولعل صحة الكلمة «في غزاة».

- «وأخرج الحاكم وغيره عن عبد الله بن سلام قال «قعدنا - نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الأعمال أحب إلى رسول الله ﷺ فعملناه. فأنزل الله سبحانه ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (أول الصف)[1] فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها.

أخرج مسلم عن أنس قال: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسمًا فقال: أنزلت علي آنفًا سورة: فقرأ بسم الله الرحيم ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ... ﴾[2].

٢- قراءته ﷺ القرآن على من يدعوهم إلى الإسلام:

كثيرًا ما كان ﷺ يتخذ تلاوة القرآن وإسماعَه لمن يدعوهم إلى الإسلام وسيلةً للدعوة والإقناع.

- فقد جاء في صورة دعوة رسول الله ﷺ أبا بكر إلى الإسلام أنه ﷺ قال له «.. فأدعوك يا أبا بكر إلى الله وحدَه لا شريكَ له، ولا تعبد غيره، والموالاةَ على طاعته» **وقرأ عليه القرآن**[3] فأسلم أبو بكر رضي الله عنه.

- وجاء في خبر إسلام الخمسة الذين أسلموا بدعوة أبي بكر إياهم إلى الإسلام وهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد ابن أبي وقاص، وطلحة بن عُبيد الله «فانطلقوا حتى أَتَوْا رسول الله ﷺ، ومعهم

---

(١) «الإتقان» النوع الأول (عالم الكتب ١/ ١٣).

(٢) الإتقان (عالم الكتب) ١/ ٧٩.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢/ ٤٠٥.

أبو بكر – فعرض (النبي ﷺ) عليهم الإسلام، **وقرأ عليهم القرآن**، وأنبأهم بحق الإسلام، وبما وعدهم الله تعالى من الكرامة، فآمنوا، وأصبحوا مقرين بحَقِّ الإسلام»[1].

– خرج أسعد بن زرارة إلى مكة هو وذكوان بن عبد قيس يتنافران إلى عُتْبَةَ ابنِ ربيعة، فسمعا برسول الله ﷺ فأتياه فعرض عليهما الإسلام **وقرأ عليهما القرآن**، فأسلما ولم يقربا عتبة[2].

– ولما لقي رسول الله ﷺ النفَر الستة من الأنصار من الخزرج بمكة (أي في العام السابق لعام بَيْعة العقبة الأولى) وجلسوا معه دعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام، **وتلا عليهم القرآن، وذكّرهم**[3].

– وفي ترجمة طفيل بن عمرو الدوسي أن طفيلًا قدم مكة، فمشى إليه رجالٌ من قريش وحدّثوه أن محمدًا ﷺ فرّق جماعتهم .. «فلا تكلمه ولا تسمع منه» فمازالوا به حتى حَشَا أُذُنَه كُرْسُفًا (قطنًا)، ثم غدا إلى المسجد فإذا رسول الله قائم يصلي، فسمع الطفيل كلامًا حسنًا فلام نفسه على أنه تبع كلام القوم، في حين أن له قدرة على التمييز. فلما انصرف الرسول إلى بيته تبعه حتى دخل عليه، فحكي له ما قال القوم ثم قال: اعرض على أمرك. فعرض عليه النبي ﷺ **الإسلام وتلا عليه القرآن وأسلم**[4].

---

(١) نفسه ٢/ ٤١٠.

(٢) أسد الغابة (الشعب) ١/ ٨٦.

(٣) نفسه ٢/ ١٩٧.

(٤) نفسه ٣/ ٧٨ – ٧٩.

- وسأل أبو ذر - قبل أن يسلم - عن النبي ﷺ فدُلّ عليه، فلما لقيه قال أنشِدْني ما تقول. فقال ﷺ: ما أقول الشعر ولكنه القرآن، وما أنا قلته ولكن الله قاله. قال اقرأ عليّ، فقرأ عليه ﷺ سورة من القرآن. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله»[1].

- ولما قدم خويلد بن عامر بن عقيل - من وفد بني عقيل - على النبي ﷺ - قرأ عليه ﷺ القرآن، وعرض عليه الإسلام[2].

٣- قراءته ﷺ القرآن على الناس في المسجد:

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أُنزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا، قرأها رسول الله ﷺ على الناس، ثم حَرَّم التجارة في الخمر. وفي رواية أخرى عنها أيضًا «لما أنزلت الآيات الأواخر من سورة البقرة خرج رسول الله ﷺ **فتلاهن في المسجد** فحرّم التجارة في الخمر»[3].

- وفي الكلام عن وفد ثقيف إلى النبي ﷺ عليهم ذُكِر أنه ﷺ ضَرَبَ لهم قبة في المسجد **لكي يسمعوا القرآن** ويَرَوا الناس إذا صلَّوْا[4].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (تحـ محمد عبد القادر عطا) ٤/ ١٦٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٦/ ٥٨٨.

(٣) صحيح البخاري / التفسير / آية الربا في أواخر البقرة / ب ٤٩ - ٥٤ رقم ٤٥٤٠ - ٤٥٤٣. وفي نفس الصفحة رواية أخرى للسيدة عائشة عن نفس الآيات «قرأهن ﷺ في المسجد ..» ورابعة «.. قام رسول الله ﷺ فقرأهن علينا».

(٤) ينظر سبل الهدى والرشاد (طبع وزارة الأوقاف) جـ٦ (تحـ عبد العزيز عبد الحق حلمي) ص٤٥٢.

- ولما وفد فروةُ بن مُسَيك المُرَادِيّ على النبي ﷺ كان يحضر مجلس رسول الله ﷺ كلما جلس ويتعلم القرآن وفرائض الإسلام[1].

٤- قراءته ﷺ على جمهور المسلمين إذا أنزل عليه القرآن أثناء السفر:

ومن صور التبليغ أن يقرأ ﷺ على جمهور من المسلمين المجتمعين لأمرٍ ما أَنْزلَ اللهُ عليه من القرآن.

ونذكر هذا المثال في ثلاث روايات: **الأولى** عن ابن مسعود ﷺ قال: أقبلْنا من الحُدَيبِيَة مع رسول الله ﷺ فبينَا نحن نسير إذ أتاه الوَحْي، وكان إذا أتاه اشتد عليه، فسُرِّيَ عنه وبه من السرور ما شاء الله، فأخبرَنا أنه أُنزِل عليه ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح: ١][2].

الرواية الثانية ما جاء في الكلام عن سورة الفتح «قال مُجَمِّع بن جارية (وهو صحابي، وكان أحد القراء الذين حفظوا القرآن): شهدنا الحُدَيْبِيَة مع النبي ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذا الناسُ يَهُزُّون أي يحُثّون الأباعر. فقال بعض الناس لبعض: ما بال الناس؟ قالوا: أَوْحَى الله إلى النبي ﷺ. قال مُجَمِّع فخرجنا نُوجِف (أي نَحُثّ إبلَنا) فوجدنا نبي الله ﷺ عند كُرَاع الغَمِيم (موضع بين مكة والمدينة) فلما

(١) نفسه ٦/ ٦٠٢.

(٢) أخذت هذه الرواية من تعليق محققي تفسير ابن عطية المحرر الوجيز (قطر) ١٣/ ٤٢٧ قالا: أخرج ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في تاريخه، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير، والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود.

اجتمع الناس قرأ النبي ﷺ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ...﴾ (أي السورة)[1].

الرواية الثالثة جاءت في صحيح البخاري عن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح. قال: فرجَّعَ فيها ...»[2] (أي كان يمد الألف المبدلة من التنوين في خواتيم الآيات «مبينًا، ... مستقيمًا، ... عزيزًا» إلخ.

فالرواية الأولى مجملة، والثانية تفصّل وتنص على القراءة بصوت جَهْوَريّ على الجماهير – وهو الشاهد هنا، والثالثة تصف جانبًا من هيئة قراءته ﷺ.

٥- قراءته ﷺ وإقراؤه بعض أصحابه القرآن بصورة فردية:

- «أخرج ابن سعد وأحمد والبخاري ومسلم وابن مردويه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب «إن الله أمرني أن أقرأ عليك» ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾ [البينة: ١] (يعني السورة) قال (أُبَيّ): وسَمَّاني لك؟ قال: نعم «فبكى» وفي لفظ: لما نزلت ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾ دعا (رسول الله ﷺ) أُبَيَّ بن كعب فقرأها عليه. فقال «أُمِرْتُ أن أقرأ عليك»[3].

- وقال عبد الله بن مسعود «لقد قرأتُ على رسول الله ﷺ» بضعًا وسبعين سورة»[4].

---

(١) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦١.

(٢) صحيح البخاري ٩/ ١٩٢ ضمن «كتاب التوحيد» ب ٥٠/ رقم ٧٥٤٠، وهو أيضًا في باب الترجيع ضمن أبواب كتاب فضائل القرآن برقم ٥٠٤٧.

(٣) ينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (دار الفكر) ٨/ ٥٨٦ – وفيه روايات أخرى للحديث تتفق في القدر الذي ذكرناه.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٦.

- وفي روايات حديث الأحرف السبعة كان الصحابة الذين اختلفوا في القراءة يقول كل منهم «أقرأني رسول الله ﷺ» ومنهم عمر، وأُبيّ، وهشام بن حكيم، وابن مسعود وآخرون لم يصرَّح بأسمائهم»[1].

٦- كان رسول الله ﷺ يعلّم من حضر ليُسْلِم القرآن:

- فقد أخرج الحاكم عن رفاعة بن رافع أن رافعًا ومعاذ بن عفراء قدما مكة إلى رسول الله ﷺ ليسلما فعلّمهما ﷺ سورة «يوسف»، و «اقرأ باسم ربك»[2].

- وقدم **عمرو بن عبد قيس** بن عامر بن عصر ابن أخت الأشجّ (عبد الله ابن عوف الأشج من البحرين) بَعَثه الأشجُّ ليستطلع خبر رسول الله ﷺ. فقدّم إلى النبي صدقة فلم يأكل منها، وقدّم هدية فأكل منها، ورأى بظهره ﷺ خاتم النبوة، فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام فأسلم، **وعلّمه «الحمد»**، و ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، وقال له: ادع خالك[3].

٧- وكان ﷺ يغشىٰ الناس في مجالسهم يتلو عليهم القرآن:

ومن أمثلة ذلك أن رسول الله ﷺ: «كان راكبًا في طريقه ليعود سعد بن عبادة، فمَرّ بعبد الله بن أبيّ (المنافق)، وهو جالس وحوله رجال من قومه في ظل

---

(١) ينظر تفسير الطبري (شاكر) جـ١ حديث ١٦ و١٦ عمر وهشام، حديث ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣٨، ٣٩ بشأن أبيّ وآخرين والمرشد الوجيز لأبي شامة صـ٨٤ عمرو بن العاص وآخر، ص٨٦ عبد الله بن مسعود وآخر، ٨٧ أبيّ وابن مسعود.

(٢) تفسير الآلوسي (دار الفكر) ٦/ ١٧٠ والخبر كذلك في فتح القدير للشوكاني (عالم المعرفة) ٣/ ٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٦/ ٨٤.

حِصْن له. فنزل رسول الله ﷺ، فسلّم، - ثم جلس قليلًا، فتلا القرآن، ودعا إلى الله عز وجل ..»[1].

- قال أنس بن مالك: أقبل أبو طلحة يومًا فإذا النبي ﷺ قائم يقرئ أصحاب الصفة، على بطنه فَصِيلٌ من حجر يقيم به صُلْبه من الجوع».

٨- كان ﷺ يُسْمِعُهم القرآن في الصلاة الجهرية:

معلوم أنه في الصلوات الخمس عمومًا يُقْرَأ في ركعتي الصبح وفي أوليي سائر الصلوات الخمس بسورة أو آيات بعد الفاتحة، ويكون ذلك جهرًا في صلاة الصبح والمغرب والعشاء. وفي ركعتي الجمعة والعيدين. وأدنى الجهر في الصلاة أن يُسْمِع الإمامُ مَنْ يليه. وعلى ذلك نجد أنه كانت هناك ستُّ فُرَصٍ يومية (أي في ست ركعات) وفرصتان أسبوعيتان (أعني ركعتي الجمعة) هي فُرَصٌ راتبة ثابتةٌ لسماع القرآن من النبي ﷺ مباشرة، وهي فرص ثابتة متاحة لكل المسلمين الذين يصلون خلف النبي ﷺ. ولم يكن يتخلف عن الجماعة التي يؤمها النبي ﷺ إلا ذَوو الضرورة القاهرة.

- وقد عقدت مدونات الحديث الشريف أبوابًا للقراءة في الصلوات، وعَيَّن كثير منها السور والآيات التي كان الرسول ﷺ يقرأ بها. فمن ذلك بالنسبة للصلوات الجهرية ما جاء في صحيح البخاري وشرحه للإمام ابن حجر العسقلاني من قراءته ﷺ في المغرب سورة «**المرسلات**»، وبطُولَى الطُّولَيَيْن (وقد فُسِّرَتْ هذه بسورة **الأعراف** والأكثر أن الطولى الأخرى هي **الأنعام**) (وذكر في

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (تحـ مصطفى السقا وصاحبيه) ط٢ القسم الأول ص٥٨٧.

الشرح سورة **الطور**) وفي صلاة العشاء سورة «**الانشقاق**» بسجدتها، وفي العشاء أيضًا في السفر سورة «**التين**»، وفي صلاة الصبح سورة «**الطور**» وقراءة آيات «**ما بين الستين إلى المئة آية**»، وسورة «**المؤمنون**». وكان ﷺ يقرن بين سورتين في ركعة. وفسرت بأنها سورة «**الرحمن**» و «**النجم**» في ركعة، «**اقتربت**» (**القمر**) و «**الحاقة**» في ركعة، «**الذاريات**» و «**الطور**» في ركعة، «**الواقعة**» و «**ن**» في ركعة، «**سأل**» و «**النازعات**» في ركعة، «**ويل للمطففين**» و «**عبس**» في ركعة، «**المدثر**» و «**المزمل**» في ركعة، «**هل أتى**» «**الإنسان**» و «**لا أقسم**» في ركعة، «**عم يتساءلون**» و «**المرسلات**» في ركعة، «**إذا الشمس كورت**» و «**الدخان**» في ركعة[1].

- وجاء في سنن أبي داود عن عمرو بن شعيب بن محمد حفيد عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبيه عن جده «ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة»[2].

ونبه إلى أمرين **الأول**: تأكيد أن الجهر كان بحيث يسمع المأمومون قراءة الإمام، بدليل تعيينهم السور، وبدليل ما جاء عن التأمين وراء الإمام[3].

الثاني: أنه وردت روايات بخارية عن سماع بعض الصحابة قراءة رسول

(١) ينظر عن تعيين السور فتح الباري (الحلبي) ٢/ ٣٨٨ - ٤٠٢ (المتن والشرح على التوالي في قراءة النبي ﷺ خاصة لأن هذا هو المقصود هنا - أي لا ما كان يقرأ به أصحابه رضوان الله عليهم). وينظر أيضًا البخاري / التوحيد / ب ٥٢ / ٧٥٤٦.

(٢) سنن أبي داود «تحـ الشيخ محمد محيي الدين» ١/ ٢٩٩.

(٣) ينظر فتح الباري ٢/ ٤٠٤ - ٤١٠ (المتن والشرح).

الله ﷺ في صلاة الظهر والعصر أيضًا، وتعيينهم السور التي كان يقرؤها[1].

٩- كان يتلو عليهم القرآن في خُطَبِهِ ﷺ:

ومن ذلك خطبته في مناسبة الإفك حيث وصفت أمُّنا السيدة عائشة نزول الوحي عليه ﷺ فقالت: «.. تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسُجِّيَ بثوبه .. ثم سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ فجلس .. فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك .. ثم خرج إلى الناس فخطبهم، **وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك**»[2].

- وجاء في صحيح مسلم عن صفوان بن يعلى عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ على المنبر «ونادوا يا مالك»[3].

- وفيه عن عمرة بنت عبد الرحمن عن أخت لعمرة قالت **أخذت** (سورة ﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ من رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يقرأ بها على

---

(١) ينظر مثلاً فتح الباري ٢/ ٣٨٦ – ٣٨٧ (المتن) أنه ﷺ كان يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين ... ويُسْمع الآية أحيانًا. والحديث نفسه فيه ص٣٨٨ وص٤٠٣ وفيه هنا «وهكذا في العصر» وفيه في الشرح ص٣٨٧ عن صلاة الظهر (فنسمع منه الآية بعد الآية من سورة «لقمان» و «الذاريات» وفي حديث آخر ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾ و ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾. وأقول إن هذا السماع لا ينافي كون الصلاة سرّية. فقد يبلغ الإسرار هذا – كما قد يقع الآن.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (تحـ مصطفى السقا وصاحبيه) ط٢ – ٣/ ٣٠٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ١٦٠.

المنبر في كل جمعة»[١].

- وفيه عن عبد الله بن محمد بن مَعْن عن بنت لحارثة بن النعمان قالت: ما حفظت (سورة) «ق» إلا مِن في رسول الله ﷺ يخطب بها كل جمعة»[٢].

١٠- إبلاغه ﷺ تجمعات المسلمين ما نزل من القرآن في ما يهمهم بواسطة رسل منه إليهم:

ومن أمثلة هذه الصورة أن رسول الله ﷺ خرج إلى غزوة تبوك في رجب من سنة تسع. فلما رجع أراد أن يحج، لكنه ذكر أنه يحضر البيتَ عراةٌ مشركون يطوفون بالبيت، فلم يُحِبّ ذلك. ونزلت سورة براءة أو صدرُها: أربعون آية أو عشرُ آيات (حسب الروايات المختلفة) - وذلك في شوال حسب ما قال الزهري، فأرسل ﷺ أبا بكر أميرًا على الحج وبعث معه بأربعين آية من صدر سورة براءة (= التوبة) ليقرأها على أهل الموسم. فلما خرج دعا النبي ﷺ عليًّا. وقال اخرج بهذه القصة (= الآيات المتتابعة) من صدر سورة براءة فأَذِّنْ بذلك في الناس إذا اجتمعوا .. فكانت مهمة عليّ تبليغ براءة فحسبُ. فقرأ عليّ عَلَى الناس «براءة» حتى ختمها (أي ختم ما أرسل به منها) قبل يوم التروية بيوم، وفي يوم عرفة، وفي يوم النحر عند انقضاء خطبة أبي بكر في الثلاثة الأيام. فلما كان يومُ النَّفْر الأول خطب أبو بكر في الناس فعلّمهم مناسكهم، فلما فرغ قام عليٌّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها .. قال عليّ فكنت أنادي حتى صَحِل صوتي»[٣].

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه ٦/ ١٦١.

(٣) الكلام عن «براءة» أخذته بتصرف للاختصار من تفسير القرطبي ٨/ ٦٧ - ٦٨ أما تحديد=

وقد تكرر التعبير بقراءة عليّ «براءة» على الناس في عدة روايات «فأخذها عَلِيّ (أي أخذ براءة) فقرأها على الناس في الموسم/ فقرأها عَلَى الناس في موقف الحج حتى ختمها/ وسار عليّ ﷺ عَلَى راحلته في الناس كلهم يقرأ عليهم القرآن/ «براءة من الله ورسوله». كما أن إحدى روايات تكليف النبي ﷺ عليًّا كانت بعبارة انطِلقْ فاقْرَأْها على الناس»[1].

والخلاصة أن تبليغ القرآن في هذه الصورة وقع بواسطة صحابي جليل كُلِّف بالتبليغ قراءةً بصوت جهوري ليُسمع الناس في تجمعاتهم، مع تكرر ذلك ليصل إلى أكبر عدد ممكن.

١١- كان ﷺ يكلف أصحابه الحافظين أن يُقرئوا إخوانهم - وخاصة حديثي الإسلام القرآن:

- روى عن الصحابي عبادة بن الصامت «أن رسول الله ﷺ كان يُشْغَل، فإذا قدم الرجل مهاجرًا على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا **يعلّمه القرآن.** فدفع إليّ رسول الله ﷺ رجلاً (فكان) معي في البيت أُعّشيه عَشَاء البيت، وكنت **أقرئه القرآن**»[2].

- وكذلك لما وفد أشج عبد القيس من البحرين كان يسأل رسول الله ﷺ

= الزُّهْري النزول بشوال وكذلك ذكر العشر آيات ففي الدر المنثور دار الفكر بيروت ٤/ ١٢٦، ١٢٢ على التوالي.

(١) تنظر تلك الروايات في الدر المنثور - دار الفكر ببيروت ٤/ ١٢٤، ١٢٥.

(٢) الجامع الكبير للسيوطي (مخطوط ٢/ ٤٢٤).

عن الفقه والقرآن، فكان رسول الله ﷺ يُدْنيه منه إذا جلس. وكان الأشج يأتي أبيّ بن كعب **فيقرأ عليه**[1].

- عن أبي الدرداء أن أبيّ بن كعب أقرأ رجلًا من أهل اليمن سورة فرأى عنده قوسًا. فقال بِعْنِيها. فقال بل هي لك. فسأل رسولَ الله ﷺ عن ذلك فقال «إن كنتَ تريد أن تقَلَّد قوسًا من نار فخذها»[2].

- «وقال أُبَيّ: كنت أختلف إلى رجل مكفوف أقرئه القرآن فكنت إذا أقرأتُه دعا لي بطعام فأكلت منه. فحاك في نفسي منه شيء. فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقلت يا رسول الله إني آتي فلانًا **فأقرئه القرآن** فيدعو لي بطعام لا آكل مثلَه بالمدينة. فقال رسول الله ﷺ: إن كان ذلك الطعامُ طعامَه وطعامَ أهله الذي يأكلون فكلْ، وإن كان طعامًا يُتْحِفك به فلا تأكل»[3].

- ومن هذا أنه لما جاء وفد غامد إلى النبي ﷺ ليسلموا أمر النبي ﷺ أبيَّ بن كعب فعلَّمَهم قرآنًا ....[4].

- وكذلك لما جاء وفد خولان أمر ﷺ لهم بمن يعلمهم القرآن[5].

١٢- كان الصحابة يقرئ بعضهم بعضًا.

- مرت بنا أمثلة من ذلك. ومنه أيضًا ما روى عن الصحابيّ أبي سعيد

---

(١) الطبقات الكبرى ٦/ ٨٠.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد ١٠٧.

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد ١٠٨.

(٤) ينظر سبل الهدى والرشاد ٦/ ٥٩٩.

(٥) نفسه ٦/ ٥٠٥.

الخدري قال: أَتَى علينا رسول الله ﷺ ونحن أناس من ضعفة المسلمين (في الصفة) **ورَجُلٌ يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا**[1].

- عن سهل بن سعد الأنصاري قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نَقْتَرِئ، يقرئ بعضُنا بعضًا، فقال: الحمد لله، كتابُ الله عز وجل واحد، فيه الأحمر والأسود. اقرءوا القرآن. اقرءوا قبل أن يجيء أقوام يُقِيمُونه كما يُقَام القِدْح، لا يجاوز تراقيهم، يَتَعجّلون أجرَه ولا يتأجلونه»[2].

١٣- بَعْثُه ﷺ الرسلَ إلى القُرَى والأَقاليم ليُعَلِّموا الناسَ القرآن:

ومن أمثلة هذا:

أ- ما جاء في السيرة النبوية لابن هشام أن رسول الله ﷺ بعث مُصعب بن عمير بن هاشم إلى المدينة مع الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين»[3].

ب- جاء في حلية الأولياء أن رسول الله ﷺ بعث معاذًا وأبا موسى - وهما ممن حفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ - **إلى اليمن**، وأمرهما أن يُعَلّما الناسَ القرآن»[4].

جـ - وبعث ﷺ عمرَو بن حزم مع وفد بني الحارث بن كعب بنجران

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٤٢.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٨.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (تحـ السقا وصاحبيه) ط٢ جـ١/ ٤٣٤.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم (دار الكتب العلمية) ١/ ٥٦.

ليفقههم في الدين، ويعلّم الناسَ القرآن»[1].

د – وكتب ﷺ إلى الحارث بن عبد كُلال وأخيه نعيم (من حمير) وأمر رسولَه أن يقرأ عليهما سورة «لم يكن»[2] (: البينة).

١٤ – تكليفه ﷺ أمراء جيوشه أن يقيموا في الذين يُسْلِمُون ويعلموهم القرآن:

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في ربيع الآخر أو جمادَى الأولى سنة عَشْر إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم – ثلاثًا – وكلفه إذا أسلموا أن **يقيم فيهم يعلمهم الإسلام وكتاب الله** وسُنّةَ نبيه ﷺ. فأسلموا ونفّذ خالد ما كُلِّف به، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فكتب إليه الرسول ﷺ أن يَقْدَم إليه ومعه وفدُهم. فلما جاء وفدهم وقابلوا الرسول ﷺ ورجعوا = بعث الرسول ﷺ إليهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ... ويعلم الناس القرآن ..»[3].

وبهذه السنَّة المباركة نشأ ما يسمَّى مُقْرئي الجند وهم المقرئون الذين كانوا يكلّفون أن يقرئوا الجنود المحتشدين في أطراف الدولة لحمايتها، تثقيفًا لهم، وتوعية بدستورهم وشريعتهم، وتعبئة نفسية أيضًا[4].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ط٢ مجـ٢/ ٥٩٤.

(٢) ينظر سبل الهدى والرشاد ٦/ ٤٩٠.

(٣) ينظر السيرة النبوية لابن هشام (تحـ السقا وصاحبيه) ط٢ مجـ٢/ ٥٩٢ – ٥٩٥.

(٤) سيأتي مبحث عن (مقرئي الجند) ضمن (مقرئي العامّة).

الفصل الخامس

الذين حفظوا النص القرآني الكريم عن ظهر قلب في حياة النبي ﷺ

جعلنا هذه الطبقة من طبقات التلقي الاستماعي لوجودها قبل كتابة المصاحف العثمانية – مع كون التلقي الإسماعي الاستماعي هو الأصل، بسبب أمية النبي الكريم ﷺ، وحتى لو كان لأي منهم مصحف خاص فلا شك أنه كتبه أو كُتِبَ له بعد التلقي الشفاهي المباشر منه ﷺ.

مصدر تحديد أفراد هذه الطبقة عدة أحاديث عن الذين جمعوا القرآن (أي حفظوه عن ظهر قلب) في حياة النبي ﷺ، ثم بحوث.

أما الأحاديث فكما يلي:

١ – عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت النبي ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبيّ بن كعب» أي تعلموا منهم[١] وليس في الحديث معنى القصر.

٢ – أ – عن قتادة «سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن (أي حفظه استظهارًا) على عهد رسول الله ﷺ فقال: أربعة كلهم من الأنصار: أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قلت من أبو زيد؟ قال أحد عمومتي»[٢].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري / فضائل القرآن / ب٨ / ٤٩٩٩، الإتقان أول النوع العشرين.

(٢) في الإتقان (النوع العشرون) أن البخاري أخرجه. وهو في البخاري / فضائل القرآن / ب ٨ / ٥٠٠٣، ٥٠٠٤.

ب – ثابت البُنَاني عن أنس قال: «مات النبي ﷺ ولم يَجْمَع القرآنَ غيرُ أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد»[1] اهـ. والقصر الذي في هذه الرواية منقوض بثبوت حفظ أبيّ في الرواية الأولى، وكذا غيره كما سيأتي. وقد وُجِّه بأن المراد إثبات ذلك للخزرج في مقابل ثبوت فضائل أخرى للأوس وهما شعبا الأنصار في المدينة[2].

٣- عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري»[3].

٤ – عن محمد بن سيرين قال جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة لا يختلف فيهم: معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. واختلفوا في رجلين من ثلاثة أبي الدرداء وعثمان، وقيل عثمان وتميم الداري»[4] اهـ (كذا وبالتأمل يتبين أن عثمان غير مختلف في جمعه القرآن هنا).

٥ – عن الشعبي قال جمع القرآن في عهد النبي ﷺ ستة: أبيّ، وزيد، ومعاذ، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، ومجمع بن جارية – وقد أخذه إلا سورتين أو ثلاثًا[5].

---

(١) البخاري / فضائل القرآن / ب ٨ / ٥٠٠٤.

(٢) ينظر تأويلات هذا القصر في الإتقان «النوع العشرون» (عالم الكتب ١/ ٧١ – ٧٢).

(٣) ينظر الإتقان نفس الموضع السابق حيث قال أخرجه ابن أبي داود بسند حسن.

(٤) في الإتقان (الموضع السابق) أن البيهقي أخرجه.

(٥) قال في الإتقان (نفس الموضع) أخرجه البيهقي وابن أبي داود.

٦ – في حديث صحيح أن عبد الله بن عمرو جمع القرآن وكان يقرأ به كل ليلة، فقال له النبي ﷺ «اقرأه في شهر ....»[(١)].

٧ – وذكر ابن أبي داود في من جمع القرآن قيس بن أبي صعصعة. وسعيد بن المنذر[(٢)].

وأما البحوث:

أ – فقد أسلفنا أن إمام أهل السنة أبا الحسن الأشعري (٣٢٤هـ)، والأئمة: الباقلاني (٤٠٣هـ)، والقرطبي (٦٧١هـ)، وابن كثير المؤرخ (٧٧٤هـ) جزموا بحفظ أبي بكر الصديق القرآن في حياة النبي ﷺ، ونضيف إليهم هنا إمام شراح الحديث الشريف شهاب الدين أحمد بن علي بن حَجَر العسقلاني (٨٥٢هـ) [(٣)]. وقد ذكرنا من قبل أمورًا تشهد بذلك منها أنه أَمَّ الصحابة في صلاة الصبح فقرأ سورة البقرة كلها في الركعتين، وقد وقع ذلك وهو خليفة، ومعلوم أنه تولى الخلافة فور وفاة رسول الله ﷺ ولمدة سنتين فحسب ثم توفى.

ب – وكذلك يؤخذ من تفرغ سيدنا عليّ لجمع القرآن (على ترتيب النزول) فور الانتهاء من دفن النبي ﷺ لدرجة أنه تأخر عن بيعة أبي بكر أيامًا – يؤخذ من ذلك أنه كان يحفظ القرآن في حياة النبي ﷺ[(٤)]. وحياة سيدنا علي تؤكد ذلك. فقد أسلم في أول شبابه، وكان من أكثر الناس ملازمة للنبي ﷺ وفقهًا في

---

(١) الإتقان الموضع السابق (عالم الكتب ١/ ٧٢).

(٢) الإتقان الموضع السابق (عالم الكتب ١/ ٧٢).

(٣) الإتقان (عالم الكتب) ١/ ٧١ وفيه مزيد أدلة على حفظ أبي بكر ﷺ القرآن.

(٤) الإتقان عالم الكتب (١/ ٧١ – ٧٢).

الدين وعنه أخذ ابن عباس التفسير[1].

جـ - ظفر السيوطي في طبقات ابن سعد باسم صحابية جمعت القرآن في عهد النبي ﷺ هي أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث[2].

د - وذكر السيوطي في الإتقان أيضًا أن ابن أبي داود عدّ من الذين حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ **تميمًا الداري، وعقبة بن عامر**[3]، قال السيوطي «وممن جمعه أيضًا أبو موسى الأشعري ذكره أبو عمرو الداني»[4] اهـ وعبارة ابن الجزري في ترجمة أبي موسى «وحفظ القرآن وعَرَضه على النبي»[5]. تصدق ما نقله السيوطي عن الداني.

ونضيف قول الإمام القرطبي المفسر:

هـ - «ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن (أي في حياة النبي ﷺ) عثمان، وعلي، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو بن العاص».

و - «تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة (يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعليا) جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ، لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام النبي ﷺ لهم»[6].

---

(١) السابق (١/ ٧٢).

(٢) نفس السابق.

(٣) الإتقان نفسه.

(٤) نفسه أيضًا.

(٥) غاية النهاية ١/ ٤٤٢.

(٦) عبارتا القرطبي في كتابه الوجيز في فضائل الكتاب العزيز (تحـ د. علاء الدين علي رضا) دار الحديث القاهرة صـ١٧٩.

وأنا آخذ بما قاله القرطبي مُؤَوِّلا ما جاء في الإتقان من قول محمد بن سيرين «مات أبو بكر ولم يجمع القرآن، وقتل عمر ولم يجمع القرآن» بأن ذلك بحسب علمه عنهما[1].

ثم نقول إن قائمة حفاظ القرآن في حياة النبي ﷺ الذين ذُكِروا في الإتقان – حسب الأحاديث والبحوث السابقة[2] – مع مقولَتَى القرطبي السالفتين ومع ما ييسره الله تعالى – تعطينا الأسماء التالية:

نبدؤها بذكر الخلفاء الأربعة، ثم نذكر الباقين بالترتيب الألفبائي لأسمائهم. ونذكر مع كل واحد حجة إثبات استظهاره القرآن في حياة النبي ﷺ.

١ – أبو بكر الصديق ﷺ. ينظر عنه رقم (أ) في البحوث، وانظر كذلك ما ذكرناه عنه في الذين اسْتَدْرَكْناهم ممن عرضوا القرآن على رسول الله ﷺ.

٢ – سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ - ينظر عنه رقم (و) في البحوث، ويضاف إلى ذلك

أ – أن الصحابي عبد الله بن السائب (ت حوالي ٧٠هـ) والتابعي الجليل أبا العاليه الرياحي (ت٩٠/ ٩٦هـ) عرضا القرآن على عمر ﷺ.ونضيف في هذه الجزئية أنه يستحيل أن يكون عرض هؤلاء أو بعضهم على عمر مقصورًا على بعض القرآن، لأن هذا يخالف المعنى الاصطلاحي لعبارة العرض التي يستعملها أهل التخصص. وقد ذكرنا هناك أن أهل التخصص: أبا العلاء

---

(١) ينظر الإتقان (عالم الكتب) ١/ ٧١ وفيه تأويلان آخران.

(٢) ينظر أيضًا الطبقات الكبرى لابن سعد الزهري (تحـ محمد عبد القادر عطا) ٢/ ٢٧١ وما بعدها.

الهمذاني، وابن الجزري هم الذين استعملوا هذا المصطلح هنا[1].

ب – كان القرآن حاضرًا في قلبه. ويشهد لذلك رده على الذين استخشنوا معيشته وحضوه على أن يُلين طعامه: بأن الله نعى على قوم فقال ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [الأحقاف: ٢٠][2] وكذلك استحضاره لآية المنع من الاستغفار للمنافقين عندما هم رسول الله ﷺ بالصلاة على المنافق عبد الله بن أبي. وقد ذكرناها في مبحث استدراكه.

جـ – عمر ﵁ كان يراجع أكابر القراء الحافظين في قراءتهم ويعارض بين قراءتهم وقراءته هو» وهذا لا يتأتى إلا من متمكن حافظ للقرآن. فقد راجع عمر زيد بن ثابت وأبي بن كعب في قراءته الآية رقم ١٠٠ من سورة التوبة ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ حيث كان عمر يقرؤها برفع كلمة الأنصار وكان زيد يقرؤها بالجر، وقيل أيضًا إن المراجعة شملت وجود واو قبل ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ في الآية وعدم وجودها[3].

ولما سمع عمر رجلاً يقرأ ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٥] (عتى حين) سأله عن الذي أقرأه، فلما أبلغه أنه عبد الله بن مسعود أرسل إليه أن يُقرئ الناس بلغة

---

(١) ينظر مبحث استدراك سيدنا عمر في طبقة عارضي القرآن على النبي ﷺ في كتابنا هذا.

(٢) ينظر الطبقات الكبرى تحـ محمد عبد القادر عطا ٣/ ٢١٢ وأيضًا ٢٠٩ حيث استحضر آية ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ٦].

(٣) ينظر هذه المسألة مفصلة في: دفاع عن القرآن. د. محمد حسن جبل ٧٣ – ٧٤.

قريش لا بلغة هذيل (التي ينتمي إليها ابن مسعود)[1] ولما بلغه قراءة أعرابي ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣] بجر لفظ رسوله حقَّق، ثم أمر أن لا يقرئ الناسَ إلا عالمٌ بلغة العرب[2].

د – الإمامان الجليلان أبو بكر وعمر كانا وزيرَى النبي ﷺ، وكانا يتنافسان في حبه ﷺ وفي التقرب إلى الله تعالى. والقرآن الكريم هو أعظم مجالات التنافس في القرب من الله تعالى أو من أعظمها، فلا يتأتى أن يقصّر عمر في حفظه، كما لم يتأت أن يقصّر أبو بكر في ذلك – رضي الله عنهما.

٣ – سيدنا عثمان ﷺ. ينظر عنه الأثر رقم (٤) في أول هذا المبحث، وكذلك (هـ) و (و)، كذلك سيتبين لنا موقعه الحميم من مولانا رسول الله ﷺ في مبحث فورية التدوين. وإنما نضيف هنا قِدَم إسلام عثمان، إذ أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم. هذا مع قرآنيته الدائمة، وأنه كان يقرأ القرآن كله في ركعة واحدة[3] وقد صرح في حديث له بحفظه القرآن في عهد رسول الله ﷺ[4].

٤ – سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه – ينظر رقم (ب) ورقم (و) في البحوث. ويضاف إليها قِدَم إسلام سيدنا علي ﷺ، فقد كان أول من أسلم من الشباب، وأنه بابُ مدينة العلم ﷺ ولا علم معتبرًا حينذاك إلا بالقرآن، وأنه

---

(١) ينظر الكشاف (دار الكتب العلمية ٢/ ٤٥٠).

(٢) ينظر تفسير القرطبي (الهيئة المصرية – ١/ ٢٤).

(٣) ينظر الطبقات الكبرى ٣/ ٤٠، ٥٦.

(٤) ينظر الرياض النضرة (المنار ٣/ ٢٣).

قال «سلوني عن كتاب الله، إنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نَزَلَتْ أم بنهار في سهل أم في جبل»[1] وهذا الكلام لا يقوله من تغيب آية من القرآن عن حفظه.

٥ – أبي بن كعب: ينظر الحديث رقم ١ والآثار ٢ أ، ٣، ٤، ٥.

٦ – أبو أيوب: ينظر الأثر رقم ٣.

٧ – تميم الداري: ينظر الأثر رقم ٤. ورقم (د) في البحوث.

٨ – أبو الدرداء: ينظر الآثار ٢ ب، ٣، ٤، ٥.

٩ – زيد بن ثابت: ينظر الآثار ٢، ٤، ٥.

١٠ – أبو زيد (وهو قيس بن السكن): ينظر الآثار ٢، ٤، ٥.

١١ – سالم بن معقل (وهو سالم مولى أبي حذيفة) ينظر: الحديث ١ وكفى به.

١٢ – سعد بن عبيد بن النعمان الأوسي ينظر: الأثر (٥)، وذكره في الإتقان عن الشعبي وعن أبي أحمد العسكري، وصرح به العلامة الموسوعي محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) في المحبَّر[2].

١٣ – سعيد بن المنذر بن أوس: ينظر الأثر رقم ٧. ذكره ابن حجر ناسبا ذكره إلى ابن أبي داود[3].

١٤ – عبادة بن الصامت: ينظر الأثر رقم ٣.

١٥ – عبد الله بن عمرو: ينظر الحديث رقم ٦، وحديثه في الإتقان النوع ٢٠.

١٦ – عبد الله بن مسعود ينظر الحديث رقم ١.

---

(١) ينظر عن علمه بالقرآن وجمعه إياه بعد وفاة الرسول ﷺ الطبقات الكبرى ٢/ ٢٥٧ - ٢٥٨، وعن أنه باب مدينة العلم، وعن علمه بصفة عامة ينظر الرياض النضرة (المنار ١١٢ وما بعدها).

(٢) ينظر الإتقان: النوع العشرون.

(٣) نفسه.

١٧ - عبد الله بن قيس (هو أبو موسى الأشعري) (ذكره أبو عمرو الداني)[1]، وينظر رقم (د) في البحوث.

١٨ - عبد الواحد. هذا التقطه الفقير من أُسْد الغابة (مجـ ٣ ترجمة ٣٤٢٩) حيث صُرّح بحفظه القرآن في عهد النبي ﷺ واختصم هو وابن مسعود. وتكررت المعلومة في الإصابة ٤/ ٣٢٠ ثم قال «استدركه أبو موسى. ونُقِل عن أبي زُرْعة قال عبد الواحد لم يثبت». ا هـ.

١٩ - عقبة بن عامر. ينظر رقم (د) في البحوث.

٢٠ - قيس بن أبي صعصعة. ذكره في الإتقان عن ابن أبي داود.

٢١ - مجمع بن جارية: ينظر الأثر رقم ٥. وفيه «وقد أخذه (أي القرآن أي حفظه) إلا سورتين أو ثلاثا».

٢٢ - معاذ بن جبل ينظر الحديث رقم ١ والآثار ٢، ٣، ٤، ٥. وأمْره في ذلك بالغ الشهرة. وحديث تطويله للقراءة وهو إمام في الإصابة ٢/ ٥٤ و٣/ ١٤٢.

٢٣ - معاذ بن الحارث (أبو حليمة) ذكره السخاوي في ما نقله عن أبي عبيد ضمن التابعين، وكذا فعل ابن الجزري[2]، وأما السيوطي فذكره ضمن الصحابة وكذا فعل القسطلاني[3]. والجميع ينقلون عن كتاب القراءات لأبي عبيد. وهو

---

(١) الإتقان نفسه.

(٢) ينظر جمال القراء ٤٣٤، النشر تحـ د. سيد أحمد دراز (رسالة دكتوراه) ١/ ٢٢ (من ترقيم التحقيق).

(٣) في لطائف الإشارات تحـ الشيخ عامر عثمان، د. عبد الصبور شاهين ١/ ٥١.

مفقود. والصواب أنه صحابي أثبته في الإصابة ٦/ ١٠٩ وفيه أن عمر أقامه ليصلي التراويح بالناس في رمضان وقد توفى ٦٣هـ. لكن السيوطي والقسطلاني لم يذكرا معاذ بن جبل ضمن من ذكرهم أبو عبيد.

٢٤ – النعمان بن قيس هذا التقطته من كتاب القراءات في اليمن د. عبد الله عثمان علي المنصوري ص١٢٩ ووثقته من نشرة الكتب العلمية من الإصابة (٦/ ٣٥٦).

٢٥ – أم ورقة. هذه صحابية استدركها السيوطي وذكر أنها كانت تطلب الشهادة ووعدها النبي ﷺ باستجابة الله لها. وأن عَبيدها قتلوها[١].

ولم نذكر هنا سائر من جاء في قائمة أبي عبيد التي أوردها السيوطي، وهم أنس بن مالك، حذيفة بن اليمان، سعد بن أبي وقاص، طلحة بن عبيد الله، عبدالله بن الزبير، عبد الله بن السائب، عبد الله بن العباس، عبد الله بن عمر، معاوية، أبو هريرة وأمهات المؤمنين الكريمات عائشة وحفصة وأم سلمة فالجميع ثلاثة عشر. وذلك لأن أبا عبيد لم يلتزم بمن أتموا حفظ القرآن كله في حياة الرسول فحسب، بل أضاف إليهم بعضًا ممن أتموا الحفظ بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

لكننا هنا نلتزم بمن استظهروا القرآن كله في حياة الرسول ﷺ وهم ثلاثة وعشرون صحابيًا عدا مجمع بن جارية لعدم إتمامه، وعبد الواحد للاختلاف في صحبته.

---

(١) ينظر الإتقان النوع العشرون.

فاستظهارُ هذا العددِ النصَّ القرآني في حياة الرسول ﷺ يقيم الحجج على كل مما يأتي:

أ – انتقال النص القرآني بجملته من مُتَلقّيه ﷺ إلى أمته في حياته بصورة تضاف إلى انتقاله بصورة العرض.

ب – سلامة النص في هذا الانتقال بمعنى انتقاله صحيحًا دون تحريف أو إسقاط، وذلك لكثرة عدد المستظهرين بحيث لا يخفى التحريف أو السقط، وبحيث يتعذر اجتماعهم عليه، ثم لوجود المرجعية العظمى بينهم وهو النبي ﷺ الذي يمكن أن يحتكموا إليه عند الاختلاف. وقد وقع هذا الاحتكام فعلاً(١).

جـ – تواتر هذا الانتقال للنص سليمًا صحيحًا لأن عدد العشرين يزيد عن الحد الأدنى للعدد الذي يتحقق به التواتر وهو خمسة أو عشرة أو اثنا عشر(٢).

د – هذا إلى الآلاف الذين حفظ كل منهم قدرًا من النص الكريم قد يجتمع منه القرآن. وهذا يمثل مستوى آخر من التواتر، ومن الرقابة على سلامة النص رقابة متبادلة. وقد ذكر الأئمة هذا(٣).

(١) ينظر في ذلك الاحتكام تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٢٣ – ٢٧.

(٢) ينظر غاية الوصول شرح لب الأصول للشيخ زكريا الأنصاري ٩٥ – ٩٦.

(٣) تنظر كلمة المازري في المرشد الوجيز ص٤٠.

الفصل السادس
مقرئو العامة ومقرئو الأفراد

نقصد بمقرئي العامة حافظي القرآن الكريم الذين ينتصبون لإقراء من يأتيهم من جمهور المسلمين. ومعنى أنهم ينتصبون لهذا أنهم:

أ – يَثْبُتُون في مكانٍ ما – يغلب أن يكون المسجد، ليكون عامًّا ومظنة لورود جمهور هذا الاتجاه.

ب – ويتفرغون – أو يكادون – للإقراء ليس لهم شغل غيره.

جـ – وجمهورهم عامّ ليس مقصورًا على من يقصدون حفظ كل القرآن.

د – ولا على من يقصدون أن يتحولوا – بعد ما يحصلونه من القرآن – إلى مقرئين.

هـ – ولا على من يريدون أن يحصلوا على إسناد في القراءة.

و – والمعتاد أن يكون الذين يتلقون عن هؤلاء المقرئين كثيري العدد – لا أفرادًا محدودين. وإيجاز تصوير مقرئي العامة هؤلاء أن نشبههم بمقرئي الكتاتيب في زماننا.

ويقابل مقرئي العامة هؤلاء في أكثر نقاط تصوير حالهم من يمكن أن نسميهم مقرئي الأفراد. لكن ما ذكرناه بالنسبة لمقومات مقرئي العامة لا يعني بالضرورة أنه لا يتخرج من بين أيديهم مقرئون ذوو إسناد، فإن كثيرين ممن حفظوا القرآن كله، وصاروا مقرئين ذوي إسناد قد تخرجوا في مقارئ العامة تلك أيضًا.

وقد حددت كلمة لسيدنا عثمان ﷺ المقوِّمَيْن الأوَّلَين من المقومات التي ذكرناها لمقرئي العامة. كما حددت أول من يمكن أن نعده منهم. فقد كان أبو عبد الرحمن السُّلَمى عبد الله بن حبيب بن ربيعة (ت ٧٣ أو ٧٤هـ) يقرأ على عثمان، ويسأله عن القرآن (أي عن المعاني وما إلى ذلك)، وكان عثمان وَلِيَّ الأمر، فشق ذلك عليه. فقال للسُّلمى: إنك تَشْغَلني عن أمر الناس، **فعليك بزيد بن ثابت، فإنه يجلس للناس، ويتفرغ لهم.** ولست أخالفه في شيء من القرآن. قال السُّلَمى: وكنت ألقى عليًّا ﷺ فأسأله فيخبرني، **ويقول عليك بزيد بن ثابت.** فأقبلت على زيد، فقرأت عليه القرآن ثلاث عشرة مرة»[1] أي أن عثمان وعليًّا كانا يحيلان طالبي القراءة على زيد بن ثابت رضي الله عنهم جميعًا. إن لهذا النوع

(١) ينظر معرفة القراء الكبار ١/ ٥٦ وقد علق محقق كتاب معرفة القراء الكبار هذا على قصة أبي عبد الرحمن السلمي مع عثمان وعليّ هذه. بأن الذهبي (أي مؤلف كتاب معرفة القراء هذا) علّق في كتابه الآخر «سير أعلام النبلاء» على هذه القصة بأن «إسنادها ليس بالقائم»، وفسر المحقق ذلك بأن راويها حفص بن سليمان الأزدي (كذا) متروك الحديث مع إمامته في القراءة. اهـ وأقول (أ) إن المحقق كان عليه أن يصوب متن كلام الذهبي في هذه الرواية أولًا حيث ذكر فيه حدثنا حفص بن عمر فالصواب (أبو عمر) وهو نفسه حفص بن سليمان الأسدي (لا الأزدي كما كتب المحقق) صاحب عاصم (ب) هذا الطعن في حديث عاصم مذكور في معرفة القراء الكبار ١/ ١٤٠ - ١٤١ وفي غاية النهاية ١/ ٢٥٤ (جـ) هذا الطعن لا يُقْبَل في هذه الرواية خاصة. ذلك أن حفصًا قد روى الكلام عن أربعة أنهم قرءوا على السلمى - وهذا صحيح، وأن السلمى قرأ على عثمان - وهذا صحيح، وأن عثمان وعليًّا قالا للسلمى كذا وأحالاه على زيد وهذا حَرِيّ أن يكون صحيحًا، فليس فيه ما يستغرب، كما أن المتن ليس فيه ما يدعو حفصًا إلى الكذب. والمقرر عن حفص أنه أضبط في القراءة عن عاصم من صنوه أبي بكر. وقد وثق حفصًا الإمامُ أحمد وكفى به.

من الإقراء العام حظَّه من استفاضة العلم بالقرآن الكريم وقراءته – كما هو واضح، بل يؤخذ من كلام العلماء أن هذا النوع الذي لا يُلتَزَم فيه بقراءة كل القرآن أو إقرائه له حظ في إثبات التواتر – لا الاستفاضة فحسب. فقد قرر الإمام أبو عبد الله المازَرِيّ المالكي (ت ٥٣٦هـ) أنه «ليس من شرط كون القرآن متواترًا» (أي متواتر النص) أن يَحْفَظَ الكلَّ الكُلَّ، بل الشيء الكثير إذا رَوَى كلَّ جُزء منه خلقٌ كثير عُلِمَ ضرورة، وحصل متواترًا» اهـ وقد وافقه الأئمة على ذلك[١].

لقد أقرأ كل من سادتنا عمر وعثمان وعلي أفرادًا – وكانت ولايةُ كل منهم أمورَ المسلمين شاغلة عن الانتصاب للإقراء العام. وكان زيد بن ثابت وأبي بن كعب أكثر إقراء منهم. ثم أتاحت ولاية أبي موسى على البصرة من قبل عمر – بعيدًا عن المدينة المنورة التي تكثر فيها مصادر الإقراء – فرصة للراغبين في القراءة، فقرأ عليه كثيرون. أما عبد الله بن مسعود فأرسله عمر إلى الكوفة معلمًا فحسب أي لا واليًا، فقرأ عليه كثيرون وجدوا الفرصة لتكرار القراءة عليه حتى صار كل منهم مقرئًا يؤخذ عنه القرآن [٢] وذلك بالإضافة إلى الذين أخذوا عن ابن مسعود الفقه في الدين حتى صاروا أئمة فيه أيضًا. ومن هنا يمكن أن يعد

(١) كلمة المازري في المرشد الوجيز لأبي شامة ص٤٠ وقد أوردها أبو شامة محتجًا بها، كما أوردها السيوطي في الإتقان النوع العشرون (عالم الكتب ١/ ٧١).

(٢) ذكر في فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢٢٦ أسماء ستة من أصحاب عبد الله بن مسعود «كانوا يقرئون الناس القرآن ويعلمونهم». وفي غاية النهاية ١/ ٤٥٨ أسماء اثني عشر ممن قرءوا عليه كلهم تقريبًا أقرءوا.

زيد بن ثابت أول أهل هذا الاتجاه (الإقراء العام) في المدينة، وفي مكة عبد الله بن السائب، وفي الكوفة عبد الله بن مسعود، وفي البصرة أبو موسى الأشعري، ثم أبو الدرداء الذي انتصب للإقراء في دمشق فقرأ عليه آلاف. وقد جاء أثر موثق يؤخذ منه أن أبا سعيد الخدري ﷺ كان ممن يقرئ العامة أيضًا. فعن التابعي أبي نضرة المنذر بن مالك العوقي (بالقاف من عبد القيس ت١٠٨/ ١٠٩هـ) قال كان أبو سعيد الخدري ﷺ يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشى[1]. ومن وصايا أبي سعيد: عليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه رَوْحك في أهل السماء وذكرُك في أهل الأرض[2]. أما مقرئو العامة من التابعين فهناك التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السلمي الذي انتصب للإقراء في الكوفة - بعد عبد الله بن مسعود فظل يقرئ العامة نحو أربعين سنة. وخَلَفه الإمام السبعي عاصم بن أبي النجود، ثم الأعمش والإمام السبعي حمزة. وخلف زيدًا في المدينة أبو جعفر، ثم شيبة، ثم الإمام نافع، وخلف ابن السائب في مكة مجاهد ثم الإمام ابن كثير، وخلف أبا الدرداء في دمشق المغيرة بن أبي شهاب ثم الإمام عبد الله بن عامر، وكان نصيب التابعي عامر بن عبد قيس في البصرة في هذا الباب أقل من غيره، لكن البصرة كانت زاخرة بأهل الإقراء: أبي الأسود ولقنائه حتى انتهوا إلى الإمام أبي عمرو بن العلاء[3]. وفي أمصار أخرى بدأت مسيرة الإقراء العام

---

(١) الخبر في مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٧ وينظر عن أبي نضرة نفسه الطبقات الكبرى ٧/ ١٥٥ - ١٥٦ وتهذيب التهذيب.

(٢) من سير أعلام النبلاء ٣/ ١٧١.

(٣) تفصيل ما ذكرنا عن تسلسل المقرئين في (دفع المطاعن عن القراء) د. محمد حسن جبل.

بصحابة أيضًا. فمنهم معاذ بن جبل بفلسطين، والشهاب القرشي بحمص، وعبادة بن الصامت بحمص ثم فلسطين.

وهناك نوع آخر من مقرئي العامة نبه على وجوده الإمام أبو شامة المقدسي وهو مقرئو الجند. والمقصود جنود جيوش المسلمين التي كانت تحتشد في أطراف الدولة لحماية الأمة. وقد كان أولو الأمر حراصًا على تثقيف الجنود وتوعيتهم بدستور دينهم وبرسالتهم. وقد ذكر أبو شامة منهم عطية بن قيس الكلابي التابعي، قاريء دمشق بعد ابن عامر (ت ١٢١هـ). وقد جاوز المئة سنة، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر (ت ١٣١هـ). وربما كان هناك غيرهما[(١)].

وليس الهدف هنا هو الاستقصاء وإنما تسجيل وجود هذا النوع من الإقراء العام ومقرئي العامة تسجيلاً تاريخيًا يستند على حقائق معينة لا أخبار مرسلة.

*****

ونذكر الآن كلمة عن أبي عبد الرحمن السلمي ثم عن عامر ابن عبد قيس.

(أبو عبد الرحمن السلمي):

هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الضرير مقرئ الكوفة. ولد في حياة النبي ﷺ ولأبيه صحبة. أخذ القرآن عرْضًا عن عثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأُبَيّ بن كعب رضي الله عنهم. وقد ذكرنا من قبل أنه قرأ على عثمان، وعَلِيّ، ثم أحالاه على زيد بن ثابت فقرأ عليه القرآن ثلاث عشرة مرة[(٢)] أخذ القراءة عنه كثيرون منهم عاصم بن أبي النجود،

---

(١) ينظر المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي (تحـ طيار آلتي) ١٦٥.

(٢) ينظر معرفة القراء الكبار ١/٥٦.

وعطاء بن السائب، وأبو إسحاق السَّبيعي، ويحيى بن وثاب، والحسن والحسين رضي الله عنهما وآخرون.

قال ابن مجاهد: أول من أقرأ الناس بالكوفة القراءةَ المُجْمَعَ عليها أبو عبد الرحمن السلمي. وقال السبيعي ظل أبو عبد الرحمن السلمي يقرئ الناس في المسجد الأعظم (بالكوفة) أربعين سنة. وأهدى له رجل كان يقرأ عليه فرسًا فردها وقال: أَلَّا كان هذا قبل القراءة. وقال قبل موته: أنا أرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضانًا. وهو الراوي عن عثمان عن النبي ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وكان يقول: هذا الذي أقعدني هذا المقعد. ولازال يقرئ الناس من زمن عثمان (ت٣٥هـ) إلى أن توفي سنة أربع وسبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين[١].

(عامر بن عبد قيس العنبري):

هو عامر بن عبد قيس (أو ابن عبد الله)[٢] العنبري البصري. قال ابن الجزري وردت الرواية عنه في حروف من القرآن من الشاذ وغيره». (أي أن هناك من أقرأه فروى هو عنه تلك الحروف) قال ابن الجزري «أقرأ عامر القرآن دهرًا، ولا أعلم على من قرأ – غير أنه أدرك عثمان وابن مسعود وجماعة من

---

(١) قوام الترجمة من غاية النهاية ١/ ٤١٣ – ٤١٤.

(٢) أ – ذكر في الطبقات الكبرى ٧/ ٧٢ باسم عامر بن عبد الله بن عبد القيس. لكن الظاهر أن حقيقة اسمه عامر بن عبد قيس حيث ذكر في الطبقات ٧/ ٧٥ «عن شعبة بن الحجاج.. عن سهم بن شقيق قال أتيت عامر بن عبد الله – قال شعبة وبعضهم يكره أن يقول عبد قيس» اهـ فيكون «عبد الله»، هنا عوضًا عن ذكر «عبد قيس» لا أبًا لعامر.

ب – هناك في الطبقات الكبرى أيضًا ٦/ ٨٥ عامر بن عبد قيس من بني عامر بن عصر. كان ضمن الذين وفدوا من البحرين على رسول الله ﷺ.

الصحابة. روى عنه مالك بن دينار. قال الحسن (بن أبي الحسن البصري): كان عامر يصلي الصبح في المسجد، ثم يقوم (= يقف) في ناحية منه، فيقول: من أُقْرِئُ»؟ (أي من يريد أن يقرأ فليأت إلي)، فيأتيه أناس فيقرئهم القرآن حتى تطلع الشمس وتمكن الصلاة. فيقوم فيصلي حتى يصلي الظهر. ثم يصلي حتى يصلي العصر، ثم يقوم إلى مجلسه في المسجد فيقول من أُقرِئ؟ فيأتيه أناس فيقرئهم القرآن حتى يقوم لصلاة المغرب، ثم يصلي (أي بعد صلاة المغرب) حتى يصلي العشاء. ثم ينصرف إلى منزله. قال ابن الجرزي مات في خلافة عثمان، وقد جُهِّز إلى الشام فمات بها»[1].

- ويضاف من مصادر أخرى أن ذلك المسجد الذي كان يقرئ فيه هو مسجد البصرة، وأنه رأى يومًا عامل البصرة يعذّب ناسًا في الشمس، فأثاره أن تُخْفَر ذمةُ رسول الله ﷺ فخلّصهم بالقوة، فأبلغ العامل مَن فوقه، فأمروا بنفيه إلى الشام (= دمشق) فرحل إليها ومات هناك[2].

☐ **فهذا أحد مقرئي العامة في مسجد البصرة زمن عثمان**. وادخر الله له أجره فانطمس كثير من أخباره: السند الذي تلقى هو عنه القرآن الكريم (وقد ذُكِر أنه الذي أرسله سيدنا عثمان ﷺ مع المصحف العثماني الذي أُرْسِلَ إلى البصرة)، كما جُهِلَت أسماء الذين تلقوا القرآن عن عامر هذا. وبذا لم يُسْتَطَع تحديدُ موقع له في سند أيّ من أئمة القراءات العشر. ولم يُعْرَف تاريخ وفاته بله مولده.

(١) ينظر غاية النهاية ١/ ٣٥٠ وقد ذكر في نسبته المصري. وهو تحريف عن «البصري» ووصف حياته اليومية كما ذكر هنا مع بعض الزيادة في فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٢٧.

(٢) ينظر الطبقات الكبرى ٧/ ٧٦ – ٧٧.

مقرئو الأفراد:

أما مقرئو الأفراد فإن مراجعة الصورة الحادية عشرة من الفصل الرابع تبين لنا بوضوح أن أبي بن كعب ﷺ كان من أبرز مقرئي الأفراد. وحسبنا هذا المثل لأن الاستقصاء في هذا ليس من هدف هذه الدراسة.



الفصل السابع
استفاضة قراءة القرآن الكريم في الأمة

استفاضة الخبر معناها ذُيوعه وانتشاره. والمقصود باستفاضة قراءة القرآن الكريم انتشارُ العلم به وانتشارُ قراءته بين الأفراد، وفي التجمعات بمختلف أنواعها في قُطْر الدعوة الإسلامية أو أقطارها في العهد النبوي والعهد التالي له.

وتحديدًا لهذا الأمر فأنا سنفرد سطورًا للحديث عن استفاضة قراءة القرآن الكريم في العهد النبوي الشريف، وأخرى للحديث عن هذا الاستفاضة بعد ذلك العهد المبارك.

فأما في العهد النبوي الشريف فقد قدمنا العناصر العلمية المصورة لتلك الاستفاضة: لقد كانت هناك صور كثيرة – بينّا منها نحو عشر – يقرأ فيها رسول الله ﷺ القرآن على أصحابه ومن أحاط به. ولا ينبغي أن يخالجنا شك في معرفة مسلمي العهد النبوي بخطر القرآن الكريم وعظيم قَدْره بأنه كلام الله عز وجل ينزل على رسوله ﷺ، وأنهم لذلك كانوا يُولُونه أعظم الاهتمام، فيسارعون إلى رسول الله ﷺ إذا علموا أو سمعوا أنه ﷺ أُنزل عليه قرآن ليسمعوا ما أُنْزِل – كما مرّ بنا في خبر نزول سورة الفتح عليه ﷺ أثناء عودته من الحديبية. وكانوا يتناوبون في الحضور مع رسول الله ﷺ والسعي على المعاش حرصًا على الإحاطة أولًا بأول بما ينزل من القرآن الكريم، كما كانوا يترقبون نزول القرآن كلما حدث أمر ذو بال – عامًّا كان أو خاصًّا – ليعلموا ما يقضي الله فيه..

وكما مر بنا أنه ﷺ كان يقرأ القرآن على من حوله بمجرد نزوله، مر بنا أيضًا أنه ﷺ كان يتلو القرآن على من يدعوهم إلى الإسلام، وعلى من أسلم حديثًا، ويُحَفّظه بعض السور، ويتلو القرآن على المسلمين في المسجد، وفي تجمعاتهم، وفي خُطَبه وأحاديثه إليهم، وفي صلواته الجهرية بهم، ويكلف أصحابه بإقراء إخوانهم الذين أسلموا، ويرسل مبعوثين إلى الأمصار ليقرئوا أهلها القرآن. ويكلف قادة جيوشه بأن ينصبوا للجنود وللذين يسلمون من يُقْرِئهم القرآن. ثم إن تعاليم الإسلام تقضي بأن يحفظ كل مسلم قدرًا من القرآن زيادة عن سورة الفاتحة ليقرأه في الصلاة. ووَعَى الصحابة من ذلك كله أهمية أن يحفظوا القرآن استظهارًا. ومن هنا وجدنا من الصحابة من تلقن القرآن من رسول الله ﷺ ثم عرض عليه أي قرأ عليه ﷺ ما حفظه، حرصًا على الضبط والإتقان، عينًّا منهم أكثر من أربعة عشر صحابيًّا. ثم كان لكل منهم من يتلقى منه ويعرض عليه، أي أنهم تحولوا إلى مدارس قرآنية. كذلك وجدنا كثيرًا من الصحابة الذين حفظوا القرآن كله أو ما يقارب الكلَّ في حياة النبي ﷺ - استخلصنا من الأخبار المروية أسماء ثلاثة وعشرين منهم، إذا أضفنا إليهم من ذكرت المصادر أنهم أتموا الحفظ بعد حياة النبي ﷺ بقليل بلغ عددهم ستة وثلاثين معيَّني الشخصيات، وذلك غير المجهولين. فإذا استحضرنا مع ذلك التزام كثير من الصحابة قراءة قدْر من القرآن كل يوم أو ليلة[1]، وحِفْظَ كل مسلم بعض الآيات ضرورة، وأثر مبعوثي الرسول ﷺ إلى الأقاليم والقرى: مكة والطائف والبحرين واليمن وعُمان. في تلقين القرآن وتحفيظه..، وأن الذين استشهدوا في موقعة بئر معونة في حياة النبي ﷺ كانوا سبعين من القراء، وأن أقل تقديرات الذين استشهدوا من القراء في موقعة اليمامة سنة ١١ أي بعد وفاة النبي ﷺ

---

(١) كأبي بكر وعثمان وأبي موسى.. وينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٨٧ - ٩٥.

بشهور أنهم كانوا نحو سبعين أيضًا ...

□ إذا استحضرنا ذلك كله تبين لنا أن الرسول ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا والشطر الأكبر من الجزيرة العربية يموج مَوْجًا ويلهَج لهَجًا بذكر آيات الله المنزلة في القرآن الكريم.

□ **أما بعد انتقاله** ﷺ إلى الرفيق الأعلى فقد ازدادت استفاضة قراءة القرآن. فعندما قُمِعَت الردة واستتب الأمر أدرك الخليفة الأول ومَن بَعده بنور الله تعالى أن الدولتين اللتين كانتا تحيطان بهم لن يتركا دولة الإسلام تعيش حرة في ما اختارت من الدين. وكان الروم قد قتلوا وصلبوا أميرًا عربيًا تابعًا لهم لما علموا أنه أسلم هو فروة بن عمر الجذامي عاملهم على عمان أو مَعَان[1]، وكان الفرس يتربصون بدولة الإسلام الناشئة الدوائر – بعد أن مزق كسرى رسالة النبي ﷺ إليه. فدفع الخلفاء جنود الله المسلمين إلى مواجهة أعداء الله من الدولتين ليكسروا شوكتهم ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، أي ليكون قرار المرء اعتناق دين ما منوطا بضميره حسب ما فطره الله ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[البقرة: ٢٥٦] .

ومع كل خطوة لجندي من جنود الله كانت تنتشر آيات القرآن الكريم. فقد كان أولئك الجنود يحفظ كل منهم من القرآن ما شاء الله، فكانت آيات القرآن تنتشر مع خطواتهم شرقًا وشمالًا وغربًا. وتحول الذين حفظوا القرآن في العهد النبوي ثم الذين تلقفوه منهم وحفظوه إلى مراكز إشعاعٍ وبثٍّ للقرآن الكريم

---

(١) ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢١٥.

وتحفيظ القرآن الكريم لمن شاء، وكان منهم من سميناهم مقرئي العامة، ومقرئي الأفراد، وأُضيفَ إليهم مبعوثُو عمر ﷺ إلى الأمصار: البصرة والكوفة ودمشق وحمص وفلسطين.. ليعلموا الناس القرآن. وبذلك كله انتشر حفظ القرآن انتشارًا عظيمًا في كل جوانب الجزيرة العربية. ويكفي أن نعلم أو نستحضر أنه عَنَّ لهم – في أحد الأيام – أن يحصوا الذين يجتمعون في مسجد دمشق لحفظ القرآن أو قراءته على الصحابي أبي الدرداء والعرفاء الذين تحت يده فبلغوا ألفا وست مئة.

وهنا خبران يوضحان بعض صور انتشار قراءة القرآن:

أ – شيَّع عمرُ بعض الصحابة من المدينة إلى الكوفة فقال لهم «إنكم تأتون أهل قرية لهم دَوِيٌّ بالقرآن كدوي النَّحْل، فلا تَصُدّوهم بالحديث فتشغَلوهم..»[1].

ب – عن علي بن الأقمر عن أبي الأحوص الجُشَمي قال: «إن كان الرجل لَيَطْرُق الخِباء فيسمع فيه كدوي النحل. فما لهؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون»[2].

وهذا كله يفسر انزعاج حذيفة من اختلاف جنود المسلمين المشاركين في فتح أذربيجان في القراءة، فأبلغَ عثمانَ، فكُتِبَت المصاحفُ العثمانية ووُزِّعَت على الأمصار[3]. وسيأتي تفصيل هذا.

---

(١) نفسه ٦/ ٨٧.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد ٦١، وتهذيب التهذيب ٧/ ٢٨٤.

(٣) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ١٥٣ – ١٥٤. وسيأتي الموضوع هنا مفصلًا.

ويلاحظ هنا أمران: **الأول**: أن ذلك الاختلاف كان بين الجنود أي بين الآلاف الذين كانوا يشتركون في ذلك الجهاد، **والثاني**: تاريخ ذلك الاختلاف وهو سنة ٢٥ أو ٢٦هـ أي بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى بخمس عشرة سنة فقط. (أما نوع الاختلاف فكان يسيرًا منه ما هو أدائي ولهجي أو من سنن العرب في كلامها، ومنه ما هو إبدال كلمة بكلمة أحيانًا حسب ما كان من رخصة الأحرف السبعة. ولكن تعلق ذلك الاختلاف اليسير بالنص القرآني الكريم وهو أقدس المقدسات جسّم خطره. فنُسخت تلك الرخصة بكتابة المصاحف العثمانية). والشاهد هنا هو انتشار قراءة القرآن بين آلاف الجنود أيضًا.

❑ ومن ذلك كله نشأت في كل مصر وقطر طبقة من القراء تتصل قراءاتها بالذين قرءوا على رسول الله ﷺ. وهكذا كانت استفاضة قراءة القرآن حقيقة واقعة ملموسة، وكانت دعمًا عظيمًا آزر تلك الطبقات التي اتصلت قراءاتها برسول الله ﷺ من أعلى، وامتدت حتى تخرج من بين حَمَلة أسانيدها المتصلة أولئك القراء العشرة الذين اعتمدت الأمة قراءاتهم – وقد فصّلنا أسانيدهم هنا والحمد لله رب العالمين.



الفصل الثامن

الأئمة العشرة، ومعنى نسبة القراءات إليهم وأساس تخصيصهم

والأئمة العشرة المعنيون هنا هم: أبو جعفر يزيد بن القعْقَاع (١٣٠هـ)، ونافع بن أبي نعيم (١٦٩هـ) – وهما المدنيان، وعبد الله بن كثير (١٢٠هـ) – وهو المكي، وعاصم بن أبي النجود (١٢٩هـ) وحمزة بن حبيب الزيات (١٥٦هـ) وعلي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ) – وهم كوفيون، وإن كان الكسائي انتقل إلى بغداد، وخلف بن هشام البزار (٢٢٩هـ) وهو من مدرسة الكوفيين، لكنه بغدادي الإمامة. وأبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (٢٠٥هـ) – وهما **البصريان**، وعبد الله بن عامر اليحصبي (١١٨هـ) – وهو الشامي.

☐ **أما عن معنى نسبة قراءة كل منهم إليه فإنها نسبة اختيار أداء، واختيار حروف، لا نسبة ابتكار قراءة أو حروف.** ذلك أن جُلّ اختلافات القراءات عند هؤلاء هي الاختلافات الأدائية مثل إمالة نطق ألفات معينة ونصبها أي عدم إمالتها، ومثل تحقيق نطق الهمزة أو عدم تحقيقها، ومثل ضم هاء الضمير أو كسرها في مثل «إليهم» و «عليهم»، وكذلك نطق الميم في مثل هذا ساكنة، أو مضمومة أو مكسورة، ومع مد ضمة هذه الميم أو كسرتها أو عدم مدهما .. وهكذا إلى الكثير جدًّا من هذا النوع من الاختلافات الأدائية. فهذه الاختلافات الأدائية أصلها لهجات عربية كان الصحابة يقرءون بها القرآنَ كلٌّ حَسَبَ نطق

قبيلته للغة العربية، وهي كلها لهجات عربية يُحتَجّ بها، والقراءة بها صحيحة تمامًا، لأن الكلمات والعبارات هي عين الكلمات والعبارات القرآنية المنزلة، ولا شك أن النطق اللهجي للنص القرآني الكريم كان مجوَّزًا للصحابة تيسيرًا عليهم[1].

☐ (أما ما عدا ذلك النوع الأدائي من الاختلافات فمنه ما يلحق باللهجات وهو ما كان من سنن العرب في كلامها كاختلاف الإعراب، ونطق مثل «يعملون» بالخطاب أو بالغيبة.. ومنه ما هو اختلاف حروف أي كلمات مثل «فتبينوا» «فتثبتوا» «ربَّنا باعِدْ»، «رَبُّنا بَاعَدَ» «ووَصّى» «وأَوْصَى» وهي قليلة العدد جدًّا في القرآن الكريم – فهذا ترجع نشأته إلى تيسير الله تعالى لعباده قراءة القرآن على سبعة أحرف، وتُلُقِّيَ بالرواية. وله معالجة مستقلة)[2].

☐ ثم إن كثيرًا من طالبي تلقي القرآن كان الواحد منهم يتلقى عن أكثر من واحد من الصحابة أو التابعين بلهجاتهم، فتجتمع عنده طرق أدائية، فكان الواحد منهم يختار طريقة (أو أكثر) يَلزَمها في قراءته، وقد يَلْزَمها في إقراء غيره. **وبذا نُسِبت تلك الطرق الأدائية إلى القراء نسبةَ اختيار ولزوم ورواية لا نسبة اختراع أو ابتكار لقراءة**[3].

وأما عن سر اختصاص هؤلاء العشرة بأعيانهم فهو أن أهل القرآن من

---

(١) انظر عجالة في ذلك في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (تحـ السيد صقر) ٣٩ و٤٢. وفي المرشد الوجيز لأبي شامة ٩٦ – ٩٧ أثر «أن جبريل قال يا محمد أقرئ كل قوم بلغتهم».

(٢) في كتاب حديث الأحرف السبعة، د. محمد حسن حسن جبل.

(٣) ينظر النشر لابن الجزري ٢/ ٥٢ وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي ٥ – ٦.

معاصري كل منهم في مِصْرِه (المدينة، أو مكة، أو البصرة، أو الكوفة، أو حمص أو دمشق)، تبينوا فيه وأَقَرُّوا له بأمور: **أولها** وثاقة سنده في روايته القرآن رواية **لا تخالف الرسم العثماني**، مع إحكامه هو تلك الرواية. **وثانيها** إجادته وإتقانه للقراءة مع بَصَر وفقه فيها، **وثالثها**: تجرده للإقراء مع ملازمته لما رواه وما اختاره ولطريقته في الأداء بحيث تميز له مذهب في القراءة. **ورابعها** – وهو نتيجة للثلاثة السابقة: أن أهل مصر كلٍّ منهم سلَّموا بإمامته **واجتمعوا على تقديمه والتلقي عنه.**

☐ فلما أراد **علماء الأمة** في مجال القراءات هذا أن ينصُبوا للناس أئمة في القراءات من أهل الأمصار التي وزعت عليها مصاحف عثمانية، **ضبطًا لوجوه الأداء والقراءة: بحصرها** – من ناحية، **وتقنينها** – أي تقعيد كل منها ليتيسر تلقيه وانتقاله إلى أهل العصور التالية – من ناحية أخرى، وجدوا أن هؤلاء هم الذين تحققت فيهم شروط الإمامة تلك، فاختاروهم ونوّهوا بفضلهم – وكانوا أكثر من عشرة، ثم استقر الأمر على هؤلاء العشرة كما كان أئمة فقه الشريعة كثيرين ثم فاقت شهرة أربعة منهم سائرهم.

وفي تفصيل لما يتطلب ذلك مما ذُكِر مجملًا عن سر اختيار هؤلاء العشرة خاصة نقول: أما عن وثاقة سند كل من أولئك الأئمة فسيتبين ذلك عند ذكر الأسناد في فصل تال. وأما عن إجادة كل منهم وإتقانه، وسائر ما ذكرنا من شروط تحققت في أولئك الأئمة، فسنكتفي بشهادات معاصريهم من أهل القرآن والقراءات، أو شهادات تصف حالهم بين معاصريهم أولئك. والثناء في مثل تلك الشهادات يعني أن المُثْنَى عليه تجاوز فضلُه أقرانَه من أهل عصره، وعُرِفت

إمامته واعتُرِف له بها بينهم في حياته، واجتمع عليه أهل المصر والطارئون عليه حتى صار لكل منهم لُقَناء (=تلاميذ) نجباء حملوا قراءته إلى الأجيال التالية.

والخلاصة أن أهلية كل منهم للإمامة في القراءات برزت وثبتت في حياته، واعَتَرفَ له بها أهلُ عصره من القراء وعلماء القراءات. ومن هنا كان من الطبيعي أن يختارهم علماء الأمة أئمةً في القراءة لأمصارهم، ثم للمسلمين عامة - كما سنرى بعد النُبَذ التالية عنهم.

١ - أبو جعفر يزيد بن القعقاع (١٣٠هـ):

فعن أبي جعفر:

أ - يقول معاصره عبد الرحمن بن أبي الزناد (١٠٠ - ١٧٤هـ) «لم يكن أحد أَقرأَ للسُّنَّة (أي أوفى اتباعًا للقراءة المأثورة صحةً وإحكامَ أداء) من أبي جعفر، وكان يُقَدَّمُ في زمانه على عبد الرحمن بن هرمز (ت١١٧هـ). وعبارة ابن مجاهد «وكان أبو جعفر لا يتقدمه أحد في عصره»[(١)] (وعبد الرحمن بن هرمز هذا هو أحد شيوخ أبي جعفر نفسه، وتلقى القراءة عن صحابة الطبقة الثانية: أبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عياش).

ب - كان أبو جعفر يمسك على مولاه الصحابي عبد الله بن عياش المصحف (أي وعبد الله يقرأ، وقد عُرِفَ عن عبد الله بن عياش هذا أنه من أقرأ الناس) - قال أبو جعفر «فكنت أروِي كما يقرأ، وأخذت عنه قراءته»[(٢)].

---

(١) ينظر كتاب السبعة لابن مجاهد ٥٦ - ٥٧، وينظر تهذيب التهذيب ٦/ ١٧١.

(٢) كتاب السبعة ٥٨.

جـ - ذكر أبو عبيد (٢٢٤هـ) أن أبا جعفر كان يقرئ الناس منذ ما قبل وقعة الحرة سنة ٦٣هـ، وقال ابن مجاهد (٣٢٤هـ) «وكان أبو جعفر مقرئ أهل المدينة في عصره»[(١)].

٢- نافع بن أبي نعيم (١٦٩هـ):

أ - قال نافع عن نفسه: قرأت القرآن على سبعين من التابعين «فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم (يعني فأكثر) فأخذته، وما شذ فيه واحد تركته، حتى ألّفت هذه القراءة في هذه الحروف»[(٢)].

ب - وقال الإمام مالك بن أنس - صاحب المذهب (ت ١٧٩هـ) «قراءة نافع سنة»[(٣)] (أي هي صحيحة محكمة تُتَّبع)، وكذا قال ابنُ وهب - أحد كبار خلفاء الإمام مالك (ت ١٩٧هـ) «قراءة نافع سنة»[(٤)].

جـ - قال الليث بن سعد (فقيه مصر ومحدثها. ت ١٧٥هـ) «حججت سنة عشر ومئة، وإمامُ الناس بالمدينة في القراءة نافع بن أبي نعيم». أي **وشيبة يومئذ حي**[(٥)] (المقصود شيبة بن نِصَاح أحد شيوخ نافع (ت١٣٠هـ). فكان نافع هو الإمام في القراءة مع أن شيخه فيها موجود، قال أبو عبيد (٢٢٤هـ) «وإلى نافع

---

(١) نفسه ٥٧ - ٥٨، وجمال القراء ٢/ ٤٢٩ وهو عن كتاب القراءات لأبي عبيد.

(٢) السبعة ٦١ - ٦٢.

(٣) نفسه ٦٢.

(٤) نفسه ٦٢.

(٥) نفسه.

صارت قراءة أهل المدينة»[1] وقال ابن مجاهد (٣٢٤هـ) «وعلى قراءة نافع اجتمع الناس بالمدينة: العامةُ منهم والخاصة»[2].

٣- عبد الله بن كثير (١٢٠هـ):

أ - نقل الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (صاحب المذهب ت٢٠٤هـ) قراءةَ ابن كثير وأثنى عليها، وقرأ على صاحبه إسماعيل بن قسطنطين (ت ١٧٠هـ) قارئ أهل مكة (أي بعد ابن كثير). وقال (أي الشافعي): «قراءتُنا قراءةُ عبد الله بن كثير، **وعليها وجدتُ أهل مكة. من أراد التمام فليقرأ لابن كثير**»[3].

ب - وقال ابن مجاهد «**كان مُقَدَّمًا في عصره**» وذكر أن ابن كثير هذا ومعاصرَه محمد بن محيصن (١٢٣هـ) قرآ معًا على مجاهد بن جبير،ودرباس مولى ابن عباس (وقرأ مجاهد ودرباس على ابن عباس) ثم قال ابن مجاهد: ولم يُجْمِع أهل مكة على قراءة ابن محيصن كما أجمعوا على قراءة ابن كثير»[4].

جـ - وقال أبو عبيد (٢٢٤هـ) «وإلى ابن كثير صارت قراءة أهل مكة، وأكثرهم به اقتدوا فيها»[5]. وقال ابن مجاهد: (٣٢٤هـ) «والذي أجمع أهل مكة على قراءته إلى اليوم ابن كثير»[6].

---

(١) ينظر جمال القراء ٢/ ٤٢٩ وهو عن كتاب القراءات لأبي عبيد.

(٢) «السبعة» ٦٢.

(٣) «إبراز المعاني من حرز الأماني» لأبي شامة (تحـ محمود جادو) ١/ ١٠١.

(٤) ينظر السبعة ٦٥.

(٥) «جمال القراء» ٢/ ٤٢٩ وهو عن كتاب القراءات لأبي عبيد.

(٦) «السبعة» ٦٥.

٤- عاصم بن أبي النَّجود (ت١٢٠/ ١٢٩هـ):

أ- قال أبو بكر بن عياش (ت١٩٣/ ١٩٤) «لا أُحْصِي ما سَمِعت أبا إسحاق السَّبيعي (وكان إمامًا في القراءة وكان أحد الفصحاء أيضًا ت ١٣٢/١٢٨هـ) يقول: ما رأيت أحدًا أقرأ للقرآن من عاصم بن أبي النجود» وقال الحسن بن صالح (ت١٦٩هـ) ما رأيت أحدًا أفصح من عاصم بن أبي النجود».

ب- قال ابن مجاهد «كان عاصم مقدَّمًا في زمانه، مشهورًا بالفصاحة، معروفًا بالإتقان» ثم قال ما خلاصته أن بعض أهل الكوفة صار إلى قراءة عاصم، لكن لم تغلب عليهم، لأنه بعد وفاة عاصم كان أهل الكوفة يفضلون تلقي قراءته عن تلميذه أبي بكر بن عياش، وكان أبو بكر هذا لا يكاد يمكِّن من نفسه من أراد تلك القراءة منه، فقلّت قراءة عاصم بالكوفة من أجل ذلك، وعزّ من يحسنها. وصار الغالب على أهل الكوفة قراءة حمزة بن حبيب الزيات[1] أي أن قلة شيوع قراءة عاصم بعده ترجع إلى جفاء تلميذه مع طالبيها.

٥- حمزة بن حبيب الزيات (١٥٦هـ):

أ- كان شيخه سليمان بن مِهران الأعمش (ت١٤٨هـ) إذا رآه قد أقبل يقول «هذا حبر القرآن». وقال الإمام أبو حنيفة إمام المذهب (ت ١٥٠هـ) لحمزة: «شيئان غلبتنا عليهما، لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض». وقال سفيان الثوري (وهو إمام في القراءة والحديث الشريف ت ١٦١هـ) «غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض» قال حمزة «ما قرأت حرفًا إلا بأثر». وقد عرض

---

(١) كل ما كتبناه هنا عن عاصم أخذناه من «السبعة» ٧٠ – ٧١ بتصرف في الترتيب.

سفيان الثوري القرآن على حمزة أربع عرضات»[1].

ب – قال أبو عبيد: «صار عُظْم أهل الكوفة إلى قراءته من غير أن يطبق عليه جماعتُهم»[2] (أي لأنه كان هناك أئمة آخرون كالأعمش وعاصم، وقال ابن مجاهد «كان حمزة إمام أهل الكوفة في عصره، أخذ القراءة عنه سفيان الثوري، وقرأ عليه جلة أهل الكوفة»[3] وقد سمي السخاوي في جمال القراء أكثر من خمسين من القراء الذين قرءوا على حمزة. وذكر صفحات في الثناء عليه[4].

٦- علي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ):

أ – قال يحيى بن مُعين (إمام في الحديث وعِلْم الرجال جليل ت٢٣٣هـ) «ما رأيت بعينَيَّ هاتين أصدق لهجة من الكسائي»[5] وقال الفراء (وهو إمام الكوفيين في العِلم باللغة – والمناظر لسيبويه بين البصريين ت٢٠٧هـ) «لم يُرَ مثلُ الكسائي، ولا يُرَى مثلُه أبدًا ... أعجبتني نفسي فناظرته مناظرة الأَكْفَاء، فكأني كنت طائرًا يغرف من البحر بمنقاره»[6].

ب – قال ابن مجاهد: «كان إمامَ الناس في القراءة في عصره. وكان يأخذ الناسُ عنه ألفاظه بقراءته عليهم»[7] وقال أحمد بن الصباح (ت ٢٣٠هـ) «كان

---

(١) ينظر غاية النهاية ١/ ٢٦٣.

(٢) ينظر جمال القراء ٢/ ٤٣٠ وهو عن كتاب القراءات لأبي عبيد.

(٣) «السبعة» ٧٤.

(٤) ينظر جمال القراء ٢/ ٤٦٧ – ٤٧٦.

(٥) جمال القراء ٢/ ٤٧٦.

(٦) نفسه ٢/ ٤٧٧.

(٧) «السبعة» ٧٨ وعبارة جمال القراء ٢/ ٤٧٦ «ثم إن الإمامة أفضت بعد حمزة إلى أبي الحسن=

الكسائي يبدأ بمن سبق فيأخذ عليه (أي يقرئ من يأتي من الطلاب أَوَّلًا) وكان متواضعًا يأخذ على كل إنسان، ولا يفضل أحدًا على أحد. حتى كَثُر الناس عليه (فكان «يقرأ عليهم ويتتبعون ألفاظه». وقال خلف بن هشام (٢٢٩هـ): كنت أَحضُر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس، وينقطون مصاحفهم بقراءته»[1].

٧- أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ):

أ – رُوى أن الحسن البصري (وهو أحد سادة التابعين في القراءة والعلم والدين ت ١١٠هـ) مرّ بأبي عمرو بن العلاء وحلقته متوافرة، والناس عكوف عليه (في جامع البصرة). فقال: مَنْ هذا؟ فقالوا: أبو عمرو. فقال «لا إله إلا الله. كادت العلماء تكون أربابًا. كلُّ عِزٍّ لم يؤكَّدْ بعلم فإلى ذُلٍّ يئول»، وقيل عنه إنه كان رأسًا والحجاج حيّ. (توفى الحجاج ٩٥هـ) وقال هو عن نفسه «كنت رأسًا في القراءة والحسَنُ حي» «ما رأيت قبلي أعلمَ مني». وقال الأصمعي (وهو إمام جليل ت٢١٥هـ) «وأنا لم أر بعد أبي عمرو أعلمَ منه». وقال أبو عبيدة (إمام رائد في علم اللغة والتفسير ت٢١٠) «كان أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالقرآن والعربية وأيام العرب والشعر وأيام الناس»[2].

ب – قال أبو عمرو «سمع سعيدُ بن جبير (من كبار التابعين ت ٩٥هـ)

= علي بن حمزة الكسائي فختم به قراءة الأمصار، وأشرق به عصره واستنار، وأثنى عليه الأئمة، واختاروه قدوة للأمة».

(١) جمال القراء ٢/ ٤٧٧ وفيه شهادة مماثلة لإسحاق بن يوسف الأزرق.

(٢) هذه الأخبار من «جمال القراء» ٢/ ٤٥٠ – ٤٥١، وينظر غاية النهاية ١/ ٢٩٠ – ٢٩١.

قراءتي فقال: الزمْ قراءتك هذه»[1] وكان شعبة بن الحجاج (وهو أُمَّة في الحديث وعلومه وفي رواية الشعر ت ١٦١هـ) يوصي طالبي تجويد القراءة بلزوم قراءة أبي عمرو. فقد قال لعلي بن نصر الجهضمي: انظر ما يقرأ أبو عمرو، وما يختار لنفسه فاكتبه، فإنه سيصير للناس إسنادًا»، وقال لوهب بن جرير (٢٠٦/ ٢٠٧هـ) «تمسك بقراءة أبي عمرو، فإنها ستصير للناس إسنادًا»[2]. قال ابن مجاهد «قرأ أبو عمرو على أهل الحجاز، وسلك في القراءة طريقهم» وقال إنه «لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله»[3].

وروى عن أبي عمرو قوله «لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قُرِئ به لقرأت كذا كذا، وكذا كذا»[4].

جـ - قال أبو عبيد «والذي صار إليه أهل البصرة فاتخذوه إمامًا أبو عمرو ابن العلاء»[5]. قال ابن مجاهد «كان أبو عمرو مقدَّمًا في عصره، عالمًا بالقراءة ووجوهها .. ولم تزل العلماء في زمانه تعرف له تقدمه، وتقر له بفضله، وتأتمّ في القراءة بمذاهبه» ثم قال «وكان في عصره بالبصرة جماعة من أهل العلم بالقراءة لم يبلغوه: منهم عبد الله بن أبي إسحاق، وعاصم الجحدري، وعيسى بن عمر الثقفي .. وكان هؤلاء أهل فصاحة أيضًا، ولم يُحفَظ عنهم في القراءة ما حُفِظ عن

---

(١) ينظر «السبعة» ٨٣.

(٢) ينظر - عن وصيته لنصر السبعة ٨٢، و «جمال القراء» ٢/ ٤٥٠ ورسمت «أستاذًا» تحريفًا، و «غاية النهاية» ١/ ٢٩٢. وعن وصيته لوهب «السبعة» ٨٢ وغاية النهاية ١/ ٢٩١.

(٣) الأثران في «السبعة» ٨١.

(٤) نفسه ٨٢.

(٥) جمال القراء ٢/ ٤٣١ وهو عن «القراءات لأبي عبيد».

أبي عمرو. وإلى قراءته صار أهل البصرة أو أكثرهم»[1]، وقال عبد الله بن جعفر (ت١٧٨هـ) «قدم علينا أبو عمرو **المدينة** فتقوضت إليه الحِلَق (أي حِلَق العلم) وقرأنا عليه، فما نعد من قرائنا قارئًا لم يقرأ على أبي عمرو» وقال وكيع (ت١٩٧هـ) قدم أبو عمرو بن العلاء **الكوفة** فاجتمعوا إليه كما اجتمعوا على هشام بن عروة»[2] (هشام هذا أمة في رواية الحديث ثقة - ت١٤٦هـ).

٨- يعقوب (٢٠٥هـ):

أ - قال عنه أبو حاتم السجستاني (وهو عالم بالقراءات واللغة جليل القدر ت٢٥٥هـ) «كان يعقوب أعلم من رأيت بلغات العرب وألفاظها وأشعارها وأيامها، وما رأيت أقرأ من يعقوب»[3] وعبارة ابن الجزري عن هذا الخبر: «هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القراءات وعلله ومذاهبه، ومذاهب النحو، وأروى الناس لحروف القرآن».

ب - قال ابن غلبون (إمام جليل في القراءات. ت٣٩٩هـ) «كان يعقوب إمام أهل البصرة في القرآن بعد أبي عمرو بن العلاء»[4] وقال الحافظ أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) «وائتم بيعقوب في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو. فهم أو أكثرهم على مذهبه» وقال محمد بن محمد بن عبد الله الأصبهاني ( ) «وعلى قراءة يعقوب إلى هذا الوقت أئمة المسجد الجامع بالبصرة. وكذلك

---

(١) «السبعة» ٨١ ثم ٨٤.

(٢) الخبران من جمال القراء ٢/ ٤٥٠.

(٣) كتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون (تحـ د. عبد الفتاح بحيري) ١/ ١٨٢.

(٤) «التذكرة» لابن غلبون ١/ ٨٢ بتصرف في الترتيب، وانظر أيضًا فيه ١/ ٤٣.

أدركناهم» وعبارة ابن الجزري «كان إمامًا كبيرًا ثقة عالمًا صالحًا. دَيِّنًا. انتهت إليه القراءة بعد أبي عمرو. وكان إمام جامع البصرة سنين»[1].

٩- عبد الله بن عامر (١١٨هـ):

أ – قال خالد بن يزيد (أحد من قرأ على ابن عامر ت ١٦٦هـ) «كانوا يسمون عبد الله بن عامر «الإمام» لعلمه بقراءة القرآن، وقيامه بها، وبحثه عنها»[2] وكان ابن عامر قد قرأ على الصحابي أبي الدرداء في جامع دمشق، وصار أحد العرفاء على بعض طلابه الذين بلغوا ألفًا وستمائة، فلما توفى أبو الدرداء (سنة ٣٢هـ) «خلفه ابن عامر، وقام مقامه مكانه، وقرأ عليه جميعهم، فاتخذه أهل الشام إمامًا، ورجعوا إلى قراءته»[3] (كذا. والصواب أن المغيرة بن أبي شهاب – الذي أُصحِبَ المصحف العثماني للشام هو الذي خلف أبا الدرداء قبل ابن عامر، وابن عامر عرض على المغيرة)[4]. وقال ابن مجاهد (٣٢٤هـ) «وعلى قراءته أهل الشام وبلاد الجزيرة إلا نفرًا من أهل مصر ينتحلون قراءة نافع».

ب – قال عنه أبو عبيد «هو إمام أهل دمشق في دهره، وإليه صارت قراءتهم»[5]. والغالب على أهل الشام قراءة ابن عامر»[6] ومما نقله ابن الجزري: «ولازال أهل الشام قاطبة على قراءة ابن عامر تلاوة وصلاة، وتلقينًا إلى قريب

---

(١) النشر لابن الجزري ١/ ١٨٦.

(٢) «جمال القراء» ٢/ ٤٥٧.

(٣) نفسه ٢/ ٤٥٤، وينظر أيضًا في ٢/ ٤٣١ – ٤٣٢.

(٤) ينظر غاية النهاية في ترجمتيهما، وسنُّ ابن عامر عند وفاة أبي الدرداء تمنع خلافته إياه.

(٥) ينظر جمال القراء ٢/ ٤٣١ وهو عن كتاب القراءات لأبي عبيد.

(٦) «السبعة» ٨٧.

الخمس مئة» (أي سنة ٥٠٠هـ)[١] وقال أبو علي الأهوازي (أحد شيوخ قراء عصره - ت٤٤٦هـ) «كان عبد الله بن عامر إمامًا عالمًا ثقة في ما أتاه، حافظًا لما رواه، متقنًا لما وعاه .. لم يتعد في ما ذهب إليه الأثر»[٢] وعد أبو علي هذا ممن قرأ على ابن عامر ستة وأربعين إمامًا في القراءة[٣].

١٠ - خلف بن هشام البزار (ت٢٢٩هـ):

أ - أما عن روايته فإنه تلقى قراءة حمزة تلقيًا وثيقًا[٤] وقال ابن الجزري «تتبعت اختياره فلم أره يخرج عن قراءة الكوفيين (أي عاصم وحمزة والكسائي) في حرف واحد، بل ولا عن حمزة والكسائي وأبي بكر (شعبة بن عياش راوي عاصم ت١٩٣هـ) إلا في حرف واحد. وهو قوله تعالى في الأنبياء ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ قرأها كحفص والجماعة بألف ..[٥].

ب - وأما عن إقرائه الناس فقد قال عن نفسه «حفظت القرآن وأنا ابن عشر سنين، وأقرأت الناس وأنا ابن ثلاث عشرة سنة»[٦]. وقال ابن الجزري «وكان إمامًا كبيرًا عالمًا ثقة، زاهدًا عابدا»[٧].

---

(١) «غاية النهاية» ١/ ٤٢٤.

(٢) نفسه ١/ ٤٢٥.

(٣) ينظر «جمال القراء» ٢/ ٤٥٧.

(٤) ينظر «غاية الاختصار» ١/ ٦٧ - ٦٨.

(٥) ينظر «النشر» ١/ ٤٥ و١٩١.

(٦) ينظر «غاية الاختصار» ١/ ٦٧.

(٧) ينظر «النشر» ١/ ١٩١.

(إجماع) علماء الأمة – على تزكية قراءات الأئمة العشرة:

هكذا تبين لنا في النُّبذ التي أوردناها عن القراء العشرة أن أهليّتهم وجدارتهم للإمامة في القراءات ظهرت في حياتهم وبين معاصريهم من القراء، وأن أولئك القراء المعاصرين لهم أقروا لهم بالإمامة، لصحة روايتهم وإحكامهم القراءة واجتماع الناس عليهم. وعلى ذلك كله فإن نَصْبَهم للإمامة كان بتزكية من أهل الاختصاص والخبرة والدراية في أزمانهم وأمصارهم. فإمامتهم بالغة الأصالة والكفاية العِلْميتين.

وإذا كانت كثرة القُرّاء المجيدين في الأمصار الخمسة المذكورة تجعل من الطبيعي أن يختلف علماء القراءات في العصور التالية في اختيار عدد محدود من بينهم لنصبه للإمامة ضبطًا للأمر – كما أسلفنا، فإن تزكية هؤلاء العلماء لأولئك القراء العشرة تخصيصًا عند إفرادهم، أو لبعضهم عند الاقتصار أو الاستكثار = يتيح لنا أن نقول بلا كبير تجاوز إن الأمة ممثلة في علماء القراءات قد أجمعت على نصب أئمة القراءات العشر أولئك.

فأول العلماء الذين رشّحوا وزكّوا أئمة القراءات هو أبو عبيد [1] القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) وذلك في مؤلفه في «القراءات» [2] الذي تَتَبَّع فيه أهل القرآن من لدن مولانا رسول الله ﷺ إلى نهاية القرن الثاني [3]، وبعد أن ذكر من عُرِف بأنه

(١) ذكر أنه المفضل الضبي (المتوفى ١٦٧/١٧٦هـ) ينظر «الإبانة» لمكي بن أبي طالب ٤٩، والمرشد الوجيز لأبي شامة ١٥٧.

(٢) لم يصل إلينا هذا الكتاب في حدود علمي، وإنما ننقل عما نقل منه.

(٣) ينظر «جمال القراء» للسخاوي ٢/ ٤٢٤ – ٤٣٢.

من أهل القرآن من الصحابة مهاجريهم وأنصارهم – رضي الله عن الجميع، ذكر أهل القرآن من التابعين في الأمصار الإسلامية الخمسة: المدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام، ثم ذكر من كل مصر ثُلّة تجردوا للقراءة – بعد التابعين – حتى صاروا أئمة فيها. فذكر من المدينة أبا جعفر، وشيبة بن نصاح، ونافعًا. ثم نوه بتقدم أبي جعفر وبدئه الإقراء قبل وقعة الحرة سنة ٦٣هـ وأن شيبة تلاه، ثم ثلثهما نافع الذي «صارت إليه قراءة أهل المدينة وبها تمسكوا إلى اليوم» أي إلى زمن تأليف أبي عبيد كتابه في «القراءات».

□ ثم ذكر ثلاثة أهل مكة: ابن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد بن محيصن، ثم نوه بتقدم ابن كثير وأنه «إليه» صارت قراءة أهل مكة».

□ ثم ذكر ثلاثة أهل الكوفة يحيى بن وثاب وعاصم بن أبي النجود، والأعمش، ونوه بإمامتهم، وبخاصة الأعمش، ثم بأن حمزة تلاهم وصار عُظْم أهل الكوفة إلى قراءته، وأن سُلَيم بن عيسى اتبع قراءته (ونحن نعلم أن خلف ابن هشام – ت٢٢٩هـ – تلقى قراءة حمزة عن طريق سُلَيم هذا حتى صار إمامًا فيها)، في حين اتبع أبو بكر بن عياش قراءة عاصم، وأن الكسائي أخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضًا.

□ ثم ذكر ثلاثة البصرة: عبد الله بن أبي إسحاق، وأبا عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي. ثم انتهى إلى أن أهل البصرة صاروا إلى أبي عمرو بن العلاء فاتخذوه إمامًا.

□ وأخيرًا ذكر قراء الشام: عبد الله بن عامر، ويحيى بن الحارث الذماري، وثالثًا اختلف في اسمه، ثم انتهى إلى أن أهل الشام أطبقوا على إمامة ابن عامر[1].

---

(١) انظر المرجع السابق.

ومن هذا العرض لتأريخ أبي عبيد لنصب الأئمة يتبين أنه نوه بإمامة الأئمة أبي جعفر ونافع في المدينة ثم خص نافعًا، وكذلك خص عبد الله بن كثير في مكة، ثم من أهل الكوفة خص عاصمًا والأعمش ثم حمزة والكسائي، لكنه نبه إلى صيرورة أهل الكوفة إلى إمامة حمزة، وأن عاصمًا قاسمه، وأن الكسائي اختار من قراءة حمزة وغيره، كما نوه بإمامة أبي عمرو لأهل البصرة، وإمامة ابن عامر لأهل الشام – أي أنه ذكر ثمانية من العشرة المعينين.

□ ومن الضروري أن نوضح أن أبا عبيد لم ينبه على خلافة يعقوب لأبي عمرو في إمامة القراءة بالبصرة – ربما لأن يعقوب تأخر في حياة أبي عبيد، إذ إن يعقوب توفى ٢٠٥هـ – مع أن أبا عبيد قضى السنوات الأخيرة من حياته في مكة على الراجح أو المدينة بعيدًا عن البصرة، فلم يتبين عن قرب إمامة يعقوب بعد أبي عمرو، وربما يكون ألف كتابه القراءات قبل بروز إمامة يعقوب. أما عدم ذكره خلفًا فلأن خلفًا تأخر عنه، إذ توفى سنة ٢٢٩هـ وفي بغداد لا في أحد الأمصار الخمسة. والسببان الثاني والثالث في عدم ذكره يعقوب واردان هنا أيضًا.

□ وبعد أبي عبيد: ألف أبو حاتم السجستاني (٢٥٥هـ) كتابًا كبيرًا في القراءات جمع قراءات نحو أربعة وعشرين إمامًا ممن ذُكِروا قَبْلًا عدا حمزة والكسائي وابن عامر[١]. و«جمع أحمد بن جبير الكوفي نزيل أنطاكية (ت٢٥٨هـ) كتابًا في القراءات سماه كتاب الثمانية، زاد على السبعة المشهورين يعقوب الحضرمي»[٢].

---

(١) ينظر «الإبانة» لمكي بن أبي طالب (تحـ د. عبد الفتاح شلبي ص٦).

(٢) ينظر السابق ص٥١ و «المرشد الوجيز» لأبي شامة ١٥٩.

ولأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) كتاب في القراءات، قد يؤخذ من كتابه (المعارف) أنه جمع فيه قراءة عشرين منهم العشرة المعهودون إلا يعقوب[1].

ثم ألف إسماعيل بن إسحاق المالكي (ت٢٨٢هـ) صاحب قالون كتابًا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين منهم السبعة المشهورون (نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي) والراجح أن بقية العشرين هم من الذين ذكرناهم عن أبي عبيد يضاف إليهم يعقوب وخلف.

ثم ألف محمد بن جرير الطبري المفسر (ت٣١٠هـ) كتابًا في القراءات حافلًا سماه «الجامع» فيه قراءات نيف وعشرين قارئا منهم السبعة المذكورون آنفًا، وقد يفهم أنه لم يضمِّنهم ابنَ عامر.

ثم ألف أبو بكر محمد بن أحمد الداجوني (ت٣٢٤هـ) كتابًا ضمّنه قراءة أبي جعفر (المدني أحد العشرة) — مع السبعة وربما مع آخرين.

ثم ألف أبو بكر بن مجاهد (ت٣٢٤هـ) كتابه «السبعة» مخصصًا السبعة المشهورين الذين ذكرناهم.

ثم ألف إبراهيم ابن عبد الرازق الأنطاكي (ت٣٣٨هـ) وأبو الحسن علي بن مُرّة النقاش (ت٣٥٨هـ) كل منهما كتابًا في الثمانية. المضاف إلى السبعة عند الأخير هو خلف[2].

---

(١) ينظر «رسم المصحف» لغانم الحمد ٦٦٠ «والمعارف» ٢٣٠ – ٢٣٢.

(٢) ينظر عنهما – على التوالي – «معرفة القراء الكبار» للذهبي ١/ ٢٣٠، و «الفهرست» لابن النديم (دار المعرفة) ٥٨.

ثم أول من بلغنا أنه خصص كتابًا للعشرة بأعيانهم دون نقص أو زيادة هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران (ت٣٨١هـ)[1]. له «المبسوط» فيهم، وله «الشامل» أيضًا.

وبعده ألف الشيخ أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت٣٩٩هـ) «التذكرة في القراءات» للأئمة الثمانية: السبعة المشهورين ويعقوب بن إسحاق الذي هو أحد العشرة[2].

ثم توالى التأليف «في القراءات» مع تخصيص هؤلاء العشرة بأعيانهم: السبعة المشهورين ومعهم الثلاثة أبو جعفر، ويعقوب، وخلف. لكن هناك من اقتصر على بعضهم، ومن أضاف إليهم. فلنغفل من اقتصروا على السبعة لكثرتهم،ولنذكر المؤلفات في قراءات العشرة[3] – منبهين على ما فيه إضافة إليهم أو نقص. فألف أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي (ت٤٠٨هـ) «المنتهى»، وأبو نصر أحمد بن مسرور البغدادي (ت٤٤٢هـ) «المفيد»، وأبو الفتح عبد الواحد بن شيطا (ت٤٤٥هـ) «التذكار»، وأبو منصور محمد بن أحمد الخياط

---

(١) ينظر النشر ١/ ٣٤.

(٢) طبع (بتحـ د. عبد الفتاح بحيري).

(٣) أ – هذه الكتب كلها أخذناها من النشر لابن الجزري ١/٧٣ – ٩٧ ورتبناها حسب وفيات المؤلفين. ويستثنى منها «مختصر» عيسى بن عبد العزيز اللخمي، و «بلغة المستفيد» لعلي بن عثمان. و «موضح» ابن الإسكافي فهي عن معجم المؤلفين ٨/ ٢٦ – ٢٧، ٧/ ١٤٨، ٨/ ٢٦١ على التوالي.

ب – بالنسبة للمؤلفات في «السبع» ذكر ابن الجزري مجموعة منها في النشر ١/ ٥٨ – ٧٢، ومجموعة أخرى فيه ١/ ٩٤ – ٩٧.

(ت٤٥٠هـ) «المهذب»، وأبو الحسن علي بن محمد (ابن فارس) نحو ٤٥٠هـ) «الجامع»، وأبو الحسين نصر بن عبد العزيز الفارسي (٤٦١هـ) «الجامع»، ويوسف بن جبارة الهذلي (٤٦٥هـ) «الكامل» في العشرة والأربعين، ومنصور بن أحمد العراقي (٤٦٥هـ) «الإشارة»، وأبو معشر (٤٧٨هـ) «التلخيص» في الثمانية وله «سوق العروس» (؟)، وأبو طاهر أحمد بن علي بن سوار (٤٩٦هـ) «المستنير»، وأبو منصور (الخياط (٤٩٩هـ) «المهذب» في العشرة والأعمش، وموسى بن الحسين المعدل (نحو ٥٠٠هـ) «روضة الحفاظ» في العشرة والأعمش، وأبو العز محمد ابن الحسين القلانسي (٥٢٠هـ) «الإرشاد»، و «كفاية المبتدى وتذكرة المنتهى»، وأبو منصور محمد بن عبد الملك العطار (٥٣٩) هـ «الموضح» و «المفتاح»، وأبو محمد عبد الله بن علي سبط الخياط (٥٤١هـ) «إرادة الطالب» و «المبهج» (ترك أبا جعفر وأضاف الأعمش واليزيدي وابن محيصن)، وأبو الكرم المبارك بن الحسن (٥٥٠هـ) «المصباح»، ومحمد بن إبراهيم الحضرمي (٥٦٠هـ)هـ «المفيد» في قراء الثمانية، وأبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني (٥٦٩هـ) «غاية الاختصار» وعيسى بن عبد العزيز اللخمي (٦٢٩هـ) «المختصر» وله «الجامع الأكبر» (؟)، وعلي بن عثمان الحنبلي (٦٧٢هـ) «بُلْغة المستفيد»، ومحمد بن أحمد (ابن الإسكافي) (٧٢٢هـ) «موضح»، وأبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن (٧٤٠هـ) «الكنز» و «الكفاية»، وأبو بكر بن أيد غدى (٧٦٩هـ) «البستان» في قراءة الثلاثة عشر، ثم ألف أبو الخير محمد بن محمد (ابن الجزري) (٨٣٣هـ) «النشر في القراءات العشر» و «طيبة النشر» فتحول التأليف إلى شرح «طيبة النشر»، وأشهر شروحها شرح أبي القاسم النويري (ت٨٥٧) وشرح أحمد ابن

ناظم «الطيبة» (٨٥٩هـ)، وشرح الشيخ محمد المنير السمنودي (١١٩٩هـ)، والشيخ محمد بن محفوظ الترمسي (١٣٣٨هـ) والشيخ علي محمد الضباع (١٣٨٠هـ). وفي أثناء ذلك ألف شهاب الدين القسطلاني ٩٢٣ كتابًا في قراءات الأربعة عشر ثم الشيخ أحمد ابن عبد الغني الدمياطي (البناء – ت١١١٧هـ) «إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة» يعنيان القراء العشرة المذكورين بأعيانهم مضافا إليهم الأربعة أصحاب القراءات الشاذة – مع التصريح بالاتفاق على شذوذها، وإنما ذَكَراها تتميمًا للفائدة. أي أنه لم يجدّ في أمر العشرة المعتمدة جديد إلى يومنا هذا.

☐ إن توالي التأليف في قراءات العشرة بأعيانهم منذ القرن الرابع الهجري (بل منذ أوائل القرن الثالث - كما مر عن كتاب أبي حاتم وتنويه أبي عبيد، مع اعتماد قراءاتهم أي عدم اعتدادها شاذة – توالي التاليف إلى يومنا هذا في أواخر الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري على الصورة التي لخصناها = يعني نوعًا من إجماع الأمة على هؤلاء العشرة واعتمادهم[1]. بل إن تلك التآليف التي سبقت التأليف في قراءات العشرة أو تخللتها وعينت بعضًا من هؤلاء العشرة هي أيضًا

---

(١) لم يخرج – في ما اطلعت عليه – عما كان علماء القراءات يجمعون عليه من اختيار العشرة أو زيادة واحد عليهم أو نقص واحد أو اثنين إلا أبو علي الحسن بن علي الأهوازي (ت٤٤٦هـ) فقد اشتمل كتابه «الإقناع» على ما سماه «قراءات» و «اختيارات» ولم يذكر من العشرة في القسم الأول إلا أبا جعفر، ولا في القسم الثاني إلا يعقوب وخلفًا العاشر. ينظر «التدوين في أخبار قزوين» لعبد الكريم الرافعي القزويني ٢/ ١٥٩ (قرص حاسوب) وهذا أبو علي الأهوازي قد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٣) قدحًا فيه تخف معه قيمة رأيه في الحكم بالإمامة.

تؤكد هذا المعنى تأكيدًا جزئيًّا أعني بالنسبة للقراء الذين ذُكرت أسماؤهم.

أما القراء من غير هؤلاء العشرة الذين ذكرت أسماؤهم في بعض المؤلفات فإن تأخر اختيارهم وعدم الثبات عليه يعد شاهدًا على بعدهم عن مزاحمة العشرة. ثم هم إما من أساتذة العشرة أو من تلاميذهم – أو من موافقيهم في القراءات – فهم على نفس السراط، أو من أصحاب القراءات الشاذة – فلا يحسب على القرآن الكريم ما في قراءاتهم من مخالفات للقراءات المعتمدة.



الفصل التاسع

أسناد وصول النص القرآني الكريم – بقراءاته – إلى الأئمة القراء العشرة خاصة

نلفت أولًا إلى أننا في ذكرنا هنا سند قراءة كل من الأئمة العشرة إلى سيدنا رسول الله ﷺ. سنلتزم بشيء من الإيجاز بذكر العدد الذي يكفي لضمان الثقة في توفر الأمانة في الحلقة أو الحلقتين بين سيدنا رسول الله ﷺ والإمام القارئ المقرئ.

وقد اخترنا الإيجاز هنا اعتمادًا على ما فصلناه من صور نقل القرآن الكريم من الرسول ﷺ إلى أمته ابتداء من التلقي والعرض – إلى الصور الشفاهية الأخرى، ثم إلى استفاضة قراءة القرآن في الأمة، ثم إلى مقرئي العامة. ويتمثل الإيجاز هنا في عدد رجال الحلقة السندية. فقد قيل إن الإمام نافعًا قرأ على سبعين من التابعين. فذكر هؤلاء السبعين يشتت القارئ، في حين أن المقصود بهذا الكتاب هو جمعُ الصورة وضبطُها. كما يتمثل الإيجاز في الإحالة على مصنفات تاريخ القراء لاستيفاء تفاصيل حياة كل من هؤلاء الرجال. ونشير في آخر هذا اللَّفْت إلى أنه مازال هناك ما يستدرك من رجال الأسناد وحيواتهم أيضًا. لكن ما سنذكره يكفي ويقنع كل قارئ منصف – إن شاء الله. أما المعاند والمكابر فلا يقنعه ما يقنع الأسوياء وليس كتابنا هذا موجهًا إليه.

أولًا: سند قراءة الإمام المدني أبي جعفر يزيد بن القعقاع[1] تابعي (ت ١٣٠هـ): وهو أحد الثلاثة الأئمة الذين كمَلوا السبعةَ عشرةً.

أ- قرأ أبو جعفر على صحابة من الطبقة الثانية هم:

عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة[2] (عمرو) بن المغيرة المخزومي (ت بعد ٧٠/ ٧٨)هـ. وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي (ت٦٨هـ). وأبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي (ت ٥٧/ ٥٨هـ) ﷺ.

ب- وقرأ الصحابة المذكورون على صحابة الطبقة الأولى على ما يلي:

فقرأ عبد الله بن عياش على أُبيِّ بن كعب (ت١٩/ ٢٢) [3].

وقرأ عبد الله بن عباس على: أبي بن كعب. وزيد بن ثابت. وقيل عَلَى عَلِيِّ ابن أبي طالب أيضًا[4].

---

(١) عن سند قراءة أبي جعفر وحياته ينظر «غاية الاختصار» لأبي العلاء الهمذاني ١/ ٧ - ١١، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ٢/ ٧٢، وغاية النهاية ٢/ ٢٨٣ - ٣٨٤.

(٢) ذكر عبد الله بن عياش في أسد الغابة (الشعب ٣/ ٣٦١) برقم ٣١١٣، دون ذكر خلاف في صحبته، بل ذكر حديثًا رواه عن النبي ﷺ. وعادته ذكر الخلاف إن كان، لكن تعليق محققي أسد الغابة يقول إن ابن أبي حاتم لم يذكر له صحبة. وفي معرفة القراء الكبار ١/ ٥٧ أنه «ولد بالحبشة فقيل إنه رأى النبي ﷺ» وفي غاية النهاية ١/ ٤٣٩ - ٤٤٠ قال عنه «التابعي الكبير .... قيل إنه رأى النبي ﷺ» وليس له ترجمة في تهذيب التهذيب لابن حجر ٥/ ٣٥١ وهو في الإصابة ٤/ ١٧٥.

(٣) ينظر معرفة القراء الكبار ١/ ٥٧ - ٥٨ وغاية النهاية ١/ ٤٤٠.

(٤) لم يذكر في معرفة القراء ١/ ٤٥ إلا قراءته على أبيّ. وفي غاية النهاية ١/ ٤٢٦ ذكر قراءته على الثلاثة بالصيغة التي ذكرناها.

وقرأ أبو هريرة: عَلَى أبي بن كعب ﷺ. وقيل إنه قرأ على النبي ﷺ[1].

جـ - قرأ أُبيّ بن كعب، وزيدُ بن ثابت، وعليّ بن أبي طالب على رسول الله ﷺ[2].

ثانيًا: سند[3] قراءة الإمام المدني نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت١٦٩)[4] للنص القرآني الكريم: وهو أحد الأئمة السبعة.

أ- قرأ الإمام نافع على كثيرين من التابعين منهم:

أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني تابعي (ت١٣٠هـ).

أبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني - تابعي (ت١١٧هـ).

أبو رَوح يزيد بن رُومان - مدني - تابعي (ت ١٢٠هـ).

أبو عبد الله مسلم بن جندب الهذلي - مدني - تابعي (ت١١٠/ ١٣٠هـ).

شيبة بن نِصَاح بن سَرجِس - مدني - تابعي (ت ١٣٠هـ).

---

(١) لم يذكر في «معرفة القراء الكبار» ١/ ٤٣ إلا قراءته على أبي، لكن في «غاية النهاية» ١/ ٣٧٠ ذكر قراءته على النبي ﷺ.

(٢) قراءة هؤلاء الثلاثة الأكابر على رسول الله ﷺ ثابتة وذكرناهم في الطبقة الأولى وانظر معرفة القراء الكبار ١/ ٢٨، ٣٦، ٢٥ على التوالي.

(٣) ينظر في إجمال الكلام عن سند نافع: «السبعة» لابن مجاهد ٥٤ - ٦٣، «التيسير» لأبي عمرو الداني ٨، و «الإقناع» لابن الباذش (تحـ د. عبد المجيد قطامش) ١/ ٧٢ - ٧٦، و «غاية الاختصار» لأبي العلاء الهمذاني (تحـ د. أشرف طلعت) ١/ ١٥ - ٢٠ مع ص٧.

(٤) ينظر عنه غاية النهاية ٢/ ٢٣٠ - ٢٣٤ (وفيه مزيد من أسماء شيوخ نافع)، وجمال القراء ٢/ ٤٤٢ - ٤٤٥، و «معرفة القراء الكبار ١٠٧ - ١١١».

ب – قرأ أولئك التابعون[1] على صحابة (الطبقة الثانية) على النحو المذكور أمام كل منهم في ما يلي:

– فقرأ كل من يزيد بن القعقاع، وعبد الرحمن بن هرمز – على الصحابة الثلاثة: أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر (ت٥٧/ ٥٨هـ). وعبد الله بن عياش ابن ربيعة (ت نحو ٧٨هـ). وعبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) رضي الله عنهم.

– وقرأ كل من يزيد بن رومان، ومسلم بن جندب، وشيبة بن نصاح على الصحابي عبد الله بن عياش بن ربيعة رضي الله عنه.

جـ – قرأ أولئك الصحابة على صحابة الطبقة الأولى – وهم الذين تمكنوا من قراءة القرآن على رسول الله ﷺ مباشرة. وذلك على النحو التالي[2]:

– فقرأ أبو هريرة على أبي بن كعب (ت نحو ٣٥هـ) – (وقيل إن أبا هريرة قرأ على رسول الله ﷺ مباشرة – أيضًا).

– وقرأ عبد الله بن عياش على أبيّ بن كعب أيضًا.

– وقرأ عبد الله بن عباس على أبي بن كعب، وزيد بن ثابت (٤٥/ ٤٨هـ)، وعلي بن أبي طالب (٤٠هـ) رضي الله عنهم.

---

(١) ينظر عن الخمسة (شيبة بن نصاح، وعبد الرحمن بن هرمز ومسلم بن جندب ويزيد بن رومان ويزيد بن القعقاع) من حيث حياتهم وقراءتهم على الصحابة المذكورين: «غاية النهاية» ١/ ٣٢٩، ٣٨١، ٢/ ٢٩٧، ٣٨١ – ٣٨٢ – ٣٨٤، على التوالي).

(٢) ينظر عن قراءة الصحابة الثلاثة أبي هريرة وعبد الله بن عياش وعبد الله بن عباس على الصحابة الكبار أبيّ وزيد وعليّ – حسب ما ذكر إزاء كل منهم – غاية النهاية ١/ ٣٧٠، ٤٢٥ – ٤٢٦، ٤٣٩ – ٤٤٠ على التوالي.

د – قرأ أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعليّ بن أبي طالب على مولانا رسول الله[1] ﷺ.

ثالثًا: سند[2] قراءة الإمام المكي عبد الله بن كثير[3] – تابعي (ت١٢٠/ ١٢٢). وهو من الأئمة السبعة.

أ – قرأ ابن كثير على الصحابيّ عبد الله بن السائب بن أبي السائب (ت حوالي سنة ٧٠هـ) رضي الله عنه.

– وعلى التابعي مجاهد بن جبر[4] (ت١٠٣هـ) الذي قرأ على عبد الله بن عباس (٦٨هـ) رضي الله عنهما.

– وعلى التابعي درباس[5] (ت في الثلث الأخير من القرن الأول تقديرًا) مولى ابن عباس الذي قرأ على مولاه ابن عباس رضي الله عنهما.

ب – قرأ الصحابي عبد الله بن السائب على صحابيي الطبقة الأولى: أبي بن

---

(١) ينظر عن قراءة هؤلاء الثلاثة الكبار على مولانا رسول الله ﷺ غاية النهاية ١/ ٣١ – ٣٢، ٢٩٦ – ٢٩٧، ٥٤٦ – ٥٤٧ على التوالي.

(٢) ينظر في إجمال الكلام عن سند قراءته «السبعة» لابن مجاهد ٦٤، «التيسير» للداني ٨، والإقناع ١/ ٩٠ – ٩٢، وغاية الاختصار ١/ ٢٣ – ٢٦.

(٣) ينظر عن التعريف به جمال القراء ٢/ ٤٤٨، ومعرفة القراء ١/ ٨٦ – ٨٨، وغاية النهاية ١/ ٤٤٣ – ٤٤٥.

(٤) قراءة مجاهد بن جبر على ابن عباس في معرفة القراء الكبار ص٦٦ وعليه أيضًا وعلى عبد الله بن السائب في غاية النهاية ١/ ٤١ – ٤٢.

(٥) قراءة درباس على ابن عباس في غاية النهاية ١/ ٢٨٠ – أيضًا.

كعب وعمر بن الخطاب[1] وقرأ الصحابي عبد الله بن عباس على صحابة الطبقة الأولى: أبي، وزيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب - ﷺ كما مر.

جـ - قرأ الصحابة عمر، وعليّ، وأُبَيّ، وزيد بن ثابت على رسول الله ﷺ - كما وثقنا من قبل[2].

رابعًا: سند[3] قراءة الإمام البصري أبي عمرو بن العلاء[4] (ت١٥٤).

وهو أحد الأئمة السبعة.

أ - قرأ أبو عمرو بن العلاء على قُرَّاء تابعيِّين من الأمصار الثلاثة: مكة، والمدينة، والبصرة على النحو التالي:

فمن أهل مكة قرأ أبو عمرو على مجاهد بن جبر - تابعي (ت١٠٣هـ).

- وسعيد بن جبير - تابعي (ت٩٥هـ).
- وعكرمة بن خالد المخزومي - تابعي (ت١١٥هـ).
- وعطاء بن أبي رباح - تابعي (١١٥هـ).
- وحُميد بن قيس الأعرج (١٣٠هـ) الذي قرأ على مجاهد بن جبر.

---

(١) قراءة عبد الله بن السائب على أبيّ بن كعب وعلى عمر أيضًا في غاية النهاية أيضًا ١/ ٤٢٠.

(٢) عن قراءة عمر على النبي ﷺ ينظر غاية الاختصار ١/ ٤٢ و٤٩ و٥٠ وينظر فقرة «المستدركون».

(٣) سند قراءة أبي عمر وذكر مجملاً في «التيسير» ٨ وفي «الإقناع» ١/ ١٠١ - ١٠٣ وفي «غاية الاختصار» ١/ ٣٨ - ٤٤. واقتصر ابن مجاهد في «السبعة» ٨٣ - ٨٤ على ذكر المكيين دون عكرمة وعطاء، وذكر يحيى من البصريين.

(٤) عن التعريف بأبي عمرو ينظر جمال القراء ٢/ ٤٥٠ - ٤٥٣. ومعرفة القراء الكبار ١٠٠ - ١٠٥ وغاية النهاية ١/ ٢٢٨ - ٢٩٢.

- وعبد الله بن كثير - تابعي (ت١٢٠هـ) (إمام القراءة الذي مر ذكره) وغيرهم.

ومن أهل المدينة قرأ أبو عمرو على:

- أبي جعفر يزيد بن القعقاع - تابعي (ت ١٣٠) (الإمام الذي مر ذكره).

- وأبي رَوح يزيد بن رُومان - تابعي (ت١٢٠هـ).

- وأبي ميمونة شيبة بن نِصاح - تابعي (ت ١٣٠هـ).

ومن أهل البصرة قرأ أبو عمرو على:

- أبي سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار - تابعي (ت ١١٠هـ) الذي قرأ على حِطّان بن عبد الله الرقاشي - تابعي (ت سنة نيف وسبعين هـ) وعلى أبي العالية رُفَيع بن مِهْران - تابعي (ت ٩٠/ ٩٦هـ).

- ويحيى بن يعمر العدواني تابعي (ت قبل ٩٠هـ) الذي قرأ على أبي الأسود الدؤلي - تابعي (ت ٦٩هـ) وعلى ابن عمر وابن عباس أيضًا.

ب- قرأ تابعيو الأمصار المذكورون على صحابة من الطبقة الثانية ثم الأولى على النحو التالي:

أما المكيون فقد قرأ سعيد بن جبير ومجاهد بن جبر على ابن عباس[1] رضي الله عنهما.

- وقرأ حميد على مجاهد الذي قرأ على ابن عباس[2] رضي الله عنهما.

---

(١) ينظر غاية النهاية ١/ ٣٠٥ و٢/ ٤١.

(٢) السابق ١/ ٥١٥.

- وقرأ عطاء على أبي هريرة[1] ﷺ.

- وقد عرفنا أن ابن عباس قرأ على أبيّ، وزيد، وعليّ ﷺ وأن أبا هريرة قرأ على أُبَيّ ﷺ[2].

- وأما ابن كثير فقد مر سنده وقد عرفنا أن سنده انتهى إلى أُبيّ، وزيد، وعليّ، وعمر ﷺ.

- **وأما المدنيون**: فقد قرأ ثلاثتهم شيبة بن نصاح، ويزيد بن رومان، ويزيد ابن القعقاع على عبد الله بن عياش الذي قرأ على أبيّ ﷺ.

- وقرأ يزيد بن القعقاع - زيادة عنهما - على ابن عباس وأبي هريرة[3]. وقد عرفنا أن ابن عباس قرأ على أبيّ وزيد وعليّ، وأن أبا هريرة قرأ على أبي بن كعب ﷺ.

- **وأما البصريون** فقد قرأ الحسن بن يسار على حطان الرقاشي (ت سنة بضع وسبعين هـ) الذي قرأ على **أبي موسى الأشعري**.

- وقرأ أبو العالية رفيع بن مهران على **أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن عباس** وصح أنه عرض **على عمر بن الخطاب رضي الله عنهم**.

- وعرض يحيى بن يعمر على الصحابيين **ابن عمر** وابن عباس (الذي عرفنا أنه قرأ على أبيّ وزيد)، كما عرض يحيى على التابعي **أبي الأسود** - (ت

(١) نفسه ١/ ٢٦٥.

(٢) نفسه ١/ ٥١٣.

(٣) ينظر عن شيبة غاية النهاية ١/ ٣٢٩ - ٣٣٠ وعن يزيد بن رومان نفسه ٢/ ٣٨١ وعن ابن القعقاع ٢/ ٣٨٢.

٦٩هـ) الذي عرض على عثمان وعليّ[1] رضي الله عنهم.

جـ - وبهذا يتبين أن قراءة أبي عمرو بن العلاء تنتهي إلى الصحابة: عمر، وعثمان، وعليّ، وأبيّ، وزيد، وأبي موسى، وابن عمر. وقد عرفنا قبل ووثقنا أن الصحابة الستة الأولين قرءوا على مولانا رسول الله ﷺ[2].

خامسًا: سند قراءة الإمام البصري يعقوب بن إسحاق بن يزيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي[3] (ت٢٠٥هـ) وهو من الثلاثة الذين كملوا السبعة عشرة.

أ - قرأ يعقوب على القراء الخمسة الآتين - وغيرهم[4]:

١ - سلّام بن سليمان المزني الطويل الخراساني (ت١٧١).

٢ - وشهاب بن شُرْنُفة المجاشعي (ت بعد ١٦٠).

٣ - ومَسْلمة بن محارب: السدوسي الكوفي (ت أواسط القرن الثاني تقديرًا).

٤ - وأبي الأشهب جعفر بن حيان الحذّاء العطاردي السعدي (ت١٦٥هـ).

---

(١) ينظر (غاية النهاية) عن الحسن ١/ ٢٣٥، وعن رفيع ١/ ٢٨٤ - ٢٨٥ وعن يحيى بن يعمر ٢/ ٣٨١ وعن أبي الأسود ١/ ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٢) ينظر - في قراءة عثمان وأبي موسى على النبي ﷺ - غاية النهاية ١/ ٥٠٧ و٤٤٢ على التوالي.

(٣) عن سند قراءته، وحياته ينظر غاية الاختصار ١/ ٤٥ - ٥١ ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٥٧ - ١٥٨ (ولم يذكر منهم مسلمة)، وغاية النهاية ٢/ ٣٨٦ - ٣٨٩.

(٤) زاد في غاية النهاية ٢/ ٣٨٦ أن يعقوب قرأ أيضًا على عصمة بن عروة الفقيمي، ويونس بن عبيد، وفي غاية الاختصار أنه قيل أن يعقوب قرأ على أبي عمرو بن العلاء أيضًا.

٥ – وأبي يحيى مهدي بن ميمون المعولي. (ت١٧١).

ب – وقرأ كل من هؤلاء الخمسة على آخرين على النحو التالي:

١ – فقرأ سلام بن سليمان المزني على:

عاصم بن أبي النجود الكوفي الإمام السبعي (ت ١٢٠/ ١٢٧هـ).

وأبي عمرو بن العلاء المازني الإمام السبعي (ت ١٥٤هـ).

وعاصم بن العجاج الجحدري (ت ١٢٨/ ١٣٠هـ).

ويونس بن عُبيد العبقسي مولاهم البصري.

والحسن (بن يسار) البصري (ت ١١٠هـ) وغيرهم[١].

٢ – وقرأ شهاب بن شرنفة على: هارون بن موسى الأعور (ت قبل ٢٠٠هـ) والمعلى بن عيسى[٢]. (ت أواسط القرن الثاني تقديرًا)

٣- وقرأ مسلمة بن محارب السدوسي على أبي الأسود الدؤلي. تابعي (ت٦٩هـ)[٣].

٤- وقرأ أبو الأشهب جعفر بن حيان الحذاء العُطاردي على أبي رجاء عمران بن تيم (أو ملحان) العطاردي – تابعي (ت١٠٥)[٤].

---

(١) ذكر في غاية الاختصار ١/ ٤٦ – ٤٧ الأربعة الولين فقط، زاد في غاية النهاية ١/ ٣٠٩ الحسن البصري، وشهاب بن شرنفة، وستة آخرين.

(٢) غاية الاختصار ١/ ٤٨ وزاد في غاية النهاية ١/ ٣٢٩ مسلمة بن محارب وقولاً بأنه قرأ على أبي رجاء العطاردي.

(٣) غاية النهاية ٢/ ٢٩٨ ثم ٣٦٨.

(٤) غاية الاختصار ١/ ٤٨ وغاية النهاية ١/ ٦٠٤.

٥- وقرأ مهدي بن ميمون على: شعيب بن الحبحاب البصري - تابعي (ت١٣٠هـ) وهو على أبي العالية الرياحي - تابعي (ت٩٠) [1].

جـ - وقرأ هؤلاء العشرة (أي ما عدا شعيبًا) على من فوقهم حسب ما يلي:

- **فأما عاصم بن أبي النجود، وأبو عمرو بن العلاء** اللذان قرأ عليهما سلام ابن سليمان المزني فهما إمامان سبعيان ذكرنا سندهما هنا.

- **وأما عاصم الجحدري** فقد قرأ على سليمان بن قتة (ت في الثلث الأخير من القرن الأول تقديرًا) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعلى الحسن البصري (ت١١٠) عن حطان الرقاشي (ت سنة بضع وسبعين) وأبي العالية الرياحي (ت٩٠). وعلى نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر (اللذين قرآ على أبي الأسود) كما قرأ يحيى على ابن عمر وابن عباس أيضًا [2] ﷺ.

- **وأما يونس بن عبيد** (ت١٣٩هـ) فقد قرأ على: الحسن البصري/ الذي قرأ على حطان الرقاشي وعلى أبي العالية [3] (وبذا يتبين سند الحسن).

- كذلك فإن **هارون بن موسى** قرأ - على عاصم بن أبي النجود الإمام، وعلى عبد الله بن كثير - الإمام وقد ذكرنا سنديهما هنا.

وعلى عاصم الجحدري الذي قرأ على سليمان بن قتة، والحسن، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر بأسنادهم المذكورة آنفًا.

---

(١) غاية الاختصار ١/ ٤٩ وغاية النهاية ٢/ ٣١٦ ثم ١/ ٣٢٧.

(٢) غاية الاختصار ١/ ٤٧ وغاية النهاية ١/ ٣٤٩ ثم ١/ ٣١٤ ثم ١/ ٢٣٥ ثم ٢/ ٣٣٦ و٣٨١.

(٣) غاية الاختصار ١/ ٤٧ وغاية النهاية ٢/ ٤٠٧ ثم ١/ ٢٣٥.

وعلى حميد بن قيس (١٣٠هـ) الذي قرأ على مجاهد بن جبر عن ابن عباس[(١)] رضي الله عنهما.

- وقرأ المعلى بن عيسى البصري الوراق الناقط على اثنين:

- عاصم الجحدري بسنده.

- وعون العقيلي عن نصر بن عاصم بسنده المتقدم[(٢)].

د - فباستحضار:

- أن قراءة عاصم بن أبي النجود تنتهي إلى عثمان، وعليّ، وأُبيّ، وزيد، وابن مسعود، ﷺ.

- وأن قراءة أبي عمرو بن العلاء تنتهي إلى ستة هم الأربعة الأولون وعمر وأبو موسى.

- وأن قراءة عبد الله بن كثير تنتهي إلى عمر، وعليّ، وأبيّ، وزيد.

- وأن أبا الأسود الدؤلي قرأ على عثمان وعلي بن أبي طالب.

- وأن ابن عباس قرأ على أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت. قيل وعلى عليّ.

- وأن حِطّان الرقاشيّ قرأ على أبي موسى الأشعري.

- وأن أبا رجاء العطارديّ قرأ على أبي موسى، وعلى أُبَي، وزيد عن طريق ابن عباس عنهما.

---

(١) لم يذكر في غاية الاختصار ١/ ٤٨ من مشايخ هارون إلا الجحدري وابن أبي إسحاق وأبا عمرو بن العلاء ثم قال «وغيره» والباقون أضيفوا في غاية النهاية ٢/ ٣٤٨ ومعهم ابن محيصن أيضًا، وحميد في غاية النهاية ١/ ٢٦٥.

(٢) ينظر غاية الاختصار ١/ ٤٨، وغاية النهاية ٢/ ٣٠٤ ثم ١/ ٦٠٦.

- وأن أبا العالية الرياحيّ قرأ على أُبيّ وزيد مباشرة، وعليهما من طريق ابن عباس عنهما، وعلى عمر بن الخطاب ﷺ.

هـ - يتبين أن قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي تنتهي إلى صحابة (الطبقة الأولى) عمر، وعثمان، وعليّ، وأبيّ، وزيد، وابن مسعود، وأبي موسى ﷺ.

- وقد بينا قبل أن هؤلاء جميعًا قرءوا على مولانا رسول الله ﷺ.

سادسًا: سند قراءة الإمام الشامي عبد الله بن عامر[1] اليحصبي الدمشقي - تابعي (ت١١٨هـ).

وهو أحد الأئمة السبعة.

أ - تلقى ابن عامر قراءته بصفة أساسية عن اثنين:

- الصحابي أبي الدرداء عويمر بن عامر بن غانم الأنصاري الخزرجي. أول من ولي قضاء دمشق - إحدى عواصم الشام - وأوسع الصحابة إقراء عامًّا - (ت٣٢هـ) وقد قرأ أبو الدرداء على النبي ﷺ كما سبق[2].

- التابعي: المغيرة بن أبي شهاب عبد الله بن عمرو بن المغيرة المخزومي

---

(١) ينظر عن سنده «السبعة» ٨٥ - ٨٦ حيث لم يذكر إلا المغيرة، و «التيسير» للداني ٩، و «الإقناع» لابن الباذش ١/ ١١٣ - ١١٥، و «جمال القراء» ٢/ ٤٢٨، ٤٣١ - ٤٣٦، ٤٥٤ - ٤٥٨، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٨٢ - ٨٦م. وعن حياته ينظر غاية النهاية ١/ ٤٢٣ - ٤٢٥ وموضعًا جمال القراء ومعرفة القراء الكبار السابقان.

(٢) ينظر الإقناع لابن الباذش ١/ ١١٣ - ١١٤ وغاية النهاية ٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦.

الشامي (ت١٩١هـ) عن تسعين سنة[١] وقرأ المغيرة بن أبي شهاب على عثمان ﷺ.
وقرأ عثمان على النبي ﷺ.

ب - وقد وردت الروايات بقراءة ابن عامر على عدد من الصحابة الذين نزلوا الشام. ولا شك أن وجود صحابة قراء في الشام بقرب ابن عامر التابعي الذي اختار الاشتغال بقراءة القرآن وإقرائه - يحفزه إلى التلقي عنهم. وهذا يرجح تلك الروايات بل يجعل تضعيفها أمرًا غريبًا. وهؤلاء الصحابة الذين نزلوا الشام ووردت الروايات بقراءة ابن عامر عليهم هم[٢]:

- معاذ بن جبل الأنصاري (ت١٨هـ) وكان عمر بعث معاذًا وأبا الدرداء إلى الشام للإقراء.

وقال ابن عامر إنه قرأ عليهما[٣].

- فَضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي (ت٥٣هـ) وكان معاوية ولاه قضاء دمشق بعد أبي الدرداء، واستخلفه على دمشق لما غاب عنها. وقد وصفت هيئة قراءة ابن عامر عليه بتفاصيل تؤكد وقوع هذه القراءة[٤].

- واثلة بن الأسقع الليثي (ت ٨٥هـ وهو ابن مئة وخمس سنين) كان من أهل الصُّفّة، وبعد وفاة النبي ﷺ نزل الشام وكان يشهد المغازي بدمشق

(١) ينظر غاية النهاية ١/ ٤٢٣ - ٤٢٥/ ٣٩٠٥ - ٣٠٦.

(٢) ينظر عنهم جميعًا جمال القراء ٢/ ٤٥٤ - ٤٥٥.

(٣) ينظر السابق ٢/ ٤٥٤ وغاية النهاية ٢/ ٣٠١.

(٤) ينظر جمال القراء ٢/ ٤٥٥ وتهذيب التهذيب ٨/ ٢٦٧ - ٢٦٨.

وحمص. وتوفى بدمشق[1].

- معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠هـ) وكانت عاصمة حكمه دمشق منذ أن ولاه عمر الشام. قال ابن عامر قرأت القرآن مرارًا بدمشق على معاوية بن أبي سفيان[2].

جـ - قرأ الصحابيان أبو الدرداء وعثمان بن عفان على النبي/ ﷺ عرضًا بلا خلاف - وقد مر ذلك موثقًا. وجاءت الروايات بقراءة الصحابيين فَضالة ابن عبيد، وواثلة بن الأسقع على النبي ﷺ[3] - دون ما يدعو إلى شك في هذه الروايات.

- قراءة معاذ على النبي ﷺ نقطع بها، بناء على ما ذكرناه في استدراكه في الفصل الثاني[4].

- قراءة معاوية على النبي ﷺ احتمال راجح[5].

فقراءة عبد الله بن عامر تنتهي إلى صحابة (الطبقة الأولى):

أبي الدرداء عويمر بن عامر الأنصاري، وفضالة بن عبيد الأنصاري،

---

(١) ينظر جمال القراء ٢/ ٤٥٥ وتهذيب التهذيب ١١١٠١ - ١٠٢.

(٢) ينظر جمال القراء ٢/ ٤٥٥ وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٠٧ وغاية النهاية ٢/ ٣٠٣.

(٣) ينظر جمال القراء ٢/ ٤٥٥ حيث جاءت روايتان اثنتان عن عبد الله بن عامر أن كلاً من فضالة وواثلة قرأ على النبي ﷺ.

(٤) الكلام عنه في الفصل الثاني الخاص بالمستدركين.

(٥) في جمال القراء ٢/ ٤٥٥ قال عبد الله بن عامر إنه قرأ «على معاوية بن أبي سفيان وعلى واثلة بن الأسقع وقرأ على النبي ﷺ» والسياق يرجح أن كلمة «وقرأ على النبي» هي «وقرآ» بالمد فيكون فيها ألف اثنين عائدة على معاوية وواثلة أيضًا.

وواثلة بن الأسقع الليثي.

وهؤلاء جميعًا قرءوا على رسول الله ﷺ كما أسلفنا هنا، وفي الفصلة الخاصة بالمستدركين – بالنسبة لغير أبي الدرداء.

سابعًا: سند قراءة الإمام الكوفي عاصم بن أبي النجود [1]:

تابعي (ت ١٢٧هـ). وهو أحد الأئمة السبعة.

أ – قرأ عاصم على التابعي أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي (ت٧٤هـ).

– وعلى التابعي أبي مريم زر بن حبيش بن حباشة الأسدي (ت٨٢هـ)[2].

ب – قرأ أبو عبد الرحمن السلمي على الصحابة عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت. ﷺ[3].

وقرأ زر بن حبيش على الصحابة عبد الله بن مسعود، ثم عثمان بن عفان. وروى أنه قرأ على عليّ وزيد وأبيّ أيضًا[4] ﷺ.

جـ – قرأ الصحابة: عثمان، وعليّ، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود على رسول الله ﷺ – كما وثقنا ذلك من قبل.

---

(١) ينظر في إجمال الكلام عن سنده وسيرته «السبعة» ٦٩ – ٧٠، «التيسير» ٩، والإقناع لابن الباذش ١/ ١٢٤، وجمال القراء ٢/ ٤٤٠ ثم ٤٦١ – ٤٦٥، وغاية النهاية ١/ ٣٤٦ – ٣٤٩.

(٢) تنظر المراجع المذكورة في التعليق السابق بتحديداتها.

(٣) ينظر التيسير ٩، والإقناع ١/ ١٢٤، وجمال القراء ٢/ ٢٦٢ وغاية الاختصار ١/ ٥٣.

(٤) التيسير ٩ والإقناع ١/ ١٢٤ وجمال القراء ٢/ ٤٦٣ وغاية الاختصار ١/ ٥٣.

ثامنًا: سند قراءة الإمام الكوفي حمزة بن حبيب الزيات. (ت١٥٦هـ).

وهو أحد الأئمة السبعة.

أ- قرأ حمزة على جماعة: منهم هؤلاء الخمسة:

١ - **سليمان بن مهران الأعمش** (ت١٤٨هـ).

٢ - **محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي الأنصاري الكوفي** (ت١٤٧هـ).

٣- **أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعي - تابعي** (ت ١٣٢هـ).

٤ - **جعفر بن محمد الصادق بن علي بن الحسين** ﷺ. (ت١٤٨هـ).

٥ - **حُمران بن أَعْيَن الكوفي** (ت حوالي ١٣٠هـ)[١] وغيرهم[٢].

ب - ١ - فقرأ **سليمان بن مهران الأعمش** على الأربعة:

يحيى بن وثاب الأسدي - تابعي (ت ١٠٣هـ)،

أبي العالية رُفَيع بن مِهْران الرياحي - تابعي (ت ٩٠/ ٦٩هـ)،

مجاهد بن جبر المكي - تابعي (١٠٣هـ)،

---

(١) ذكر هذا في معرفة القراء الكبار ١/ ١١٢ والإقناع ١/ ١٣٤ - ١٣٧، وغاية الاختصار ١/ ٥٦، ولم يذكر ابن مجاهد (السبعة ٧١ - ٧٤) إلا أربعة إذ ترك السبيعي، ولا السخاوي (جمال القراء ٢/ ٤٦٨) إلا ثلاثة. فترك جعفرًا أيضًا. وزاد «التيسير» على الخمسة منصور بن المعتمر، ومغيرة بن مقسم قال «وغيرهم».

(٢) ذكر ممن قرأ عليه حمزة: منصور بن المعتمر ومغيرة بن مقسم (التيسير ٩)، وطلحة بن مصرف (غاية النهاية في ترجمة حمزة ١/ ٢٦١ - ٢٦٢ دون ترجمة طلحة ١/ ٣٤٣، وذكر أخذ حمزة عن طلحة في معرفة القراء ١/ ١١٢ وغاية الاختصار ١/ ٥٦).

عاصم بن أبي النجود الإمام - تابعي (ت ١٢٧) وغيرهم[١].

٢ – وقرأ **محمد بن عبد الرحمن (ابن أبي ليلى)** على[٢]:

أخيه عيسى بن عبد الرحمن (ت؟ قُتل أبوه ٨٣هـ)،

عامر بن شراحيل الشعبي - تابعي (ت١٠٥/ ١٠٩هـ)،

طلحة بن مصرف الهمداني - تابعي (ت١١٢هـ)،

المنهال بن عمرو الأنصاري (أو الأسدي) الكوفي. (ت في الربع الأول من القرن الثاني – تقديرًا).

٣ – وقرأ **أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي** على سبعة[٣]:

عاصم بن ضمرة السكوني - تابعي (ت٧٤هـ)،

الحارث بن عبد الله الهمداني الكوفي الأعور - تابعي (ت٦٥هـ)،

علقمة بن قيس النخعي - تابعي (ت ٦٢هـ)،

الأسود بن يزيد النخعي - تابعي (ت ٧٥هـ)،

أبي عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب بن ربيعة - تابعي (ت ٧٤).

زر بن حبيش الأسدي الكوفي - تابعي (ت ٨٢هـ).

عمرو بن شرحبيل - تابعي (ت ٦٣هـ).

---

(١) ذكر الأربعة في معرفة القراء الكبار ١/ ٩٥، وزاد زيد بن وهب، وزر بن حبيش. وزاد معهما في غاية النهاية ١/ ٣١٥ إبراهيم النخعي.

(٢) غاية النهاية ٢/ ١٦٥.

(٣) غاية النهاية ١/ ٦٠٢.

٤- وقرأ جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي (ﷺ) على[1]:

أبيه محمد الباقر بن علي بن الحسين (ﷺ) - تابعي (١١٨/ ١١٠هـ).

٥- وقرأ حمران بن أعين على الأربعة[2]:

عبيد بن نضلة الكوفي - تابعي (ت٧٥هـ).

أبي حرب بن أبي الأسود، وأبيه أبي الأسود - تابعي (ت٦٩هـ).

يحيى بن وثاب - تابعي (ت ١٠٣هـ).

محمد الباقر بن علي بن الحسين (ﷺ) - تابعي (ت١١٨/ ١١٠هـ).

جـ - فالأربعة الذين قرأ عليهم **سليمان بن مهران الأعمش** قرءوا على تابعين وصحابة من الطبقة الثانية أو الأولى على النحو التالي:

- فقرأ **يحيى بن وثاب** (تابعي ت ١٠٣) على عبيد بن نضلة - مختلف في صحبته (ت٧٥) وعبيد قرأ على عبد الله بن مسعود، وعلى علقمة بن قيس (ت٦٢هـ) الذي قرأ على ابن مسعود أيضًا[3].

- وقرأ **أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي** على ابن عباس (من الطبقة٢)، وعلى أبيّ، وزيد، وعمر (ط١)[4].

- وقرأ **مجاهد بن جبر** على الصحابيين ابن عباس، وابن السائب[5] (ط٢)

---

(١) غاية النهاية ١/ ١٩٦.

(٢) غاية النهاية ١/ ٣٤٣.

(٣) ينظر غاية النهاية ٢/ ٣٨٠ و١/ ٤٩٧ -٤٩٨، ٥١٦ على التوالي.

(٤) نفسه ١/ ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٥) نفسه ٢/ ٤١ - ٤٢.

وهما قرآ على أبيّ، وانفرد ابن عباس بالقراءة على زيد بن ثابت وربما على عليّ، وانفرد ابن السائب بالقراءة على عمر[1].

- وقد علمنا أن سند قراءة عاصم بن أبي النجود ينتهي إلى الصحابة (ط١): عثمان، وعليّ، وأبيّ بن كعب، وزيد ثابت، وابن مسعود - ﷺ.

والأربعة الذين قرأ عليهم محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قرءوا على تابعيين قرءوا على صحابة (ط١) على النحو التالي:

- فقرأ عيسى بن عبد الرحمن على أبيه عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت ٨٣هـ) الذي قرأ على عليّ بن أبي طالب[2] ﷺ.

- وقرأ عامر بن شراحيل على: أبي عبد الرحمن السلمي (ت٧٤هـ) الذي قرأ على عثمان، وعليّ، وأبيّ، وزيد، وابن مسعود[3] ﷺ. وقرأ عامر أيضًا على علقمة بن قيس - تابعي (ت ٦٢ هـ) الذي قرأ على ابن مسعود[4].

- وقرأ طلحة بن مصرف الهمداني على إبراهيم بن يزيد النخعي (ت٩٦/ ٩٥هـ) الذي قرأ على الأسود بن يزيد - تابعي (ت٧٥) والأسود قرأ على عبد الله بن مسعود[5].

وقرأ إبراهيم النخعي أيضًا على الأسود وعلى علقمة بن قيس. وهما قرآ على

---

(١) ينظر غاية النهاية ١/ ٤١٩ - ٤٢٠، ٤٢٥ - ٤٢٦.

(٢) نفسه ١/ ٦٠٩ و٣٧٦ على التوالي.

(٣) نفسه ١/ ٣٥٠ و٤١٣ على التوالي.

(٤) نفسه ١/ ٣٠٥، ٦٠٩.

(٥) نفسه ١/ ٣٤٣، ٢٩ - ٣٠، ١٧١ على التوالي.

ابن مسعود أيضًا[1].

وقرأ طلحة أيضًا على يحيى بن وثاب. وقد عرفنا أن يحيى قرأ على عبيد بن نضلة وعلى علقمة بن قيس، وأنهما قرآ على عبد الله بن مسعود [2] رضي الله عنه.

- وقرأ المِنْهال بن عمرو الأنصاري على سعيد بن جبير - تابعي (ت٩٥) الذي عرض على عليّ[3] بن أبي طالب رضي الله عنه.

- **والسبعة الذين قرأ عليهم أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعي قرءوا على صحابة (ط١) على النحو التالي:**

فقرأ عاصم بن ضمرة السَّكوني على عِليّ بن أبي طالب[4].

وقرأ الحارث بن عبد الله الهمداني على عِليّ وابن مسعود[5].

وقرأ علقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد، وعمرو بن شرحبيل على ابن مسعود وحده[6].

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي على عثمان وعِليّ وأُبَيّ وابن مسعود[7] رضي الله عنهم.

وقرأ زر بن حبيش على عثمان وعِليّ وابن مسعود[8] رضي الله عنهم.

---

(١) نفسه ١/ ٢٩، ١٧١، ٥١٦.

(٢) غاية النهاية ١/ ٣٤٣ و٢/ ٣٨٠ و١/ ٤٩٧ -٤٩٨ و٥١٦ على التوالي.

(٣) نفسه ٢/ ٣١٥، ١/ ٣٠٥ على التوالي.

(٤) غاية النهاية ١/ ٣٤٨.

(٥) نفسه ١/ ٢٠١.

(٦) نفسه ١/ ٥١٦ و١٧١ و٦٠١ على التوالي.

(٧) نفسه ١/ ٤١٣.

(٨) نفسه ١/ ٢٩٤.

- والسيد **محمد الباقر** قرأ على: أبيه عليّ بن الحسين، وعليّ قرأ على أبيه الحسين الذي قرأ على أبيه عليّ بن أبي طالب[1] ﷺ جميعًا.

- كما قرأ الحسين على أبي عبد الرحمن السلمي الذي قرأ على الخمسة: عثمان وعلِيّ وأُبَيّ وزيد وابن مسعود[2] ﷺ.

- **والأربعة** الذين قرأ عليهم حُمران بن أعين قرءوا على صحابة (ط١) على النحو التالي:

- فقرأ عُبيد بن نضلة على ابن مسعود، وعلى علقمة الذي قرأ على ابن مسعود وأيضًا[3].

- وقرأ أبو حرب على أبيه أبي الأسود الدؤلي (تابعي ت٦٩)، وقرأ أبو الأسود الدؤلي على عثمان وعلِيّ[4].

- وقرأ يحيى بن وثاب على عُبيد بن نضلة الذي قرأ على ابن مسعود، كما قرأ على علقمة الذي قرأ على ابن مسعود أيضًا كما سبق[5].

- وقرأ السيد محمد الباقر على آبائه كما أسلفنا آنفًا[6].

د – وهكذا يتبين أن قراءة **الإمام حمزة** تنتهي إلى قُراء قرءوا على صحابة الطبقة الأولى: عمر، وعثمان، وعليّ، وأبيّ، وزيد، وعبد الله بن مسعود. وهؤلاء

---

(١) نفسه ٢/ ٢٠١ و١/ ٥٣٤، ٢٤٤ – على التوالي.

(٢) ينظر السابق نفسه ١/ ٢٤٤، ٢١٣.

(٣) ينظر غاية النهاية ١/ ٤٩٧ – ٤٩٨، ٥١٦، نفسه ١/ ٣٤٥.

(٤)

(٥) نفسه ٢/ ٣٨٠ و١/ ٤٩٧ – ٤٩٨، ٥١٦ على التوالي.

(٦) ينظر التعليق الرابع قبل هذا.

قرءوا على سيدنا رسول الله ﷺ.

تاسعًا: سند قراءة الإمام الكوفي علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) وهو أحد الأئمة السبعة[1]:

أ- قرأ الكسائي القرآن وجوّده على:

- حمزة الزيات وعليه مادة قراءته، واعتماده في اختياره.

- وعلى عيسى بن عمر الهمداني (ت١٥٦هـ).

- ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (١٤٨هـ) وغيرهم[2].

ب- فأما حمزة فقد مر سند قراءته.

- وأما عيسى بن عمر الهمداني فقد قرأ على ثلاثة [3]:

عاصم بن أبي النجود- الإمام السبعي - تابعي (ت١٢٧هـ).

---

(١) ينظر عن حياته معرفة القراء الكبار ١/ ١٢٠، وجمال القراء ٢/ ٤٤٠ و٤٧٦، وغاية النهاية ١/ ٥٣٥- ٥٤٠.

(٢) صرح في السبعة لابن مجاهد ٧٨ - ٧٩ بأن الكسائي اختار من قراءة حمزة ولم يصرح بقراءته على آخرين، وإنما روى عنه قوله: أدركت أشياخ أهل الكوفة القراء الفقهاء: حمزة، وعيسى بن عمر الهمداني وابن أبي ليلى، و أبان بن تغلب والحجاج بن أرطاة. وذُكر الثلاثة الأولون مع التصريح بأن مدار قراءته على حمزة في التيسير ١٠، ومعرفة القراء الكبار ١٢٠ وغاية النهاية ١/ ٥٣٥، وهذا التصريح في جمال القراء ٢/ ٤٤٠ وفي غاية الاختصار ١/ ٦٢ لكن مع الاقتصار على حمزة وعيسى وإضافة أبي بكر بن عياش وإسماعيل بن جعفر اللذين أضيفا أيضًا في غاية النهاية- مع إضافة عبد الرحمن بن حماد، والمفضل، وزائدة، وابن أبي سارة، وقتيبة بن مهران والاختلاف في أخذه عن شريح بن يزيد.

(٣) غاية النهاية ١/ ٦١٢.

وطلحة بن مصرف - تابعي (ت ١١٢هـ).

وسليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨).

وقيل وعن أبي عمرو بن العلاء - الإمام السبعي - تابعي (ت ١٥٤).

- وأما محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى فقد قرأ على أربعة[(١)]:

أخيه عيسى بن عبد الرحمن (قتل أبوه سنة ٨٣هـ).

وطلحة بن مصرف (ت ١١٢هـ).

والمنهال بن عمرو الأنصاري (الربع الأول من القرن الثاني - تقديرًا).

وسليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨هـ).

جـ - فأما **عاصم بن أبي النجود** فقد مرّ أن سنده ينتهي إلى صحابة (ط١) عثمان، وعلي، وأبي، وزيد، وابن مسعود ﷺ.

- وكذلك **أبو عمرو بن العلاء** مرّ أن سنده ينتهي إلى صحابة (ط١) عمر، وعثمان، وعلي، وأبي، وزيد، وأبي موسى، وإلى ابن عمر ﷺ.

- وأما **طلحة بن مصرف** فقد قرأ على إبراهيم بن يزيد النخعي - الذي قرأ على الأسود بن يزيد النخعي، وعلقمة بن قيس النخعي وهما قرآ على ابن مسعود.

وقرأ طلحة أيضًا على يحيى بن وثاب الذي قرأ على عبيد بن نضلة، وعلقمة، والأسود، وزر بن حبيش، وعبيد بن قيس، ومسروق، وأبي عمرو الشيباني، وأبي عبد الرحمن السلمي، وهم أخذوا القراءة عن ابن مسعود وحده - عدا السُّلمي وزِرّ - اللذين أخذا عن عثمان، وعليّ أيضًا، وزاد السلمي الأخذ

---

(١) نفسه ٢/ ١٦٥.

عن أُبيّ أيضًا – أي كما أخذ عن ابن مسعود، وعثمان، وعلي.

فقراءة طلحة بن مصرف ترجع – حسب ما تبين الآن – إلى قراءة ابن مسعود وحده – عدا ما كان من طريق السلمي[1]، وزرّ – عن عثمان وعليّ، والسلمي عن أبيّ، وكلهم بواسطة قراءة طلحة على يحيى بن وثاب.

– وأما **سليمان بن مهران الأعمش** فقد أخذ عن إبراهيم النخعي، ويحيى بن وثاب، وزيد بن وهب، وزِرّ بن حبيش – وكلهم تنتهي قراءتهم إلى عبد الله ابن مسعود وحده – عدا زر بن حبيش فإنه قرأ على عثمان وعليّ أيضًا – كما ذكر في سند طلحة آنفًا.

وقرأ سليمان أيضًا على مجاهد بن جبر عن ابن عباس عن زيد وأبيّ، وعلى **أَبي العالية الرياحي** الذي عرض على عمر بن الخطاب وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وعلَى ابن عباس عن أبيّ وزيد أيضًا.

وأخيرًا فقد قرأ سليمان الأعمش على عاصم بن أبي النجود الذي تنتهي قراءته إلى عثمان، وعلي، وأبيّ، وزيد، وابن مسعود[2].

– وأما عيسى بن عبد الرحمن الذي قرأ عليه أخوه محمد فقد عرض على أبيه عبد الرحمن بن أبي ليلى – تابعي (ت٨٣هـ) عن عِلِيّ بن أبي طالب.

---

(١) عن قراءة طلحة بن مصرف على إبراهيم النخعي ويحيى بن وثاب ينظر ترجمته في غاية النهاية ١/ ٣٤٣، ثم عن اللذين قرأ عليهما إبراهيم ينظر نفسه ١/ ٢٩ وعن الذين قرأ عليهم يحيى ينظر نفسه ٢/ ٣٨٠ وهم ثمانية ينظر سندهم في ترجماتهم في غاية النهاية.

(٢) ينظر عن سند سليمان الأعمش معرفة القراء الكبار ١/ ٩٤ – ٩٥ وغاية النهاية ١/ ٣١٥ ثم ترجمة كل من الذين قرأ عليهم.

- والمنهال بن عمرو عرض على سعيد بن جبير - تابعي (ت٩٥هـ) الذي عرض على ابن عباس الذي عرض على أبيّ وزيد، وقيل على علي بن أبي طالب أيضًا.

د - وبمراجعة ما سبق في (جـ) يتبين أن قراءة الإمام الكسائي تنتهي إلى صحابة (ط١): عمر، وعثمان، وعَلِيّ، وأُبَيّ، وزيد، وعبد الله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وعمر ﷺ.

وهؤلاء جميعًا قرءوا على مولانا رسول الله ﷺ مباشرة.

عاشرًا: سند قراءة الإمام الكوفي خلف بن هشام البزار (ت٢١٩هـ)[1]:

وهو أحد الثلاثة الذين كملوا السبعة عشرة.

أ - قرأ خلف بن هشام على: سُليم بن عيسى الكوفي عن الإمام الكوفي حمزة الزيات (١٥٦/ ١٥٤هـ)، وأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت (ت ٢١٥هـ)، وعبيد بن عقيل الهلالي[2] (ت ٢٠٧هـ).

ب - فأما حمزة بن حبيب الزيات الإمام فسنده ينتهي إلى صحابة (ط١):

---

(١) ذكر في غاية الاختصار ١/ ٦٦ وصول قراءة حمزة إلى خلف عن طريق سليم هذا ولم يذكر أحدًا أخر مع سليم في هذا التوسط، في حين ذكر في غاية النهاية ١/ ٢٧٣ صنوًا لسليم أي بين خلف وحمزة مباشرة أيضًا هو عبد الرحمن بن أبي حماد. ولم أجد اسمه هذا في ترجمات غاية النهاية كما لم أجد فيها ترجمة سليم.

(٢) ذكر الثلاثة في غاية الاختصار ١/ ٩٦ وأضاف عبد الوهاب بن عطاء العجلي، ثم أضاف بـ «قيل» إسحاق المسيبي والكسائي ويحيى بن آدم. وفي غاية النهاية ١/ ٢٧٣ أضاف يعقوب ابن خليفة الأعشى، وخص الثلاثة المسيبي والكسائي ويحيى مع إسماعيل بن جعفر، وعبيد ابن عقيل بأن خلفا أخذ عنهم الحروف، ونسب إلى الأخير رواية خلف عنه قراءة قتيبه.

عمر، عثمان، وعليّ، وأبيّ، وزيد، وابن مسعود – كما مر.

وأما **أبو زيد سعيد بن أوس** فقد روى القراءة عن:

- المفضل الضبي (١٦٨هـ) عن عاصم بن أبي النجود الإمام الكوفي (١١٦هـ).

- وأبي عمرو بن العلاء الإمام البصري (١٥٤هـ)[١].

وأما **عبيد بن عقيل الهلالي** البصري فقد روى القراءة عن:

- أبان بن يزيد العطار (ت نحو ١٧٠هـ) الذي قرأ على عاصم[٢] الإمام.

- وعن أبي عمرو بن العلاء – مباشرة وعن طريق هارون الأعور عنه[٣].

- وعن عيسى بن عمر الثقفي (ت١٤٩) الذي قرأ على ابن أبي إسحاق وعاصم الجحدري[٤].

- ومسلم بن خالد (ت ١٨٠هـ) وهو عن عبد الله بن كثير – الإمام[٥].

جـ – وبما سبق في (ب) يتبين أن قراءة حمزة تئول إلى الأئمة:

- **عاصم** بن أبي النجود الذي تنتهي قراءته إلى عثمان وعلي وأُبَيّ وزَيد وابن

---

(١) في غاية النهاية ١/ ٣٠٥ أن أبا زيد روى القراءة عن أبي السمال العدوي أيضًا. لكن ابن الجزري نسب الجزري نسب إلى أبي السمال هذا اختيارًا شاذًا في القراءة رواه عنه أبو زيد، كما ذكر ابن الجزري عن الهذلي سندًا القراءة أبي السمال ينتهي إلى عمر ثم قال عن هذا السند إنه لا يصح (غاية النهاية ٢/ ٢٧).

(٢) غاية النهاية ١/ ٤٦٥ و٤ على التوالي.

(٣) نفسه ١/ ٤٦٥.

(٤) نفسه ١/ ٤٦٥ و٦١٣.

(٥) نفسه ١/ ٤٦٥ و٢/ ٢٩٧.

مسعود.

- وأبي عمرو بن العلاء الذي تنتهي قراءته إلى عمر وعثمان وعَليّ وأُبي وزيد وأبي موسى، وابن عمر.

- وعبد الله بن كثير الذي تنتهي قراءته إلى عمر وعليّ وأبيّ وزيد بن ثابت.

كما تئول إلى: عبد الله بن أبي إسحاق (ت١١٧/ ١٢٧هـ).

- وعاصم بن العجاج الجحدري (ت١٢٨هـ).

فأما عبد الله بن أبي إسحاق فأخذ القراءة عن:

يحيى بن يعمر (قبل ٩٠هـ) ونصر بن عاصم[١] (٩٠هـ) اللذين عرضا على أبي الأسود (٦٩هـ) وهو على عثمان وعليّ. وانفرد يحيى بالعرض أيضًا على ابن عمر وابن عباس[٢] الذي قرأ على أبيّ وزيد - قيل وعلى عليّ أيضًا.

وأما عاصم الجحدري فأخذ القراءة عن:

يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم اللذين عرضا على أبي الأسود في سند ينتهي إلى عثمان وعليٍّ وأُبَيّ وزَيد - كما ذكرنا في السطور السابقة.

كما أخذ عاصم الجحدري القراءة عن الحسن بن يسار الذي قرأ على حطان الرقاشيّ عن أبي موسى الأشعري، وعلى أبي العالية عن أُبي، وزيد، وعمر.

وكذلك أخذ عاصم الجحدري القراءة عن سليمان بن قتة (ت) الذي أخذ عن ابن عباس عن أبيّ وزيد وقيل وعن عليّ أيضًا.

د - وبمراجعة ما سبق في (جـ) يتبين أن قراءة خلف تنتهي إلى صحابة

---

(١) غاية النهاية ١/ ٤١٠.

(٢) ينظر غاية النهاية ٢/ ٣٣٦ و٣٨١.

(ط١) عمر، وعثمان، وعليّ، وأبيّ، وزيد، وابن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وإلى (ابن عمر). وهؤلاء جميعًا قرءوا على مولانا رسول الله ﷺ.

****

بعد هذا التتبع أرجو أن يكون قد وضح وضوحًا علميًّا أن سند قراءة كلٍّ من القراء العشرة متصل بسيدنا رسول الله ﷺ اتصالًا وثيق العِلْمية محدّد الشخصيات والمعالم التاريخية، حسب ما هو مسجل في سجلات تاريخ القرآن والقراءات وتراجم القراء. ولله الحمد.

كذلك فإن أهل العلم بالقرآن والقراءات يعلمون بنفس مستوى الوثاقة الذي بيناه أن قراءة كل من الأئمة العشرة اتصلت بعده إلى يومنا بواسطة سلاسل إسناد تامة الوثاقة عن طريق قُرَّاء معروفي الشخصيات ومعالم الحيوات بما يفوق كثيرًا شروط التوثيق العلمي، وبأعداد سلاسل يصعب حصرها. والحمد لله رب العالمين.



الفصل العاشر

سر تعدد القراءات ومداه

هذا الفصل فرض نفسه إجابةً لتساؤلات يثيرها كل ما كتب في الفصول السابقة عن القراءات العشر، هذه التساؤلات: لماذا كان تعدد القراءات هذا؟ هل كان ضروريًا؟ وهل بين هذه القراءات فروق؟ وما مدى سعتها؟ ثم ما مدى تأثيرها في وحدة النص القرآني الكريم؟.

أما تعدد القراءات فله شطر ضروري وشطر من رحمة الله سبحانه وتعالى بالأمة استجابة لضراعة رسول الله ﷺ.

إن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين، لكنه بالنسبة لنا نحن البشر كلام صوتي أي مؤلف من أصوات لغوية منطوقة مركبة في كلمات، والكلمات في جمل وعبارات. وبالرغم من أن ترديد أي كلام استظهارًا بعين نصه يتطلب تفوقًا في قدرة الاستيعاب حفظًا، مع تمام التنبه واليقظة لدقائق التعبير وتفاصيله، وبخاصة مع طول النص، وأن هذه الأمور قد لا تتوفر بكمالها في بعض البشر – مما يوسع احتمال تعرض النص للتغيّر في أذهان من يريدون استظهاره، = فإن كمال الشعور بأن القرآن هو كلام رب العالمين، وأن كل حرف منه يَغْنِي أو يُسهِم في هداية أو تشريع أو عطاء رباني .. هذا الشعور يَبْلغ بالحرص على دقة استظهار النص أشدَّه، ويجعل المسلم يستجمع كل قوى الاستيعاب الدقيق، ليجبر ما قد يعتري البشر من نقص في الاستعدادات، فيتلقى النص الكريم بما ينبغي من حِدّة وَعْيٍ لاستظهاره. وتسهم خصائص أسلوب القرآن الكريم في جبر ذلك النقص

أيضًا، إذ هي من أكبر المعاون على استظهاره.

وهنا ينبغي أن نستحضر أن استظهار كل مسلم بعضًا من آيات القرآن هو أمر ضروري لصَلاته وبعض شئون حياته، وأن استظهار الأمة كل القرآن هو أمر حتمي لبقاء الإسلام نفسه، ومن هنا فإن رسول الله ﷺ الذي وصفه الله تعالى بأنه ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] قد استشعر ما يتطلبه استظهار القرآن هكذا من قدرات قد لا تتوفر دائمًا لكل مسلم، وبخاصة لتلك الشرائح التي ذكرها ﷺ: الشيخ العاسي، والعجوز، والخادم، والعبد، والغلام والجارية ...[1]. فلما انبسط الأمر أمام الإسلام بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ضرع النبي ﷺ إلى ربه أن ييسر على المسلمين في قراءة القرآن، فاستجاب الله تعالى بتيسير قراءة القرآن «على حرفين إلى سبعة أحرف» وهذا التيسير يشمل الاستظهار من باب أولى، لأنه مترتب على القراءة. فكان رسول الله ﷺ يتلو ما أنزل عليه – فور نزوله – على جمهور حاضري نزول القرآن أو من يتلقاه منه بعد ذلك، ويأمر فور نزوله كذلك بكتابته كما أنزل، ثم كان التيسير أنه ﷺ كان يقبل من أصحابه ﷺ أن يقرأ كل منهم حسَب ما تيسر له كقولك (هلم) و (تعال) وما لم يختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة. وبذا يتاح للمسلم أن يقرأ في الصلاة – مثلًا – غير متحرج من وقوع تغير في بعض الكلمات، وذلك بدلًا من

---

(١) تنظر رواية صحيحة من روايات حديث الأحرف السبعة في تفسير الطبري (تحـ شاكر) ١/ ٣٥ برقم ٢٩. والروايات التالية لها ٣٠ – ٣٢ فيها دعاء الرسول ربه بالتهوين والتخفيف على الأمة.

أن يحرم نفسه من القراءة، أو يهجرها تحرجًا من التحريف في النص المقدس. وقد تتضح صورة ذلك التيسير بالأمثلة التالية: أن يقرأ في ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ {وما يُخادعون ...} [البقرة: ٩]، أو يقرأ ﴿ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ {بما كانوا يُكَذِّبون} [البقرة: ١٠]، أو يقرأ ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨]، {ثم إليه تَرجِعون} ويقرأ ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ ﴾ {.. أَسْرَى تَفْدوهم} [البقرة: ٨٥]، ويقرأ ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ {قالوا اتخذ اللهُ وَلَدا}، [البقرة: ١١٦]، ويقرأ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾ ، {وأَوْصَى بها ...} [البقرة: ١٣٢].. وهكذا[1].

ثم عن الصحابة روى التابعون القراءتين، فوصلت رواية القرآن بذلك اللفظ بالصورة الأولى إلى إمام من أئمة القراءات العشرة، وبالصورة الأخرى إلى إمام آخر .. وهكذا. ولكن كتابة المصاحف العثمانية أتاحت بعض هذا دون بعض. فكان من الضوابط بعد ذلك أن ما لا يوجد في رسم المصاحف العثمانية ولو احتمالًا = لا يدخل في القراءات المعتمدة. فهذا هو شطر الاختلاف الذي جاء رحمة من الله تعالى استجابة لتضرع رسوله ﷺ شفقة على الأمة.

---

(١) هناك نوع آخر من هذا المستوى كان داخلاً في تيسير «الأحرف السبعة» وهو من نوع القراءة بالمرادف أي بكلمة مختلفة الهجاء لكن بنفس المعنى مثل قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾[البقرة: ٢٠] قرأها أُبَي «.. مَرّوا فيه» وقرأها ابن مسعود «..مَضَوا فيه» (البحر المحيط – العلمية ١/ ٢٢٨) ومستوى ثالث في ختام بعض الآيات «عليم حكيم/ غفور رحيم» (الطبري – شاكر) ١/ ٢٢ – ولم يدخل من هذين النوعين في المصحف العثماني شيء، ولذا أغفلناهما.

❑ ولا يخفى أن المعنى في كل من تلك الأزواج المتخالفة من الكلمات يكاد يكون هو هو – أي أن الفرق بين كل قراءة وأخرى محدود للغاية، فبالتأمل السريع في الأمثلة التي ذكرناها نجد أن «يُخَادعون» في الآية تئول إلى «يَخْدعون»، لأن المرء ونفسه ليسا طرفين تقع بينهما مفاعلة حقيقية، فالمفاعلة ليست على بابها، وإنما هي هنا من باب «عاقبت اللص»، وإذا التُمِست للقراءة بصيغة المفاعلة إضافة فهي تصوير أن تمويه المنافقين على غيرهم يرجع وبالُه عليهم فكأنهم يخدعون أنفسهم.

أما في ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ و «... يُكَذِّبُون» فالقراءتان صادِقتا المعنى على المنافقين فهم كاذبون في قولهم ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ لأنه ليس في قلوبهم – في الحقيقة – إيمان كما يزعمون بألسنتهم، وهم مُكَذِّبون بالله ورسوله وبما جاء به رسول الله ﷺ. كذلك فإنه لا فرق على الحقيقة في حصيلة المعنى بين قراءتي {ثم إليه تَرجعون} بالبناء للفاعل، وللمفعول. فالحصيلة من القراءتين هي الرجوع إلى الله. والتعبيران صادقان. المبني للفاعل يعبر عن الحصيلة، والمبني للمفعول يعبر عن أن ذلك الرجوع يقع بأمر الله ومشيئته. وفرصة الاختيار في أمر الرجوع لا وجود لها على القراءتين: بل الرجوع هو حكم الواقع في القراءة بالمبني للفاعل، وحكم النص – إذ لا مأخذ للاختيار منه – في القراءة بالمبني للمفعول. كذلك فإنه من الواضح تمامًا أنه لا فرق في المعنى بين قراءة {وإن يأتوكم أَسْرَى تَفْدُوهم} وقراءة ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ ﴾ [البقرة: ٨٥] فلفظا «أسرى» و «أسارى» تعبيران عن جمع أسير. وقراءة «تُفَادوهم» تعبر عن وقوع الفداء منهم مثل «تَفْدوهم»، وصيغة

المفاعلة إما أنها على غير بابها مثل عاقبت اللص، وإما أنه قصد بها الإشارة إلى ما في المفاداة من معنى المبادلة، أو إلى نوع من المبالغة فيها مبالغةً قد تكون حرصًا وقد تكون مساومة، ولكنها في آخر الأمر وقوع فداء. وقراءة تَفْدوهم تعبر عن وقوع الفداء أي حصيلة الموقف. فالمعنيان ملتقيان. وأما «وقالوا»، و «قالوا» فالأمر فيها سهل، لأن الواو لعطف الجمل أي للسرد والتوالي، والواقع من السرد يؤدي هذا المعنى. وكذلك «وصى» و «أوصى» الصيغتان للتعدية بلا فرق.

وبذا يتبين أن الفرق بين كل قراءة وأختها أو أخواتها لكلمةٍ ما = هو فرق بالغ المحدودية من حيث المعنى، فلا يؤثر في وحدة النص الكريم أي تأثير. ولكن الترخيص باختلاف القراءة هكذا في عصر نزول القرآن قدّم فسحة وتوسعة بالغة الأهمية لجمهور المسلمين الأولين، ليُقْبلوا على استظهار ما قدروا عليه من آيات القرآن أو سُوَره، دون استشعار الحرج والإثم العظيمين إن غاب عنهم لفظ فأَتَوْا بآخر بدلًا منه بمعناه - حسب ما مثلنا. هذا، وقد حفظت الكتابة الفورية والتلقي الأول **عين ما أنزل**، وسمح تعدد المصاحف العثمانية **ببعض ما صح سنده إلى رسول الله ﷺ مما رخص به** - حسب ما مثلنا أيضًا.

فهذا عن شطر الاختلاف الذي أجيز تيسيرًا من الله سبحانه استجابة لضراعة رسوله ﷺ. وهو اختلاف شُرع بحديث متواتر[١] وهو مِنّة ونعمة لتيسير قراءة القرآن واستظهاره. وكل من القراءتين كلام الله، رضيها رسول الله ﷺ وأسندها إلى الله عز وجل عندما تحاكم إليه المختلفون في مثل هذه الألفاظ

---

(١) ينظر «الإتقان» النوع ١٦ أول مسألة الأحرف السبعة (عالم الكتب ١/ ٤٥).

فقال: «هكذا أنزلت»[1].

ثم إن رخصة الأحرف السبعة هذه نسخت بإجماع الأمة على الحرف الذي كتب به زيد المصاحف العثمانية، فلا يجوز لأحد الآن أن يقرأ «أنزل» بدلًا من «نَزَّل» مثلًا في موضع لم يرد فيه ذلك عن القُرّاء العشرة. وما قرئ كذلك خطأً فإنه يلزم الرجوع فيه إلى الصواب.

*****

أما الشطر **الضروري** من الاختلاف في القراءات فهو النوع الأدائي كالذي ورد في القراءات المختلفة من تحقيق الهمزة وتسهيلها وحذفها، والفصل بين الهمزتين، وكالإمالة والنصب، ومد الحركات وقصرها وإشمامها، وروْمها، وكالفَكّ والإدغام بأنواعه، وكالإشمام والإبدال في الصوامت، وكإسكان حرف من بنية الكلمة بدلًا من تحريكه، وإحلال حركة محل أخرى. مثل ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا ﴾، «حَسَنا» [البقرة: ٨٣] وإثبات ياء الإضافة أو حذفها وتحريكها أو تسكينها .. فكل هذه **الاختلافات الأدائية** وما إليها **أصلها لهجات واردة عن العرب** دخل أكثرها إلى أسناد القراء عن طريق الصحابة أو التابعين، إذ إن قراءة كل عربي بلهجته التي نشأ عليها هي الأصل، ولم يرد بأي مستوى أن النبي ﷺ ألزم أحدًا بقراءة القرآن بلهجة قريش خاصة، أو منع أحدًا من القراءة بلهجته[2]. وهذا – أي

---

(١) ينظر تفسير الطبري (تحـ شاكر) ١/ ٢٥.

(٢) جاء في المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي (تحـ طيار آلتي) صـ ٩٦ أن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: نزل القرآن بلغة كل حيّ من أحياء العرب. وفي رواية عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقرىء الناس بلغة واحدة، فاشتد ذلك عليهم، =

قراءة كل إنسان بلهجته – أمر طبيعي جدًا أي **هو الأصل** كما قلنا، وهو ضروري بمعنى أنه لازم الوقوع لا فكاك منه، لارتباط كل إنسان بلهجته التي نشأ عليها.

ويلحق بهذه الاختلافات اللهجية ما هو سنة من سنن العرب أي عاداتها الراسخة في كلامها، وهي عادات مبنية على وجهات نظر في علاقات الكَلِم، وفي الفِكر الذي وراءها، قد تخالف الغالب السائد مخالفة يبدو أثرها في الإعراب أعني في الموقع الإعرابي الذي تقعه الكلمة، وما تُضْبَط به الكلمة بناء على وجهة النظر: وقد يبدو أثرها في تذكير مسمى كلمة أو تأنيثه، وفي نوع حرف المضارعة ياء أو تاء، وفي الأخذ بالالتفات ونحوه .. وكل هذا مذاهب عربية صحيحة في صياغة الكلام وأدائه، فهو ملحق بالأمور اللهجية الصريحة. ومن أمثلة ذلك ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ... ﴾ [البقرة: ٦٢] بنصب لفظ خوف (: بنائه على الفتح) أو برفعه[1]، ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ ﴾ «ليس البرُّ ... ولكنِ البرُّ ...» [البقرة: ١٧٧] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ {... لا يَعْبُدُون إلا الله} [البقرة: ٨٣][2]... إلى أنواع كثيرة من هذا القبيل الذي ألحقناه بالأداء اللهجي، لأنه قائم على نظر عربي إلى علاقات الكلم والفكر الذي وراءها في العبارات. والقرآن أنزل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ . فالأداء العربي هو من طبيعة المُنْزَل ليس خارجًا عنه.

= فنزل جبريل فقال: يا محمد، أقرئ كل قوم بلغتهم.

(١) ينظر: البحر (الكتب العلمية) ١/ ٣٢٢.

(٢) نفسه ١/ ٤٥٠.

ثم إنه كما أن رخصة الأحرف السبعة قد نُسِخت بإجماع الأمة على قراءات العشرة بما وافق المصاحف العثمانية، فإن قراءة القرآن في موضع ما بلهجة لم ترد عن أحد القراء العشرة لم **تعد جائزة**، ولا يُتَسامَح إزاءها إلا مع مَنْ يعجِز عن غير لهجته عجزًا مستيقَنًا بعد المحاولة الجادة[1].



(١) موضوع هذا الفصل عالجته أيضًا في كتابي (الردّ على المستشرق اليهودي جولدتسيهر) فانظره إن شئت.

الباب الثاني

وَثاقة نقل النص القرآن بالتدوين الخطي

ويشمل هذا الباب سبعة فصول:

الفصل الأول: تدوين النص القرآني الكريم في عهد النبي ﷺ.

الفصل الثاني: جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

الفصل الثالث: انتساخ النص القرآني في عهد عثمان رضي الله عنه.

الفصل الرابع: مسائل متعلقة بالمصاحف العثمانية:

(أ) معنى (حرف) في كتابة المصاحف العثمانية.

(ب) المصحف العثماني كتب على حرف واحد.

(جـ) الحرف الذي كتب عليه المصحف العثماني هو حرف زيد.

(د) ماذا يمثل الحرف الذي كتب به المصحف العثماني بالنسبة للنص القرآني.

(هـ) ترتيب السور في المصحف العثماني.

(و) الجهات التي وزعت عليها المصاحف العثمانية.

(ز) إرسال قراء مع المصاحف.

(ح) مقارّ المصاحف.

(ط) كيفية الانتفاع بتلك المصاحف في مقارها.

(ي) مصير المصاحف الخاصة السابقة على المصاحب العثمانية.

الفصل الخامس: مسيرة كتابة المصحف.

الفصل السادس: الرسم العثماني.

الفصل السابع: مصير المصاحف العثمانية التي وزعت على الأمصار.

تمهيد:

في معرفة العرب الكتابة قبيل نزول القرآن

قبل الحديث عن تدوين القرآن الكريم كتابة ينبغي أن نحيط بظروف معرفة العرب - وبخاصة أهل مكة وأهل المدينة – الكتابةَ وقراءةَ المكتوب في الحقبة السابقة لنزول القرآن الكريم والحقبة الأولى من عهد نزوله. وأقتبس هنا ما جاء في كتاب رسم المصحف (د. غانم قدوري الحمد بالمراجع التي ذكرها – رعاية لحق القارئ).

١- «لم تعد معرفة عرب الجاهلية للكتابة موطن شك، فإن كثرة منهم في الحواضر وقلة في البادية كانت تقرأ وتكتب»[١].

٢- «جاء في القرآن الكريم ما يفيد معرفة عرب الجاهلية القريبة من الإسلام القراءة والكتابة. فقد تكررت في القرآن الكريم مادة (كتب) وما في معناها، واسم آلات الكتابة[٢] ولا تعقل مخاطبة القرآن الكريم قومًا بهذه الآيات لو لم يكونوا على علم وبصيرة بالقراءة والكتابة[٣] والقرآن أصدق وثيقة تحدثنا عن حياة العرب في ذلك العهد».

٣- «الروايات العربية تشير إلى ممارسات كتابية متعددة، سواء في مدن الحجاز أو في الحواضر العربية في أطراف الجزيرة الشمالية، ففي مكة رغم أن الحياة لم تكن بالغة التحضر بالنسبة لذلك العهد، وأن دواعي الكتابة كانت محدودة – إلا أنه لا ينكر أنهم

---

(١) د. الطاهر أحمد مكي ص٢٠ وانظر د. ناصر الدين الأسد. مصادر الشعر الجاهلي – ط٣. دار المعارف بمصر ١٩٦٦ ص١٠ و٣٣.

(٢) وردت مادة (كتب) وما اشتق منها في القرآن أكثر من ثلاثمائة مرة. ومادة (قرأ) وما اشتق منها نحوًا من ثمانين مرة. ووردت كذلك مادة (خط) وأسماء أدوات الكتابة: القلم والصحف والقرطاس والرق. انظر د. عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص٦٦.

(٣) د. جواد علي جـ١ ص١٤ وانظر: تاريخ العرب في الإسلام: السيرة النبوية، له بغداد ١٩٦١ ص٧٠.

حرروا أحيانًا بعض العهود والمحالفات بينهم وبين القبائل المجاورة، رغم أن ذلك كان في نطاق ضيق[1]. وبلدة مثل مكة مقدسة ومتاجرة وعاصمة للثقافة وللحياة الدينية لا بد أن يكون بين سكانها جماعة من المثقفين ومن الباحثين في أمور الدين ومن القراء الكاتبين[2]. وتشير الروايات إلى أن ورقة بن نوفل كان يكتب الكتاب العربي والكتاب العبراني[3]. وحين قاطعت قريش النبي -ﷺ- والمسلمين في بداية الدعوة بمكة كتبوا كتابًا بذلك، وعلقوه في جوف الكعبة[4]. ويحدثنا ابن النديم عن كتاب رآه في خزانة المأمون بخط عبد المطلب بن هاشم، فيه ذكر حقه على فلان بن فلان الحميري [5] وتشير كتب التاريخ إلى استخدام الكتابة في مكة في وقت مبكر، فهذا قصي بن كلاب يكتب من مكة إلى أخيه ابن أمه رزاح بن ربيعة بن حرام العذري، في مشارف الشام، يدعوه إلى نصرته والقيام معه في منازعة خزاعة وبني بكر أمر مكة»[6].

---

(١) د. محمد حميد الله: **مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي**. القاهرة. لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤١ ص ط.

(٢) د. جواد علي: السيرة النبوية ص٦٩.

(٣) نفس المراجع ص١٤٧.

(٤) ابن سعد (محمد): **الطبقات الكبرى**. بيروت – دار صادر – دار بيروت ١٩٥٧ ج١ ص٢٠٨، وليست هذه هي المرة الأولى التي تكتب فيها قريش وتعلق الكتاب في الكعبة، فيذكر ابن حبيب (محمد): في كتاب (المنمق في أخبار قريش ط١ حيدر آباد. دائرة المعارف العثمانية ١٩٦٤ –ص٨٩ –أن قريشًا كتبوا قبل الإسلام كتابًا وعلقوه في جوف الكعبة توثيقًا لأمر كان بينهم).

(٥) ابن النديم (محمد بن إسحاق): الفهرست. ليبسك – ١٨٧١م ص٥.

(٦) ابن هشام (أبو محمد عبد الملك): **السيرة النبوية** ط٢ القاهرة – مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٥ ق١ ص١١٨.

وابن سعد: جـ١ ص٦٧ والطبري (محمد بن جرير): **تاريخ الرسل والملوك القاهرة** دار المعارف جـ ٢ ص٢٥٦ لكن ابن حبيب (ص١٧ و٨٢ و٨٤) يشير إلى الحادثة بلفظ (بعث) وهي تحتمل الكتابة أيضًا.

ولعل فيما يرويه البلاذري عن عدد الكاتبين في مكة والمدينة حين ظهر الإسلام، رغم أن هذه الرواية – ربما – لا تمثل الواقع تمامًا، ما يضع الحقيقة التاريخية موضعها الصحيح، حين يقول: «دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلًا كلهم يكتب»، ويقول عن الكتابة في المدينة: إن الإسلام جاء وفيهم عدة يكتبون وعدّد منهم أحد عشر كاتبًا[1]. فالكتابة في المدينة لا تختلف حالتها عنها في مكة، كما يتضح من قول البلاذري. بل إن الواقدي (ت٢٠٧) يشير إلى أن «بعض اليهود قد عَلِم كتاب العربية، وكان يعلّمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول»[2] ويبدو أن وجود أهل الكتاب في المدينة كان له أثر في انتشار الكتابة هناك[3]. ولعل في الذي قام به الصحابة في خدمة حاجة الدولة الإسلامية الجديدة، سواء في كتابة الوحي أو كتب النبي ﷺ وما يجري بين الناس من معاملات ما يؤكد الحالة التي كانت عليها الكتابة العربية في الحجاز قبل الإسلام، لأن معظم الصحابة إنما نشأوا واكتسبوا خبراتهم الحياتية في الجاهلية»[4].

---

(١) البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي): فتوح البلدان ط١ القاهرة شركة بيع الكتب العربية ١٩٠١م ص٤٧٧ و٤٧٩.

وانظر: ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي): العقد الفريد. القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر جـ٤ ص١٥٧.

والقلقشندي (أبو العباس أحمد): صبح الأعشى في كتابة الإنشا. القاهرة – دار الكتب العربية – ١٩١٣ جـ٣ ص١٥.

وطاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى) مفتاح السعادة ومصباح السيادة ط١ – حيدر آباد – دائرة المعارف جـ١ ص٧٤.

(٢) البلاذري ص٤٧٩.

(٣) انظر د. جواد علي جـ٧ ص٦٥ ود. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص١٨٦.

(٤) من رسم المصحف د. غانم قدوري الحمد ٢٣ – ٢٥. وفي الصفحات التالية لهذه في كتاب د. الحمد صفحات جيدة عن انتشار معرفة الكتابة خارج مكة والمدينة أي في سائر أنحاء الجزيرة العربية.

الفصل الأول

تدوين النص القرآني الكريم في عهد النبي ﷺ

تدوين القرآن الكريم عند نزوله على النبي ﷺ أولًا بأول هو من توفيق الله سبحانه وتعالى عبادَه المسلمين وهدايتِهم إلى وسيلة تحقيق وعده المؤكد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ١٠] ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧] وقد جاءت تلك الهداية برغم الظروف الصارفة عنها: أمية النبي ﷺ، وفشو الأمية في العرب.

أولاً: في العهد المكي:

من الظروف التي يمكن أن تكون وَجَّهت إلى كتابة الوحي منذ العهد المكي: استمرارُ نزول الوحي زمنًا طويلًا (نحو ثلاث عشرة سنة في مكة)، ونزول معظم السور الطويلة والمتوسطة في العهد المكي أيضًا، إذ إن السور الخمس والأربعين الطوال والمتوسطة (من سورة «البقرة» إلى آخر «الأحقاف») - نزلت منها خمس وثلاثون سورة بمكة، ونزلت العشر الباقية (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، ثم الأنفال والتوبة، ثم الرعد، والحج، والنور، والأحزاب)[1]، نزلت بالمدينة، وذلك القَدْر الذي نزل بمكة قدر كبير يلفت إلى ضرورة الكتابة من أجل حفظه من أن تضيع بعض آيات منه.

---

(١) هذا الإحصاء إجمالي أخذته مما كتب مع أسماء السور في المصحف دون نظر إلى الآيات المستثناة. ولتحرير المسألة ينظر الإتقان النوع الأول.

تنويه بأمور تتعلق بتدوين القرآن في العهد المكي:

١ – أورد السيوطي في النوع الأول من كتابة الاتقان خبرًا من كتاب فضائل القرآن لابن الضريس (محمد بن أيوب – ٢٩٤هـ بسند إلى ابن عباس رضي الله عنهما يقول فيه ابن عباس «كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة – كتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما شاء».

٢ – ولما هجم المارقون على سيدنا عثمان – في داره أهوى إليه أحدهم بالسيف فاتقاه بيده فقطعها السيف فقال سيدنا عثمان «أما والله إنها لأول كف خطت المفصل»[1] والمفصل من أول سورة ق خمس وستون سورة نزل منها بمكة إحدى وخمسون سورة.

٣- وسيأتي خبر نزول سورة الأنعام جملة بمكة ليلًا وأن رسول الله ﷺ «جمع الكتاب فكتبوها من ليلتهم»[2].

٤- في قصة إسلام عمر: ذكرت أقوى الروايات أنه علم بإسلام أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو، فذهب إلى بيتهما ليؤذيهما، فوجد معهما خَبّاب بنَ الأرتّ ومعه صحيفة كتبت فيها سورة «طه» وحدها أو مع سورة «التكوير» يقرئهما إياها [3] وليس هناك ما يقنع بأن هذه الصحيفة هي الوحيدة التي كتب فيها قرآن في ذلك العهد المكي، بل إن وجود هذه الصحيفة – مع

---

(١) خرجه أبو حاتم. ينظر الرياض النضرة (دار المنار) ٣/ ٢٢.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) ينظر السيرة النبوية لابن هشام (تحـ مصطفى السقا وزميليه) جـ١/ ٣٤٤ – ٣٤٥. المتن والتعليق.

وجود دواعي الكتابة التي أسلفناها، وكَوْن بعض أوائل الذين أسلموا في ذلك العهد المكي كانوا من الذين يستطيعون الكتابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وسعيد بن زيد وزوجه وخَبّاب.. كل هذا يجعلنا نقطع بأنه كانت في ذلك العهد المكي المبكر – صحف كثيرة كتب فيها سور من القرآن الكريم.

٥ – روى عن أبي هريرة، وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكتبوا عني (شيئًا) إلا القرآن، فمن كتب عني غيرَ القرآن فليمحه»[١] ويبدو من صياغة الحديث أنه موجه إلى جماعة – يكتبون أو يريدون أن يكتبوا عن رسول الله ﷺ كل ما ينطق به، وأن الرسول ﷺ ينهاهم عن كتابة غير القرآن. أي أنه ﷺ يطلب ممن يكتب منهم أن يقصر الكتابة عنه على القرآن، ويطلب ممن كتب عنه غير القرآن أن يمحو ما كتب. وسياق الحديث يقضي بأن التوجيه الذي في هذا الحديث الشريف صادر في أول عهدهم بالكتابة عنه ﷺ، وهذا لا يكون إلا في العهد المكي بدليل ما ذُكر أو أشير إليه في رقم ٤، وما يأتي أيضًا مما يُستيقَن معه بوجود الكتابة عنه ﷺ في العهد المكي.

٦ – من أهم ما نلفت إليه مما ذكر في رقم ٥ ذلك الاحتياط للنص القرآني الكريم من حيث الإذن بكتابته (وهذا الإذن صورة من صور الطلب كقوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ ﴾[٢]، ثم من حيث تخصيصه بمنع كتابة غيره، فيتميز تميزًا (ماديًا)، ولا تكون هناك أية فرصة (مادية) لالتباس

---

(١) الجامع الكبير للسيوطي (مخطوط) ١/ ٩٠٤ ورموز رواية أبي هريرة ش = ابن أبي شيبة: أما رواية أبي سعيد فرموزها حم (أحمد) م (مسلم)، وابن أبي يعلى وغيرهم.

(٢) سورة الحج ٣٩.

النص الكريم بغيره. وهذه إضافة إلى التميز النوعي لأسلوب القرآن الكريم.

إملاءُ النص الكريم وكُتّابُه في العهد المكي:

أما الإملاء فقد كان من رسول الله ﷺ مباشرة فور نزول الوحي عليه. وسيأتي في نصوص الروايات ما يصرح بهذا، وإنما عرضنا للإملاء هنا – مع أنه بَدَهي أو كالبدهي – لاستيفاء شكل المسألة أعني جزئياتها.

أما عن الكُتَّاب: فإن تعيين هؤلاء الكُتّاب أخذًا مما في كتب السيرة وكُتُب تأريخ القرآن فيه شيء من الصعوبة – حيث كان التصريح بأن فلانًا كتب الوحي للنبي ﷺ في مكة نادرًا كما سنرى، ولكن استقراء بعض السير يمكن أن يفيد في هذا التعيين إذا ذكر اسم الصحابي بين كتاب النبي ﷺ دون تخصيص وصفه هذا بالكتابة بغير القرآن، وكان في مكة، وقديم الإسلام. وسبب القيد المذكور في الشرط الأول، أن كتب السيرة تَعنِي بكتّاب النبي ﷺ كل من كتب بإملاء النبي ﷺ شيئًا: سواء كان المكتوب قرآنًا، أو رسالة، أو عهدًا، أو وثيقة تمليك لبئر أو قطعة أرض في المنطقة التي يعيش فيها المكتوب له[1]. فالذي نعدُّه نحن هنا هو مَنْ نُصَّ على أنه كتب الوحي، أو ذُكر أنه مِنْ كُتّاب النبي دون تفسير ذلك بأنه كتب له ﷺ وثيقة كذا – مثلًا، مع وجود ما يرجح أن المقصود كتابة الوحي كما سيتبين.

---

(١) انظر مثلًا سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للشامي (تحـ عبد المعز الجزار) ١٢/ ٣٨٢ – ٤١٢ وما استشهد به لكل منهم أنه كان من كتاب النبي ﷺ. وينظر كذلك تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٣٢٤ وما بعدها.

وأول من نلتقط اسمه هنا هو الصحابي الجليل **شرحبيل بن حسنة** (وحسنة أمه. وأبوه عبد الله بن المطاع السَّهْمي وقيل الكِنْدي) – أسلم قديمًا هو وأخواه لأمه جُنادة وجابر، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة. واستعمله أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما على جيوش الشام وفتوحه إلى أن توفى في طاعون عمواس (١٨هـ) وله سبع وستون سنة.

قال عنه في السيرة الشامية إنه «**أول من كتب لرسول الله ﷺ**»[1] ولا يمكن أن يكون المقصود بالأولية المطلقة هنا إلا ما قبل هجرة هذا الصحابي إلى الحبشة، كما لا يمكن أن يكون المقصود بالكتابة هنا إلا النص القرآني الكريم، لأن حقبة ما قبل الهجرة إلى الحبشة لم تكن حقبة كتابة رسائل أو مواثيق .... إلخ.

وثاني من يذكر هنا هو سيدنا **عثمان بن عفان** ﷺ حيث جاء في خبر استشهاده ﷺ أن رجلًا من المارقين أهوى إليه بالسيف فاتقى عثمان السيف بيده فقطعها السيف فقال عثمان: «أما والله إنها لأول كف خَطّت المفصل» خرجه أبو حاتم[2]. والمفصل أوله سورة (ق) ٦٥ سورة، منها ٥١ سورة مكية.

وثالث من نذكره هنا: **خالد بن سعيد بن العاص بن أمية**. ذكره الشامي ضمن كتاب النبي ﷺ وقال عنه «أسلم قديمًا، وقيل إنه أول من كتب «بسم الله الرحمن الرحيم» وقيل إنه أسلم بعد أبي بكر، فكان ثلث الإسلام». ثم ذكر أنه **كان يلزم رسول الله ﷺ**، وأنه الذي أهدى لرسول الله ﷺ الخاتم الذي نقش

---

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد ١٢/ ٣٩٨.

(٢) ينظر الرياض النضرة (دار المنار) ٣/ ٢٢.

عليه «محمد رسول الله» ﷺ، وأنه هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية»[1].

ورابع من نذكره هنا: كاتب الصحيفة التي كان يقرئ فيها خَبَّابُ بن الأرت فاطمة أخت عمر بن الخطاب - كما جاء في قصة إسلام عمر[2]. أما الكاتب أهو خباب أم غيره فلم أجد من صرح. فكاتب هذه الصحيفة، يعدُّ هنا إلى أن يُعيَّن.

وخامس من نذكره هنا حنظلة بن الربيع بن صيفي بن الحارث الأسيدي التميمي ابن أخي أكثم بن صيفي – وشهرته: حنظلة الكاتب. قال ابن حجر «لأنه كتب للنبي ﷺ الوحي». واعتمدنا في تحقق شرط قدم إسلامه في مكة على أنه ليس أنصاريًّا، وأن الرسول ﷺ أرسله إلى أهل الطائف أي بعد غزوة حنين «أتريدون الصلح أم لا»[3]، ولا يكون إرسال حنظلة بهذه الرسالة إلا للثقة فيه وذكره هنا ترجيح مبني على قدم إسلامه.

□ ثم نذكر مجموعة ذكرهم الشامي وغيره ضمن كتاب الرسول ﷺ - دون تخصيص بكتابة عقود أو نحوها. انتقينا منهم من تحقق فيه شرط قدم **إسلامه في مكة فرجّحنا ترجيحًا يقرب من اليقين – بالنسبة لبعضهم على الأقل – اشتراك كل منهم في كتابة الوحي لرسول الله ﷺ في مكة**: وهم سادتنا أبو بكر، وعمر، وعلي، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام. ثم الأرقم بن أبي الأرقم، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود، وعامر بن فهيرة، وأبو

---

(١) سبل الهدى والرشاد ١٢/ ٣٩٣.

(٢) ينظر الرياض النضرة ص١٩٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ١٢/ ٣٨٩ (المتن والتعليق) و «تهذيب التهذيب» ٣٧/ ٦٠، و «أسد الغابة» (الشعب) ٢/ ٦٥.

سلمة بن عبد الأسد، ومعيقيب الدوسي[1].

وأخيرًا نذكر – من الذين صُرِّح بأنهم كتبوا الوحي للنبي ﷺ في مكة – عبد الله بن سعد بن أبي سرح. وأمر كتابته الوحي للنبي ﷺ مشهور، لاقترانه بقصة.

وقد صرح بكتابته الوحي للنبي ﷺ في مكة الإمام ابن حجر وكفى به. فقد قال إنه أول من كتب له ﷺ بمكة من قريش[2] ثم إن ابن أبي سرح هذا أصابته فتنة، فارتد[3]، ثم عاد فأسلم، وحسن إسلامه، وجاهد وفُتِح على يديه شمال

---

(١) نفسه ١٢/ ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٨، ٤٠٣، ٤٠٤، وينظر «تاريخ دمشق» ٤/ ٣٢٤ وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٩.

(٢) ينظر فتح الباري (الحلبي) ١٠/ ٣٩٧.

(٣) أ – قيل في سبب فتنته إنه لما أملى النبي ﷺ عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤] عجب عبد الله من ترتيب الأطوار هذا فقال: «تبارك الله أحسن الخالقين» فقال له الرسول ﷺ هكذا أنزلت عليّ «فتبارك الله أحسن الخالقين» قال القرطبي «فشك عبد الله حينئذ وقال: لئن كان محمد صادقًا لقد أُوحِيَ إليّ كما أُوحِيَ إليه، ولئن كان كاذبًا لقد قلت كما قال. «فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩٣] فلما دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحًا أمر بقتله فشفع فيه عثمان ﷺ، لأنه كان أخاه لأمه. ثم أسلم عبد الله وحسن إسلامه، وجاهد واعتزل الفتن حتى توفى ٣٦/ ٣٧هـ. ثم أورد القرطبي رواية أن ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ نزلت في النضر بن الحارث. كان يعارض القرآن بمثل والطاحنات طحنًا =

أفريقية وبعض بلاد السودان، ثم توفى ﷺ سنة ٣٦/ ٣٧هـ[1].

= إلخ (تفسير القرطبي – الهيئة العامة للكتاب ٧/ ٤٠ – ٤١) وقوام القصة في تاريخ الطبري (المعارف) ٣/ ٥٨ – ٥٩، وفتح الباري (الحلبي) ١٠/ ٣٩٧، والروض الأنف (توزيع دار الباز) ٤/ ٩٢. والقصة هكذا ليس فيه ما يلبس رغم تعبير الروض الأنف بقوله «فارتد مشركًا راجعًا إلى قريش»، وهذا قد يفهم منه أنه كان قد هاجر – وهذا موضوع النقطة التالية.

ب- جاء في طبقات ابن سعد (تحـ محمد عبد القاد عطا) ٧/ ٣٤٤ «ثم افتتن وخرج من المدينة إلى مكة مرتدًّا» وعبارة الإمام النووي «وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم ارتد، وسار إلى مكة، وقال لقريش: كان يملي عليّ «عزيز حكيم» فأقول: «أو عليم حكيم» فيقول: «كلٌّ صواب» (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٦٩) وعبارة الشامي «أسلم وكتب الوحي، ثم ارتد عن الإسلام، ولحق بالمشركين بمكة» (سبل الهدى والرشاد ١٢/ ٤٠٢) وهذه العبارات تعني أنه كان قد هاجر، وفي النفس شيء من هذا لأني لم أجد له ذكرًا في المهاجرين، ولا في الذين آخى الرسول ﷺ بينهم وبين الأنصار. وهذه النقطة تحتاج تحريرًا».

جـ- افتتانه بما وقع في آيات سورة «المؤمنون» حسب تلك الرواية. وقع نظيره من الموافقات كثيرًا لعمر بن الخطاب ﷺ (انظر مثلًا تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٨) ولكن رسوخ إيمانه وما ذخره الله له من رفيع الدرجات عَصَمه. أما على رواية «عزيز حكيم» أو «عليم حكيم» فعبارة «كل صواب» تعني كل حق. فالله تعالى «عليم حكيم» كما هو سبحانه «عزيز حكيم»، ولا يعني هذا أن يكتب ما يشاء، ولكن الشيطان اتخذ هذا مدخلًا إليه. وقد جاءت الرخصة بختم الآيات بأي أسماء الله الحسنى، مالم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب» في روايات حديث الأحرف السبعة. وكان هذا رخصة للأميين ثم نسخت. ينظر تفسير الطبري (تحـ شاكر) جـ١ أحاديث ٤٠، ٤٧، ٤٥، ١٦.

(١) ينظر عن عبد الله بن سعد بن أبي سرح: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٤٤ – ٣٤٥، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٦٩ – ٢٧٠، وسبل الهدى والرشاد ١٢/ ٤٠٢.

ثانيًا: في العهد المدني:

(كُتّاب النص الكريم في العهد المدني):

نقدم هنا أيضًا من نصت المصادر تعيينًا على أنهم كتبوا الوحي للرسول ﷺ في العهد المدني.

- فأول هؤلاء هو **أُبي بن كعب** الأنصاري الخزرجي سيد القراء. وقد نص أكثر من مصدر على أنه أول من كتب الوحي لرسول الله ﷺ في المدينة[1] وقد مر ذكر كثير من مناقبة القرآنية. توفى في أواخر خلافة عثمان (رضي الله عنهما).

- **وثانيهم هو زيد بن ثابت** الأنصاري النجاري. قدم رسول الله ﷺ المدينة وزيدٌ عمره إحدى عشرة سنة، وكان قد حفظ ست عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي ﷺ، وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ وهو أشهر من قام بذلك. قال زيد «كنت جاره ﷺ، فكان إذا نزل عليه الوحي أرسل إليّ فكتبت الوحي»[2]، وكذلك كان يكتب رسائله ﷺ. وأعطاه النبي ﷺ يوم تبوك راية بني النجار وقال «القرآن مقدم». وقد مر أنه من الذين حفظوا القرآن كله في عهد النبي ﷺ، وأنه كان رأسًا لعدة أسناد في قراءة القرآن. وسيأتي أنه الذي أُسنِد إليه جمعُ القرآن في صحف في عهد أبي بكر، ونسخُه في مصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه جميعًا. توفى بالمدينة سنة (٤٠/ ٤٥/ ٥٥هـ)[3].

---

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد ١٢/ ٣٨٤ حيث نقل ذلك عن ابن أبي شيبة، وابن أبي خيثمة.

(٢) ينظر الجامع الكبير للسيوطي (مخطوط مصور) ٢/ ٣٩٦.

(٣) ينظر عن زيد تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٠٠ – ٢٠١، وسبل الهدى والرشاد ١٢/ ٣٩٥ –٣٩٦ ...

- وثالث من نذكرهم من الذين صرحت المصادر بكتابتهم الوحي للرسول ﷺ في المدينة هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (ت٣٥هـ)وستأتي شواهد هذا في موضوع فورية تدوين القرآن الكريم.

- وبعد هؤلاء الذين صُرِّحَ بأنهم كتبوا الوحي للنبي ﷺ في المدينة – نذكر مجموعة الصحابة الذين رجّحنا أنهم اشتركوا في كتابة الوحي لرسول الله ﷺ بالمدينة، ونضيف إليهم من وصف بالكتابة للنبي ﷺ - دون تقييدها بعهود أو رسائل، ولم يكونوا قديمي الإسلام بمكة: وهم أَبان بن سعيد بن العاص (ت١٣هـ)، وبُريدة بن الحصيب الأسلمي (ت ٦٢هـ)، وثابت بن قيس (ت ١١هـ) الذي نفذت وصيته التي أوصى بها بعد موته في رؤيا، وحُويطب بن عبد العزى القرشي (٥٤هـ)، وحُذيفة بن اليمان (٣٦هـ)، وخالد بن الوليد (ت ٢١هـ)، وعبد الله بن الأرقم (الزُّهري ت في خلافة عثمان)، وعبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول (ت ١٢هـ)، وعبد الله بن رواحة (ت ٨ هـ)، ومعاوية ابن أبي سفيان ﵄ (ت ٦٠هـ) جميعًا[1].

ولا يخفى أن الثلاثة الذين عينت أسماؤهم ونص على كتابتهم الوحي في الحقبة المدنية هم الركيزة العلمية الوثيقة.

(١) ينظر بشأن هؤلاء جميعًا سبل الهدى والرشاد ١٢/ ٣٨٣ – ٤٤١.

فورية تدوين القرآن الكريم كتابة

الفورية في أمر ما معناها وقوعه في أول مقتضيه قبل السكون، وبلا فترة، أي بلا فاصل زمني بين مقتضيه وبين وقوعه.

والمقصود بفورية تدوين القرآن الكريم أن سيدنا رسول الله ﷺ كان يأمر بعض كتاب الوحي بكتابة ما أوحى الله إليه فورَ انقضاء حالة نزول الوحي عليه ﷺ، فكان ﷺ يطلب كاتبه أو كُتّابه (إذا كان المطلوب كتابته أكثر من طاقة فرد عادة) ويملي عليه ما أنزل من الوحي، فيكتبه الكاتب. وإثبات هذه الفورية له ثمرات سنذكرها بعد.

آلية فورية التدوين:

وقد كانت آلية فورية تدوين القرآن الكريم متوفرة متاحة بفضل الله تعالى. فأما في مكة، فقد أسلفنا أسماء كثير من الصحابة الذين كانوا يكتبون الوحي له ﷺ في العهد المكي، فهذا أحد عناصر الآلية. والقرب المكاني يمكن افتراض توفره، لمحدودية اتساع مكة المكرمة في تلك الحقبة. وذلك بالإضافة إلى الظروف التي كانت تجعل أولئك المسلمين الأوائل بعضهم ألصق ببعض من سائر الناس، وهي غربة دينهم في بيئتهم، وحدَّة حماسهم لِجدّة الدعوة، وما يلقون من اضطهاد. فتيسر بذلك كله كتابة الوحي كلما نزل وحي. وأما في المدينة فيقول زيد بن ثابت (أكبر كتاب الوحي لرسول الله ﷺ) «كنت جاره ﷺ (أي في المسكن)، فكان إذا نزل عليه الوحي أرسل إلي فكتبت الوحي»[1] فمجاورة

---

(١) الحديث في فتح الباري (الحلبي ٩/ ٣٢٨ - ٣٢٩).

كبير كتاب الوحي في المسكن هكذا لرسول الله ﷺ تمثل آلية متاحة لفورية التسجيل، إذ لا يستغرق استدعاء النبي ﷺ كاتبه، وكذا حضور الكاتب – زمنًا يذكر، فكان يُسْتَدعي عند نزول الوحي فيحضر، ويكتب ما يملي عليه الرسول ﷺ، وهذا هو معنى كون آلية الفورية متاحة.

شواهد فورية التدوين:

لدينا – بفضل الله تعالى عدة شواهد لفورية التسجيل موثقة توثيقًا قويًا.

الشاهد الأول: جاء في كتاب «الرياض النضرة»:

«عن فاطمة بنت عبد الرحمن، عن أمها، أنها سألت عائشة – وأرسلَها عمُّها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام، ويسألك عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد شتموه. فقالت: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعدًا عند نبي الله -ﷺ، وإن رسول الله ﷺ لمسند ظهره إليّ، وإن جبريل ليوحي إليه القرآن وإنه ليقول له: اكتب يا عُثَيْم. فما كان الله ليُنْزِل تلك المنزلةَ عبدًا من نبيه إلا كان كريمًا على الله ورسوله. خرجه أحمد. وخرجه الحاكمي، وقال: قالت لعن الله من لعنه – لا أحسَبُها قالت إلا ثلاثَ مرات – لقد رأيت رسول الله ﷺ – وهو مسند فخذه إلى عثمان، وإني لأمسح العرق عن جبين رسول الله -ﷺ، وإن الوحي لينزل عليه، وإنه ليقول: اكتب يا عُثَيم، فوالله ما كان الله ليُنْزِل عبدًا من نبيه تلك المنزلةَ إلا كان عليه كريمًا»[1] فأنت ترى أن فورية تدوين الوحي مجسمة هنا حتى ليكاد

---

(١) ينظر الرياض النضرة في مناقب العشرة لأبي أحمد جعفر الشهير بالمحب الطبري ت٦٩٤هـ (تحـ د. حمزة النشرتي وآخرين. المكتبة القيمة القاهرة) صـ٤٩٢ – ٤٩٣.

الرسول ﷺ يملي على عثمان ﷺ في أثناء نزول الوحي عليه ﷺ.

«ولا يخفى على فطنة القارئ أن سيدنا عثمان ﷺ كان حاضرًا في أثناء هذه المرة من نزول الوحي عليه ﷺ، وكان عثمان صهر رسول الله ﷺ، وكان من كتاب الوحي، فأمره النبي بكتابة ما أنزل عليه ﷺ، ولم يتطلب الأمر استدعاء زيد بن ثابت ﷺ.

الشاهد الثاني:

جاء في صحيح البخاري «لما نزلت ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٩٥] قال ﷺ: «ادعو فلانا (أي زيد بن ثابت – كما في رواية أخرى في البخاري أيضًا) فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف فقال ﷺ: اكتب ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وخلفَ النبي ﷺ ابنُ أم مكتوم، فقال يا رسول الله: أنا ضرير. (يعني أنه لا يستطيع أن يجاهد لأنه ضرير، فلا يستحق أن يُؤخَّر) فنزلت مكانها ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وفي رواية أخرى قال ابن أم مكتوم «والله لو استطيع الجهاد لجاهدت». قال زيد: فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي. ثم سُرِّيَ عنه. فأنزل الله ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾[1].

---

(١) أ– صحيح البخاري / التفسير / ب ١٨ / ٤١٥٩٢ – ٤٥٩٥.

ب – هنا مبحث لم يعرض له أحد من قبل هو الفورية في نزول الاستثناء، وهو غير فورية تدوين الوحي التي نعالجها بهذا المبحث. ونقول في فورية هذا الاستثناء إنه من قَدَر الله=

فأنت ترى الفورية مجسمة في استدعاء النبي ﷺ زيدًا بعد نزول الآية - مع أنها آية واحدة - أي دون انتظار لنزول آيات أُخر، وأمره بكتابتها. ونزول الاستثناء، وفورية كتابته أيضًا .

ومع حديث البخاري هذا الذي ذكرناه - جاء في (لباب النقول في أسباب النزول) للسيوطي (ص١٧٥ - ١٧٦) «أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت ﷺ قال: «كنت أكتب لرسول الله ﷺ، فكنت أكتب براءة، فإني لواضع القلم على أذني، إذ أُمرنا بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ، ينظر ما ينزل عليه، إذ جاء أعمى فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١] وأقول إنه ليس هناك ما يمنع أن تكون هذه واقعة أخرى غير واقعة آية سورة

= تعالى، ليتجلى للمؤمن عاجلُ رحمة الله وإسعافُها إياه عند الإحساس بالشدة مع عمق الإيمان بالله وأنه هو الملجأ، كما في حالة التي ظاهر منها زوجها. فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]، ولدحض ما يتوهم أهل الجهل بالله عز وجل من إغفاله تعالى الجزئيات الدقيقة. والقرآن الكريم في اللوح المحفوظ فيه هذا الاستثناء من الأزل لكن بكيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه. والقاعدة العامة هي ﴿... وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وأخيرًا فإنه ينبغي أن نستحضر أن نزول هذا الاستثناء الفوري هو أمر جار على السنَّة في نزول القرآن الكريم منجّمًا حسب الوقائع والأحداث كما في الإتقان النوع ١٦ من قول ابن عباس «ونزله جبريل على محمد ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم».

النساء، ولكني أرجح أنها نفس واقعة سورة النساء ووقع بعض رواه سند ابن أبي حاتم في الوهم في اسم السورة وآية الاستثناء.

الشاهد الثالث:

جاء في مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٥٤٤ –٦٠٦هـ) في أول تفسير سورة الأنعام «قال ابن عباس رضي الله عنهما إنها مكية نزلت جملة واحدة، فامتلأ منها الوادي، وشيّعها سبعون ألف ملك، ونزلت الملائكة فملئوا ما بين الأخشبين (الجبلين اللذين يحيطان بمكة) فدعا الرسول ﷺ **الكُتّاب وكتبوها** من ليلتهم – إلا ست آيات فإنها مدنيات ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [الأنعام ١٥١] إلى آخر الآيات الثلاث. وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ الآية (٩١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ (الآية ٢١)»[١].

ولحصر الانتباه في موضوع الفورية نحيل إلى تفسير القرطبي بشأن الآيات المدنيات فالمذكور هنا خمس لا ست، وكذا بشأن الاختلاف في عدد من شيع السورة من الملائكة – ولكني لفتتني رواية مجملة في مفاتيح الغيب فيها تذييل مُنير: عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله: «ما نزل عليّ من القرآن **جملة** غير سورة الأنعام ... وقد بُعث بها إليّ مع جبريل مع خمسين ملكًا أو خمسين ألف ملك يزفونها ويحفُّونها حتى أقرّوها في صدري كما أُقِرَّ الماء في الحوض، ولقد أعزَّني الله وإياكم بها عزًّا لا يُذِلُّنا بعده أبدًا، فيها دَحْضُ حجج المشركين، ووعد من الله لا يخلفه»[٢].

---

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي (الغد العربي مجلد ٦/ ٢٠٧).

(٢) ينظر مفاتيح الغيب (الغد العربي) ٦/ ٢٠٧.

وعودًا إلى الفورية نقول إن ما يُهِم البحث بشأن الفورية هو ما جاء عن نزول سورة الأنعام جملة، ليلاً، فدعا رسول الله ﷺ الكتاب فكتبوها من ليلتهم.

أ – فأما عن نزولها جملة فقد ذُكر في تفاسير: المهدوي وغيره حسب ما ذكره القرطبي في التذكار، وفي تفسيره، وفي تفسير الرازي، وابن كثير، وحاشية زاده وكذا حاشية الجمل – وكله في أول سورة الأنعام. وذكر في الإتقان النوع الثالث عشر عدة روايات تقرر نزولها جملة. وأحال على الطبراني وأبي عبيدة، ثم قال السيوطي: فهذه شواهد يقوي بعضها بعضا»[1].

ب – وأما عن نزولها ليلًا فقد ذكر في الإتقان في النوع الثالث وقال أخرجه الطبراني وأبو عبيد في فضائله. وقد ذكر في (تذكار) القرطبي و (تفسير) ابن كثير و (حاشية) زاده على البيضاوي – وكل ذلك عن ابن عباس، وذكر في (تفسير) القرطبي والفتوحات الإلهية من حيث هو (خبر)[2] وفي (مفاتيح الغيب) لم يذكر (ليلاً) لكن تدل عليها عبارة «فكتبوها من ليلتهم».

جـ - وأما دعوته الكتاب وأنهم (كتبوها من ليلتهم) فقد جاء في تفسيرَي الرازي وزاده مسندًا إلى ابن عباس، وفي كتابَي القرطبي (التفسير، والتذكار) ضمن (خبر)، وكذا في (تفسير) المهدوي وغيره – كما ذكر في (غرائب القرآن) لنظام الدين

---

(١) ينظر الإتقان النوع ١٣ وفضائل القرآن لأبي عبيد (تحـ. د. وهبي سليمان) ص١٢٩ ومفاتيح الغيب ٦/ ٢٠٧ وتفسير القرطبي ٦/ ٣٨٢، والتذكار ١٤٨ وتفسير ابن كثير ٢/ ١٢٢ وحاشية زاده ٢/ ١٤٨ والفتوحات الإلهية والحديث فيها كلها عن ابن عباس مع رواية في مفاتيح الغيب عن أنس وفي التذكار «(في الخبر) وذكره المهدوي وغيره».

(٢) ينظر الإتقان النوع الثالث ثم كل المواضع المذكورة في التعليق السابق عدا مفاتيح الغيب.

النيسابوري، وفي حاشية الجمل.وفي التحرير والتنوير لابن عاشور. فهؤلاء سبعة من المفسرين وثقوا فيه. وأنا أيضًا أثق فيه[1].

قيمة فورية تسجيل الوحْي القرآني:

وأهم ما تفيده فورية تدوين النص القرآني خَطيًّا في هذه الوثاقة أمران:

الأمر الأول:

إثبات التوازي الزمني في توثيق نقل النص القرآني الكريم بين التلقي الشفاهي والتدوين الخطي. لقد أشبعنا وأشبع الأئمة قبلنا التوثيق الشفاهي بإثبات مشافهة الرسول ﷺ كثيرًا من أصحابه بما كان يوحَي إليه من القرآن الكريم أولاً بأول، وتلقي سائر الصحابة وكثير من التابعين ذلك عن الصحابة الذين شافهوا وتلقوا من رسول الله ﷺ، ثم تلقى أتباع التابعين عن التابعين أو عن بعضهم ... وهكذا طبقة من أهل النور عن طبقة سبقتها، ويستمر ذلك إلى يوم القيامة إن شاء الله.

وقد وازى هذا التوثيق الخطي ذلك التوثيق الشفاهي إلى الرسم العثماني، ثم استقر إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة إن شاء الله. لقد كان هناك غموض يكتنف الحلقة الأولى من التوثيق الخطي بين زمن النزول وزمن التدوين. وكان ذلك الغموض يسمح بأوهام لا ينبغي أن يسمح بها في هذا المجال ذي الخطر الجليل: أعني أن يكون التدوين الخطي يتأخر أحيانًا مثلاً لقلة انتشار الكتابة حسب

---

(١) تنظر التفاسير المذكورة في أول سورة الأنعام عدا التحرير والتنوير فإنه ذكر عند تفسير الآية ٦٧ من سورة المائدة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ﴾.

الانطباع العام عن عرب عصر البعثة الشريفة، أو لبعد الكاتب أو الكُتّاب، أو لأي سبب آخر. فجاء هذا المبحث فأثبت الفورية وآليتها إثباتًا علميًا يحسم كل توهم في هذا المجال. والحمد لله رب العالمين.

والأمر الثاني:

بالغ الأهمية أيضًا، وهو أن ثبوت تدوين وحي القرآن الكريم فور نزوله يتيح وضوح أمر يصعب وضوحه بدون ثبوت هذه الفورية. ذلك أن القول التاسع من الأقوال التي أوردها السيوطي في الإتقان في معنى حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، وقد نُسِب لأكثر العلماء والأئمة، وأورد السيوطي حديثا نبويا بسند جيد يؤيده = هو أن المراد بالأحرف السبعة هو الترخيص – لمن غابت عنه كلمة وهو يقرأ في الصلاة مثلًا – أن يقرأ بكلمة بمعناها، وكانت تلك رخصة مؤقتة نُسِخَت بالرسم العثماني. وهذا القول – إذا قُبِل – يثير في النفوس هاجسًا خطيرًا عن الموجود في المصحف الآن: أهو الأصل النازل على النبي ﷺ أم المرادف؟ فورية تدوين الوحي تحسم هذا الهاجس فيظل من المقطوع به يقينًا أن الذي في المصاحف الآن هو عين ما كُتِب بين يدي النبي ﷺ، لأن ما كُتِب بين يديه ﷺ كُتِبَ فور نزوله، بحيث لم تكن هناك أدنى فرصة لتبديل كلمة بأخرى قبل الكتابة. فالرسول نفسه ﷺ لا يمكن أن يبدل كلمة بأخرى نسيانًا مثلًا لأن الفورية لا تتيح النسيان، ولأن الله وعد أن لا يدعه ينسى ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعلى: ٦]، ولا عمدًا، لأنه ﷺ أعلم الناس بقداسة كلام الله عز وجل ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ﴾ [البقرة: ١٨١]،

ولأن الله رد عنه ﷺ على الكفار الذين قالوا: ﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ﴾ [يونس: ١٥] كما أنه تعالى يقول: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الكهف: ٢٧]، ويقول: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦].

أما أتباعه ﷺ فبعد التدوين الفوري للنصّ المنزل يصبح الترخيص لمن غابت عنه منهم كلمة أو عبارة أن يقرأ غيرها مما هو بمعناها - يصبح ذلك مأمونَ العاقبة، فيلبي التيسير لذوي الأعذار الذين صرحت الروايات بذكرهم (العجوز والشيخ العاسي والأمّي والعبد إلخ) فيؤدوا الصلوات الخمس بالفاتحة وآيات كيفما استطاعوا، والنص محفوظ بالكتابة الفورية. ويبرز وجه الضرورة إلى هذه الرخصة أن البديل كان ترك الصلاة - في حين أنها السبيل الأساسي الذي شرعه الله للتعبير عن الإيمان بدينه. **ثم إن هذه الرخصة انتهت بالإجماع على المصاحف العثمانية**[1] وتيسُّر الحفظ لانتشار وسائله.

إن فورية التدوين ضَمِنت أن ما سُجِّل من الوحي بين يدي النبي ﷺ هو عين ما نزل به جبريل على النبي ﷺ لم يُمَس بأي تصرف بشري[2]. ثم هذا الذي كُتب بين يدي النبي ﷺ هو عين ما سُجل في جمع أبي بكر، ولكن زِيدَ توثيقُه

---

(١) الرخصة ونسخها في الإتقان النوع ١٦/ القول التاسع في المراد بالأحرف السبعة.

(٢) قال أبو شامة (المرشد الوجيز) ٥٧ - معلقًا على شدة تحرّي الصحابة في كتابة القرآن في الجمع البكري «إنما كان قصدهم أن ينقلوا من عين المكتوب بين يدي النبي ﷺ، ولم يكتبوا من حفظهم. لأن قراءاتهم كانت مختلفة، لما أبيح لهم من قراءة القرآن على سبعة أحرف» وأكد هذه الفكرة في ص ٧٠ أيضًا.

بالمطابقة بينه وبين ما تُلُقِّيَ عن الرسول ﷺ. ولم يسجَّل ما عُلم أنه نُسِخت قراءته. ويلاحظ أن ما سُجِّل بين يديه ﷺ ثابت، ليظل هو عينه مهما طال عليه الأمد، وأما ما تلقى فإنه يمكن أن يكون المتلقِّي قرأه بلهجته أو غابت عنه كلمة فأتى بأخرى بمعناها – فالمكتوب هو الضابط الأقوى. وسيأتي أن نَسْخَ عثمان ﷺ مصاحفه من صحف أبي بكر لم يغير منها شيئًا. غير أن تعدد المصاحف سمح باختلاف محدود في نحو تسع وثلاثين كلمة – مما صح سنده إلى رسول الله ﷺ إقراءً، أو إقرارًا. من نوع و «أوصى» و «وصى» .. وبذلك كله يتبين أن المصاحف العثمانية تحتوي ما أنزله جبريل على النبي ﷺ بعينه لم يُتَصرَّف فيه بأي شيء، ولم يدخل في هذه المصاحف أي شيء مما كان أجيز بناء على تيسير حديث الأحرف السبعة. وحتى الكلمات التسع والثلاثين فإن المقطوع به أن أحد كل نطقين لكلمة منها هو عينُ ما نَطق به الرسول ﷺ حسب ما أنزل عليه في أول الأمر، وأن النطق الآخر أجازه الرسول ﷺ حسب تيسير الأحرف السبعة، أو قرأه حسب معارضته القرآن مع جبريل عليه السلام.

المعارضة (= المراجعة) أي التحقق من صحة ما كُتب:

أولاً: كانت هناك مراجعة تُعَدُّ خاصة بالقرآن الكريم، وهي في الوقت نفسه أنسب نوع (مراجعة) للنصّ الكريم. فذلك النص القرآني الكريم وَحْي من عند الله عز وجل. فكان من بالغ عنايته عز وجل وفضله على الأمة أن يبعث جبريل عليه السلام ليعارض النبي ﷺ بالقرآن (أي يراجع معه ﷺ بأن يقرأ النبي ﷺ أمامه القرآن) كل سنة في رمضان، وفي رمضان الأخير من حياته ﷺ عارضه

جبريل بالقرآن مرتين» وقد جاء بذلك حديث أو أحاديث صحيحة[1].

وقد كانت هذه المعارضة تنصبّ على رفع ما يكون قد نسخ من النص الكريم – مع تثبيت ما يشاؤه الله عز وجل منه.

أما المعارضة (المراجعة) البشرية المعتادة فقد كانت تجرى أيضًا، وكان رسول الله ﷺ هو الذي يراجع ما كتب الكاتب بأن يطلب منه قراءة ما كَتَب. جاء عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: «كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يُمْلِي عليّ، **فإذا فَرَغْتُ قال: اقرأه. فأقرؤه. فإن كان فيه سَقَطٌ أقامه**»[2].

☐ وواضح أن طلب قراءة ما كتب هو للتحقق من كون ما كُتِبَ مطابقًا لما أُمْلِيَ، وهو ما يسمى الآن – مراجعة.

وقد جاء النص على هذا التحقق (المراجعة) في رواية أبي داود لقصة آية «لا يستوي القاعدون التي ذكرناها سابقة. «ثم **سُرِّيَ عنه (أي بعد أن أفاق ﷺ مما غَشِيَهُ للمرة الأولى هنا) فقال اكتب**» (فهذا إملاء ما أوحى إليه) فكتبت في كتف

(١) انظر صحيح البخاري / فضائل القرآن / ب ٧ / ٤٩٩٧ – ٤٩٩٨.

(٢) حديث زيد هذا جاء به محمد طاهر الكردي في كتابه تاريخ القرآن. ص٦١ ولم يخرجه وذكره أبو بكر الصولي في كتابه أدب الكُتَّاب (عُنِي بتصحيحه محمد بهجة الأثري ونظر فيه السيد محمود شكري الآلوسي) ص١٦٥ فقال حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عتاب قال حدثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي قال حدثنا عبد الله بن يحيى قال أخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن ابن سليمان بن زيد بن ثابت عن أبيه عن جده قال ..» وذكر هذا السند العلامة غانم قدوري الحمد في كتابه رسم المصحف ص٥٨ لكن نصه بعد ابن شهاب «عن سليمان بن خارجة بن زيد» وهو حري بالقبول لشهرة خارجة بالرواية عن أبيه.

﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر الآية. فقام ابن أم مكتوم. فلما قَضَى كلامَه غَشِيت رسولَ الله ﷺ السكينة، ثم سُرِّي عن رسول الله ﷺ. فقال: اقرأ يا زيد (فهذه هي المراجعة) فقرأت ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فقال رسول الله ﷺ ﴿ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ الآية كلها[1].

(تحديد موضع الآية عند نزولها):

وهذا أمر مهم لأن كثيرًا جدًا من القرآن الكريم نزل آيات مفرقة. والسور التي نزلت كاملة عددها قليل[2]، فيكون تعيين موضع الآية بالنسبة للآيات الأُخَر من تمام إحكام التنزيل العزيز.

ومع أن تحديد موضع الآية في مثل هذه الحال – أعني نزول القرآن مفرقًا – هو أمر ضروري، لا يعقل غيره، ولا بد أنه كان مراعي، بدليل أن آيات القرآن الكريم في السور الطويلة التي لم تنزل مرة واحدة هي أنساق كل منها مترابط في نفسه، وبينه وبين النسق الذي يسبقه ويتلوه مناسبات يدرسها ويبرزها علماء التفسير المتخصصون – ونحيل هنا على دراسة لأطول سور القرآن: البقرة[3] نقول إنه مع ضرورية تحديد موضع الآية عقلًا، فإن الأدلة النقلية لتوقيفية ترتيب الآيات في سورها متوافرة. وهي أنواع: **الأول**: تصريح النبي ﷺ بموضع الآية في سورتها عند نزولها – كالذي روى أن النبي ﷺ كان «إذا نزلت

---

(١) سنن أبي داود (محيي الدين) ٣/ ١٧ برقم ٢٥٠٧.

(٢) ينظر الإتقان للسيوطي (النوع الثالث عشر).

(٣) يرجع إلى «النبأ العظيم» للدكتور محمد عبد الله دراز.

عليه آية دعا بعض من يكتب (الوحي) فقال «ضع هذه الآية في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا»[1] وكأن هذا الحديث نفسه هو عجز الحديث الذي ذكره السيوطي وقال أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم أن ابن عباس سأل عثمان عن سر قَرْن الصحابة بين الأنفال وبراءة – مع عدم كتابة البسملة بينهما فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا **هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**[2].

□ كذلك أخرج أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ... إلى آخرها [3] [النحل: ٩٠].

□ وذكر القرطبي أن أبا بكر بن الأنباري روى عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «آخر ما نزل من القرآن ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ

---

(١) جاء هذا الحديث في كتاب رسم المصحف للعلامة غانم قدوري الحمد ص٩٨. وهو عن مخطوط فضائل القرآن لأبي عبيد وفي فضائل القرآن المطبوع بتحقيق وهبي سليمان (دار الكتب العلمية) ص١٥٢ بلفظ «إذا نزلت عليه سورة .... ضعوا هذه السورة». وقد علق المحقق بقوله رواه أحمد مطولًا، والبخاري في الأدب المفرد بلفظ «ضعوا هذه الآية» وهذا هو الوجه.

(٢) ينظر الإتقان (عالم الكتب) ١/ ٦٠ (النوع الثامن عشر).

(٣) السابق نفسه.

إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١] فقال جبريل للنبي ﷺ يا محمد: ضعها على رأس ثمانين ومئتين من (سورة) البقرة».

وذكر القرطبي أن مكي بن أبي طالب ذكر ذلك أيضًا. كما جاء في رواية للقرطبي أيضًا أن النبي ﷺ قال: «اجعلوها بين آية الربا وآية الدين»[1] وهذا إشارة إلى نفس الموضع.

النوع الثاني من الأحاديث النبوية الدالة على توقيفية ترتيب الآيات في سورها هو الأحاديث التي تصف آية أو آيات بأنها «آخر سورة كذا» أو «أول سورة كذا» مثل «تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء» (فحدد موضعها من السورة، وزمن نزولها أيضًا)، والأحاديث النبوية عن الآيات التي «في خواتيم سورة البقرة»، والآيات العشر «من أول سورة الكهف» أو «العشر الأواخر من سورة الكهف»[2].

- النوع الثالث هو الأحاديث التي تذكر قراءته ﷺ سورًا بعينها وهي عديدة كالأحاديث عن قراءته ﷺ سور «البقرة» و «آل عمران» و «النساء» و«الأعراف» و «المؤمنون» و «الروم» و «السجدة» و «هل أتى» و «ق» و «الرحمن» و «النجم» و«اقتربت الساعة» و«المنافقون» و«الجمعة» و«الصف»[3] و «القرائن» التي مر ذكرها في كتابنا هذا. ولاشك أنه كان ﷺ يقرأ كلًّا من تلك السور بنفس ترتيب آياتها في المصاحف التي بين أيدينا. وذلك بمشهد ومسمع

---

(١) ينظر تفسير القرطبي (الهيئة المصرية العامة) ٣/ ٣٧٥.

(٢) عن الإتقان للسيوطي النوع الثامن عشر (عالم الكتب ١/ ٦٠ - ٦١) بتصرف يسير.

(٣) السابق نفسه وأضفنا «القرائن».

من الصحابة. وكل ذلك يدل على أن ترتيب الآيات في سورها توقيفي، وما كان الصحابة ليرتبوا الآيات داخل سورها ترتيبًا سمعوا النبي ﷺ يقرأ على خلافه. قال السيوطي فبلغ ذلك مبلغ التواتر»(١) وصدق السيوطي رحمه الله.

وأخيرًا. فإن هنا حديثًا يصرح بوقوع ترتيب الآيات التي كانت مدونة بين يدي النبي (أي ضمها في سورها مرتبة) بين يدي النبي ﷺ فعلاً، وهو قول زيد ابن ثابت رضي الله عنه «بينما نحن حول رسول الله ﷺ **نؤلف القرآن من الرقاع** إذ قال «طوبى للشام» قيل يا رسول الله «ولم ذاك؟» قال: «إن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليها»(٢) فتأليف القرآن من الرقاع يعني جمع الرقاع التي كتب فيها القرآن بحيث تكون آيات كل سورة مرتبة متوالية فيها.

وبذلك كله نفهم قول الإمام مالك رضي الله عنه: إنما **ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ**»(٣).



(١) «الإتقان» النوع الثامن عشر (عالم الكتب ١/ ٦٠ - ٦٢).

(٢) الجامع الكبير (مخطوط) ٢/ ٣٩٦ ورموز تخريجه ش، جم، ت حسن غريب، حب، طب، ك، هب، ض وأقول إن حكم الترمذي بأنه حسن يكفي إن شاء الله تعالى. وقد رواه البيهقي في كتبه «المدخل» و «الدلائل» وفي «شعب الإيمان» للبيهقي (ينظر المرشد الوجيز ٤٤) والبيهقي إمام محدث.

(٣) ينظر المقنع لأبي عمرو الداني (تحـ محمد الصادق قمحاوي) ص١٨، والمرشد الوجيز ٤٦ – ٤٧ والإتقان (عالم الكتب ١/ ٦١).

الفصل الثاني

جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ

الجمع في عهد الصديق ﷺ مضاعَف المعنى والأهمية. أما المعنى فلأن به حُصِّل ما كان من القرآن مكتوبًا متفرقًا في قطع الأديم والأكتاف والعُسُب واللِّخاف وما إلى ذلك بعد أن كان معرَّضًا للضياع، وطوبق مع ما كان متفرقًا على ألسنة الصحابة وفي قلوبهم. هذا كله من ناحية، ويشمل من ناحية أخرى كتابته مجموعًا في صحيفة أو صحف محدودة العدد تجمعه معًا، ويتيسر حفظها في رَبْعة أو نحوها، كما يتيسر الرجوع إليها، ونقلها دون اختلاط ترتيبها. وأما الأهمية المضاعفة فلأن القرآن الكريم هو دستور الإسلام وأساس قواعد الدعوة الإسلامية الأول. وجمعه مكتوبًا حفظٌ وتخليد مادّي مستقل له، بدلًا من تعلق بقائه بحياة الحفاظ. وفي هذا صون له من أهم جوانب الضياع بفقد آية أو كلمة، ومن أهم جوانب التحريف بتغيير آية أو كلمة. وفي كتابته ضمان أيضًا لانتقاله إلى الأجيال التالية بالصورة التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ.

ويتطلب حديث هذا الجمع استيفاء البنود الآتية:

١ – الدافع إلى الجمع والمشورة به.

٢ – قرار الجمع واللجنة التي أُلِّفت لتنفيذه.

٣ – أهلية اللجنة لما كُلِّفت به.

٤ – تقدير المسئولية.

٥ – عبارة التكليف وخطة العمل.

٦ – الإعلان والحث على التعاون مع اللجنة.

٧ – صورة التنفيذ.

٨ – المملي والكاتب.

٩ – المراجعة.

١ – أما الدافع إلى الجمع والمشورة به، فإن موقعة اليمامة التي جرت بين المسلمين وبين جيش مسيلمة الكذاب من أتباعه المرتدين - وذلك في أواخر السنة الحادية عشرة أو أوائل السنة الثانية عشرة للهجرة - كانت موقعة عظيمة وفاصلة قُتِل فيها مسيلمة واندحر جيشه، ولكن استُشهد من المسلمين يومئذ مئتان وألف من بينهم ستون وثلاثة مئة من قصبة المدينة وحدها. وكان من بين هؤلاء كثيرون من القراء أي حفاظ القرآن[١] (نحو سبعين)[٢]. فأحس عمر ﷺ بالخطر الذي يتعرض له القرآن (أن يُفْقَد منه شيء) باستشهاد القراء الذين كانوا يبادرون إلى الجهاد في سبيل الله كلما دعا الداعي، كما خشي أن يموت مع ذلك شيوخ القراء كأُبَيّ وابن مسعود وزيد، فأشار على أبي بكر بجمع القرآن.

٢ – القرار ولجنة جمع المصحف: قَبِل الصديق مشورة الفاروق – رضي الله عنهما – بعد تردد مبعثه تهيب الإقدام على شيء لم يفعله رسول الله ﷺ،

---

(١) عن موقعة اليمامة ينظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٨١ وما بعدها وبخاصة ٢٩٦ – ٢٩٧.

(٢) رقم السبعين لعدد القراء الذين استشهدوا في اليمامة ذُكر في تفسير القرطبي ١/ ٥٠ و «الإتقان» (عالم الكتب ١/ ٧١). وهو رقم يناسب الرقم الكلي الذي ذكرناه لشهداء ذلك اليوم. لكن في فضائل القرآن لابن كثير ٥٨ أن القراء تميزوا فكانوا نحو ثلاثة آلاف، فصدقوا الحملة حتى سحقوا جيش مسيلمة. لكن قتل منهم نحو خمس مئة.

فاستدعى زيد بن ثابت، لأنه كان أكثر مَنْ كَتب الوحي لرسول الله ﷺ، فله علاقة خاصة بالقرآن. وعرض عليه أبو بكر ما أشار به عمر، فتردد هو أيضًا قليلًا لنفس السبب، ثم أيد الفكرة. وهنا كلفه أبو بكر بتولي أمرها، وكَلَّف عمرَ بالاشتراك معه في هذه المسئولية[1] وقد جاء في عدد من الروايات أن أبي بن كعب اشترك في الجمع البكري بالإملاء[2].

كذلك جاء في رواية أن أبا بكر قال لزيد «وسأجعل معك رجلاً: أبان بن سعيد بن العاص الأموي الأكبر، فإنه فتى من قريش فصيح، وإنما أنزل القرآن بلغة قريش فابتدئه على بركة الله، فإن أشكل عليكما شيء فارفعاه إليّ لأكون معكما فيه»[3].

---

(١) تردد أبي بكر وزيد مع سبب التردد، ثم قبولهما وتكليف زيد وعمر كل ذلك في الرواية الشهيرة الصحيحة لهذا الأمر في البخاري فتح الباري ١٠/ ٣٨٤ – ٣٨٨ وفضائل القرآن لأبي عبيد ١٥٢ – ١٥٣، وكتاب المصاحف لابن أبي داود (تحـ د. محب الدين واعظ) الأثر رقم ٢٥، ٢٨.

(٢) اشتراك أبيّ بالإملاء جاء في «كتاب المصاحف» أثر رقم ٢٩، ٩٧ وفي «المرشد الوجيز» لأبي شامة ٦٣ قال عمر «فقمنا (أي هو وزيد) حتى جلسنا على باب المسجد. أي الذي يلي موضع الجنائز – كما سيأتي) فأرسلتُ إلى أبيّ بن كعب فجاء، فوجدنا مع أبيّ كُتُبًا (أي رقاعًا كتب فيها قرآن) مثل ما وجدنا عند جميع الناس» ومعنى الجملة الأخيرة في «المصاحف» ٣٨ – أيضًا.

(٣) هذه الرواية من مقدمة كتاب المباني (مقدمتان ص٢٠) وفيها بعض ما يريب لأنها لم توجد في مصدر آخر، ولأنه ذكر فيها احتكامهم إلى أبي بكر في كلمة «التابوت» والمشهور أن الاحتكام بشأن هذه الكلمة كان في الجمع العثماني، فإن صح الجزء الأول من الرواية وهو اشتراك «أبان» في اللجنة فيكون سر إغفال الروايات الأخرى أمره أنه توفى مبكرًا سنة =

٣- أهلية اللجنة لما كلفت به:

أما عمر ﷺ فإنه كان الرجل الثاني في أمة سيدنا محمد ﷺ مسئوليةً ودينًا وورعًا – بعد سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ، وضُرِب به المثل في معرفة الحق والالتزام به مهما كان. وهذان أمران بالغا الأهمية في الانضباط الذي يتطلبه جمعُ أقدس كتاب في الوجود بكل معاني ذلك الانضباط من الجِدّ والدقة والمبالغة في التحري وما إلى ذلك. ثم إن عمر كان من الذين حفظوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ، وغَيْرَتُه على الإسلام وكتابه القرآن بالغةٌ مداها أيضًا، فهو هنا صاحب المشورة بجمع القرآن كتابةً، فأهليته ﷺ للمشاركة في هذه اللجنة بالغة أعلى مستوى. ومن تمام أهليته هنا أنه – وهو من هو – عَرَف لزيد خبرتَه بكتابة القرآن، وقربَه من النبي ﷺ في الشئون القرآنية **فكان في اللجنة كأنه مساعدٌ لزيد**. ولاشك أن وجود عمر في هذه اللجنة أضفى عليها من خطر القَدْر ما جعل الاستجابة لها أقوى، ومن الجدية في العمل ما أسهم في إنجاز مهمتها على خير وجه.

☐ وأما أُبيّ فقد قال رسول الله ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة» وذكر منهم أُبيًّا. وأَمرَ الله رسوله ﷺ أن يقرأ على أُبيّ (تعليمًا وسَنًّا للعرض)، وقال عمر «أُبيّ أقرؤنا»[1].

= ١٣هـ. ومما يجيز اشتراكه في اللجنة أن رسول الله ﷺ كان قد أمّره على البحرين سنة ٩هـ فلما علم بوفاة رسول الله ﷺ عاد وبقي في المدينة حتى اشترك في وقعة أجنادين (١٣هـ) فاستشهد. فهل اشترك في لجنة المصحف ثم ذهب إلى أجنادين؟. وقد قيل إنه مات في خلافة عثمان.

(١) ينظر متن صحيح البخاري / فضائل القرآن / ب ٨ / ٤٩٩٩ – ٥٠٠٥.

□ وأما بالنسبة لأهلية زيد بن ثابت لهذه اللجنة فقد ذكر أبو بكر ﷺ بنود هذه الأهلية في عبارة تكليفه لزيد. إذ قال له (أ) إنك رجل شاب (ب) عاقل (جـ) لا نتهمك (د) وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ..»[1].

وتفصيل هذه البنود:

أ - في بعض الروايات «إنك شاب» أي دون ذكر كلمة رجل. والشباب مظنة النشاط أي عدم التكاسل، والقدرة على الدَّأب والمثابرة على تحمل المشاق.

ب - «عاقل» فالعقل يعني هنا الرزانة والتثبت والانضباط وعدم الطيش.

جـ - «لا نتهمك» هذا تعبير عن تحلي زيد بصفة الأمانة والنزاهة وأنه فوق مستوى التهمة، وعن الثقة في تحقق زيد بتلك الصفة، وضمير جماعة المتكلمين هنا يعني أبا بكر (الخليفة) وعمر الصديق والوزير الأول، وجماعة المسلمين التي يمثلها الخليفة ووزيره.

د - «وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ» هذه العبارة تعني تأصل خبرة زيد بكتابة القرآن، وأنه كان موضع ثقة الرسول ﷺ التامة في هذا الأمر الذي كُلِّف به، وفي هذا كله مزيد توثيق لزيد.

٤ - تقدير زيد المسئولية:

لاشك أن تقدير المكلف بعملٍ لقيمة هذا العمل ينضَح على إنجازه لهذا العمل في كل جوانب الإنجاز: من الدقة والاستيعاب والتحري والسرعة وما إلى ذلك. وقد عبر زيد عن تقديره للمسئولية التي ألقيت إليه بما يبلغ بتقديره

---

(١) نفسه / فضائل القرآن / ب ٣ جمع القرآن / ٤٩٨٦.

غاية المدى فقال «فوالله لو كَلَّفُوني نقلَ جبل من الجبال ما كان أثقلَ عَلَيّ مما أمرني به من جمع القرآن»[1].

٥- عبارة التكليف وخطة العمل: تم التكليف بعبارتين:

أ - الأولى قول أبي بكر لزيد «تَتَبَّعْ القرآن فاجمعه»[2] وفي رواية «فتتبع هذا القرآن فاجمعه» وفي ثالثة «اجمع القرآن فاكتبه» وفي رابعة «وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فاكتبه»[3] وقيمة هذه الروايات الأخيرة التصريح بأن المقصود بالأمر بالجمع هنا هو تتبع العرائض التي كُتب فيها القرآن أمام النبي ﷺ حيثما كانت، وكتابتها معاً.

ب - العبارة الثانية - وهي كأنها تفصيل وتكميل لعبارة التكليف الأولى: «قال أبو بكر لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه»[4].

❑ وعبارة أبي بكر الأولى «تَتَبَّع القرآن فأجمعه» عبارة جامعة، لأن التتبع يعني ملاحقة شيء منتشر متفرق. وهكذا كان القرآن الكريم متفرقًا منتشرًا بين العرائض (أعني الأشياء ذات السطوح العريضة كاللخاف = الحجارة العريضة) وألواح الأكتاف أي عظامها وهي عريضة، والأقتاب (أخشاب عُدَد الجِمال)

---

(١) السابق: نفس الصفحة.

(٢) نفسه.

(٣) الروايات الثلاث ورابعة في كتاب المصاحف آثار ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨.

(٤) كتاب المصاحف الأثر رقم ٢٣، وقال السيوطي في الإتقان (عالم الكتب) ١/ ٥٨ «رجاله ثقات مع انقطاعه».

وهي عريضة، والعُسُب (وهي أصول السعف) وتكون عريضة. كما كان منتشرًا بين صدور الرجال الحافظين له أو لأجزاء منه. فأمر أبي بكر مقصود به جمع ذلك كله.

□ قول أبي بكر لعمر وزيد «اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه» يشير أولاً إلى مقر للجنة عام ومتاح للجميع، (باب المسجد الذي يلي موضع الجنائز)[1] وذلك لإشهار اللجنة وضمان عموم أمرها حرصًا على استيعاب ما كان من كتاب الله عند أيٍّ من الناس. ثم تصرح العبارة بشرط بالغ الأهمية وبالغ الاحتياط لكتاب الله حيث صارت عند التطبيق أحد الشروط المهمة: أن يشهد شاهدان على ما يأتي به مَنْ عندَهُ قرآن محفوظ في صدره أو في عريضة مكتوبة. ومن الطبيعي أن تكون الشهادة على أن هذا الذي أَتَى به فلان هو من القرآن. ولكن كيف يتأتى ذلك للشاهدين؟ الإجابة: بأن يكون الشاهدان أنفسُهما يحفظان من القرآن في صدريهما هذا الذي جاء به فلان مكتوبًا، أو محفوظًا وله نسخة من المكتوب بين يدي رسول الله ﷺ. وأبلغُ من هذا أن يكون الشاهدان قد حضرا تنزيل هذا المجيء به وتسجيله بين يدي رسول الله ﷺ. ويتلخص من هذا أن عناصر التوثيق كانت ثلاثة معًا.

أ – أن يكون النص مكتوبًا بين يدي النبي ﷺ.

ب – أن يكون النص محفوظًا مُتَلقًّى عن النبي ﷺ مباشرة أو عمن تَلَقَّى عنه مباشرة.

---

(١) ينظر «المرشد الوجيز» لأبي شامة ٦٢ – ٦٣.

جـ - أن يشهد شاهدان على الأمرين السابقين.

٦- الإعلان والحث على التعاون مع اللجنة.

وهذا مهم للاستيعاب كما هو واضح. جاء في كتاب المصاحف لابن أبي داود بسنده قال: «أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال: من كان تَلَقَّى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأتنا به»[1].

ولا ينبغي أن يفهم من عبارة «أراد عمر ..» أن هذا كان جمعًا عمريًا، فإنما هو عين الجمع البكري، وكان عمر عضوًا مهمًّا في لجنته كما أسلفنا. ونستلفت النظر هنا إلى قول عمر «من كان تلقى» فهو الذي اشترط التلقي هكذا، وهو الذي التزم في التنفيذ بما طلبه كما سيأتي.

٧- المملي والكاتب في هذه الجَمْعة البكرية:

لاشك أن زيد بن ثابت كان هو الذي يكتب، لأنه هو المكلف بذلك تعيينًا، ولأنه هو الأخبر بكتابة القرآن خاصة منذ عهد النبي ﷺ. وإذا افترضنا أن هناك من شارك في الكتابة أحيانًا - أخذًا من قول أبي العالية «فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أُبَيّ بن كعب»[2]، ولما قد يقتضيه اشتغال زيد بعملية «تتبع القرآن وجمعه» فلا بد أن تلك المشاركة كانت بمعرفة زيد وإشرافه ومراجعته، لأنه المسئول الأول عن هذا الأمر، والأمر بالغ الخطر لا يتأتى فيه أي تسامح.

وقد أسلفنا الروايات التي ذكرت أن أبيًّا اشترك في هذه اللجنة البكرية

---

(١) كتاب المصاحف رقم ٣٣ والإتقان نوع ١٨ (عالم الكتب ١/ ٥٨).

(٢) ينظر «كتاب المصاحف» أثر رقم ٢٩.

بالإملاء. وهكذا تعين المملي والكاتب. لكن أُبَيًّا كان صحابيًّا قرآنيًّا جليلاً – (أي حافظًا للقرآن، ويعدُّ أقرأ الصحابة، واختص بقراءة النبي ﷺ عليه للتعليم وسَنِّ العرض) وهذا كله يثير تساؤلًا لابد من مواجهته، وهو: هل أثَّر إملاءُ أبيّ بجلالة قدره تلك في الإملاء بافتراض إملاء أبيّ على زيد؟ المقطوع به أن ذلك لا يمكن أن يكون. لأن زيدًا هو رئيس اللجنة، وقد علم الصحابة أن السمع والطاعة لولي الأمر هما من صميم الإيمان. ثم إن زيدًا كان له ثقله فهو حافظ، وهو الذي تولى كتابة معظم القرآن للنبي ﷺ، وعُرِف بأنه كان يلتزم بما أنزل، ولم يؤثر عنه الأخذ برخصة الأحرف السبعة كما فعل أُبَيّ[1]. وكانت هناك خطة موضوعة لا يمكن الحيد عنها، وهي جمع القرآن من صدور الرجال مع المطابقة على المكتوب بين يدي النبي ﷺ. ومن شواهد صرامة الالتزام أن عُمر وأبيًّا كانا يقرآن «وغير الضالين»[2] لكنها كتبت «ولا الضالين». كل هذا يطمئن إلى أن الجمع البكري نُفِّذَ كما خُطِّط له تمامًا – دون التأثر بشيء آخر.

٨- صورة التنفيذ:

أ – قال زيد في بيان ما قام به بعد تلقي التكليف وعبارته في البخاري «فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللخاف، وصدور الرجال»[3] وفي كتاب المصاحف عدة عبارات (الأولى) «فتتبعت القرآن أنسخه من الصُحُف والعُسُب

---

(١) جاء في البخاري فضائل القرآن ب ٨ = القراء من أصحاب النبي ﷺ/ ٥٠٠٥ قال عمر «أُبَيّ أقرؤنا، وإنا لندع من لحن أُبي..» وكتب التفسير سجلت كثيرًا من قراءة أُبَيّ بالمرادف.

(٢) ينظر تفسير القرطبي (الهيئة المصرية) ١/ ١٥٠.

(٣) فتح الباري ١٠/ ٣٨٨.

واللخاف» الثانية: «فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال» والثالثة: «فجعلت أتتبع القرآن من صدور الرجال. والعُسُب، ومن الرقاع، ومن الأضلاع» والعبارة الرابعة «فجمعت القرآن أجمعه من الأكتاف والأقتاب والعُسُب وصدور الرجال»[1] وأهمية هذه الروايات إجماعُها على أن مصدر الجمع كان صدور الرجال والعرائض التي كانوا يكتبون عليها معًا. فالعبارة التي لم يُذكَر فيها «صدور الرجال» ذُكِر في آخرها فقد آخر التوبة ثم وجوده عند رجل من الأنصار – أي كان يحفظها. أما إن فُسِّر هذا بأنها كانت مكتوبة عنده فإن رواية البخاري والروايات الثلاث الأخرى يُحققن ما قلناه.

أما تعبير زيد «بأجمعه» مرة، و «بأنسخه» أخرى فالثانية «أنسخه» بمعنى «أكتبه من الرقاع» تفسر «أجمعه».

ب – نذكر هنا ما يؤكد أو يضيف من كلام بعض الأئمة وكلام بعض العلماء المتأخرين، فإن كلام المتأخرين إن لم يكن عن روايات وصلت إليهم، فحريّ أن يكون عن استنتاجات صحيحة استنتجوها هم. ونقول صحيحة لأنها يمكن أن تستنتج مما أوردناه هنا آنفًا دون تكلف.

□ قال الإمام السيوطي «أخرج ابن أشتة في «المصاحف» عن (الإمام) الليث بن سعد قال: أول من جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد، **وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشاهدَيْ عدل**»[2] وجاء في المصاحف» لابن أبي داود بسنده أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال: من

---

(١) كتاب المصاحف آثار ٢٥، ٢٦، ٢٨.

(٢) الإتقان (عالم الكتب) ١/ ٥٨.

كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعُسُب، **وكان لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شهيدان»** وهذه الرواية توهم أن هذا جمع عُمَري وفي آخرها ما يؤكد ذلك «فقُتِل وهو يجمع ذلك»[1]. ولكنني مع الجمهور الذين يَرَون أن هذا وصف للجَمْعة البكرية، وخالطه بعض الوهم. وفي الإتقان للسيوطي – وهو إمام جليل في العلم بالحديث الشريف وعلل الروايات – أضاف بعد كلمة «شهيدان» في الرواية السابقة مباشرة (أي دون أن يذكر عبارة «فقتل» إلخ): «وهذا يدل على أن زيدًا كان لا يكتفي بمجرد وِجدانه مكتوبًا، حتى يشهد به مَنْ تَلَقّاه سماعًا، مع كون زيد كان يحفظ، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط»[2] وفيه أيضًا عن أبي شامة المقدسي (ت٦٦٥) «وكان غرضهم (يعني الصحابة الذين كتبوا النسخة البكرية) أن لا يُكتَبَ (القرآن) إلا مِنْ عَين ما كُتِب بين يدي النبي ﷺ لا من مجرد الحفظ»[3].

☐ وقد استشعر الإمام الحارث بن أسد المحاسبي (٢٤٣هـ) – وهو من علماء الأصول والعارفين بالله – تساؤلًا هو: كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ وأجاب «لأنهم كانوا يُبْدون عن تأليف معجز، ونظم معروف، قد شاهدوا تلاوته من النبي ﷺ عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه

---

(١) كتاب المصاحف الأثر رقم ٣٣.

(٢) الإتقان (عالم الكتب) ١/ ٥٨ وجاء هذا في فتح الباري (الحلبي) ١٠/ ٣٨٨.

(٣) نفسه في المرجعين. والمرشد الوجيز ص٥٧ س٢، وفي ص٥١ س١٢ «من غير» وهو تحريف فاحش.

مأمونًا. وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفه»[1] أي فتلافي ذلك جمع أبي بكر رضي الله عنه.

٩- العرض (= المراجعة):

قال زيد بن ثابت في حكايته لخبر هذا الجمع البكري «فتتبعت القرآن أنسخه من الصحف والعسب واللخاف، وصدور الرجال ففقدت آية كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (يعني آيتي آخر سورة التوبة) فالتمستها، فوجدتها مع خزيمة بن ثابت فأثبتها في سورتها»[2] وهذا معناه أنه كان (يراجع) ما يكتب. سواء كانت تلك المراجعة تقع أوّلاً بأول وهو الأرجح، أو كانت بعد تمام كتابة القرآن كله – حسب ما يؤخذ من رواية أخرى.

وقد جاء في رواية أخرى أن الذي لحظ سقوط الآيتين المذكورتين – أول الأمر – في هذا الجمع البكري هو أبيّ بن كعب. قال أبو العالية فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أبيّ بن كعب، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة (=

---

(١) ينظر الإتقان للسيوطي النوع الثامن عشر (عالم الكتب ١/ ٥٨).

(٢) كتاب المصاحف أرقام ٢٤، ٢٥، ٢٦. وما جاء في أثر ٢٦ من سقوط آية الأحزاب (٢٣) ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ في هذا الجمع البكري هي الرواية التي اعتمدها ابن كثير في (فضائل القرآن له/ الحويني ٨٦). وسيأتي هذا. وينظر عن استدراك آيتي آخر التوبة كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد ١٥٣، و «المقنع» للداني ١٥، ١٦، و «شرح السنة» للبغوي ٥/ ٥١٤ (وقال مع خزيمة أو أبي خزيمة) و «المرشد الوجيز» لأبي شامة ٤٩ وفي فتح الباري ١٠/ ٣٨٨ (متن البخاري) أن الذي وجد معه آخر التوبة هو أبو خزيمة الأنصاري.

التوبة - ١٢٧) ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ ظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن (كذا)، فقال أُبيّ: إن رسول الله ﷺ أقرأني بعدهن آيتين ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾ إلى آخر السورة ...[1] وفي رواية ثالثة أن خزيمة بن ثابت (الذي وجدت معه الآيتان حسب ما في الرواية الأولى) هو الذي لحظ سقوط الآيتين: إذ جاء فقال إني رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما. قالوا وما هما؟ قال تلقيت من رسول الله ﷺ ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾ إلى آخر السورة.

وأقول إن الرواية الثانية جيدة من حيث احتمال الأمر ملاحظة أبيّ لذلك. فأبيّ حافظ ومشترك في اللجنة، أما الرواية الثالثة فباطلة قطعًا. لأنها تعني أن خزيمة بن ثابت كان يراجع، وأنه كان أحفظ من زيد وأبيّ معًا. وكلا الأمرين باطل. كذلك أقول إن الإمام ابن حجر رجح في فتح الباري أن اسم الذي وجد معه آخر سورة التوبة هو أبو خزيمة بالكنية وأن أبا خزيمة هو ابن أوس بن زيد ابن أصرم مشهور بكنيته دون اسمه، وقيل هو الحارث بن خزيمة»[2] لكن يلاحظ أن الروايتين المقبولتين تذكران أن مرجع استدراك الآيتين هو حفظ كل من زيد وأبيّ للآيتين تلقيًا عن الرسول ﷺ: زيد يقول: كنت أسمعها من رسول الله ﷺ، وأبيّ يقول: قد أقرأني رسول الله ﷺ تينك الآيتين.

---

(١) كتاب المصاحف أثر ٢٩.

(٢) ينظر فتح الباري (الحلبي) ١٠/ ٣٨٨ - ٣٨٩.

وهناك أمور محققة يقينية إن شاء الله وهي:

أ – هناك بعض الآيات التي كانت أُغْفِلَت وهذا أمر طبيعي في عمل ضخم كهذا. واقتصار العدد الذي تبين أنه كان قد أُغْفِل أي لم يكتب على آيتين في موضع واحد = يثبت تمامًا أن اللجنة كانت بالغة الدقة والجدية. فآيات القرآن ستة آلاف آية ومئتان وأربع آيات أو خمس وعشرون آية. ولم يكن بين أيديهم منها إلا تلك العرائض البدائية وصدور الرجال. ومع ذلك لا تُغفَل منها إلا آيتان في موضع واحد هذا أمر أشبه بالمعجزة. ولكن سره هو توفيق الله تعالى وتحقيق وعده بحفظ القرآن من الضياع ولله الفضل والمنة. وأقول إنه لو وقع هذا الجمع في زماننا هذا – مع كل إمكانياته المستحدثة - لبلغ المفقود أضعاف أضعاف ذلك، ولمَاَ استُدْرِك.

ب – كشْف الموضع الذي وقع فيه إغفالٌ واستدراك ما أغفل يقطع بوجود مراجعة. فإذا انضم إلى ذلك ما مر بنا من تقدير زيد للمسئولية، ومن اشتراطات قبولِ ما يؤْتَى به، مما يكشف عن الجدية البالغة حد الصرامة = فهذا يجعل وقوع (المراجعة) أمرًا مستيقنًا. وهنا يصبح التصريح بوجود العرض (= المراجعة) في إحدى الروايات مقبولًا وصحيحًا. وهو موجود فعلًا، ولكننا أخرناه لأن الرواية به[1] اقترنت بأمور أخرى تحتاج تصفية وتحريرًا. وسيأتي هذا.

---

(١) هي رواية عمارة بن غزية في تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٥٩ – ٦٠ وفي «مقدمتان في علوم القرآن» ٢١ – ٢٢. وقد أدرجت فيها أخبار النسخ العثماني مع الجمع البكري وفيها قول زيد «فلما فرغت عرضت عرضة» (وذكر سقوط آية الأحزاب ٢٣) «ثم عرضته عرضة أخرى» (وذكر استدراك آيتي آخر التوبة).

جـ - من الأمور التي أشرنا إليها في البند السابق القول بأن هذه الآيات عينها أو بعضها أغفلت في الجمع العثماني[1] وسيأتي موثقًا ومحقّقا أن الرواية بذلك ما هي إلا إدراج لبعض ما في الجمع البكري في قصة الجمع العثماني.

د - ومنها الخلاف في حقيقة شخصية من وجدت عنده آيتا التوبة وآية الأحزاب وحقيقة اسمه[2]. وأنا هنا آخذ بتحرير ابن حجر للأمر، وهو أن الذي وجدت معه آيتا آخر التوبة هو أبو خزيمة ثم قيل إن أبا خزيمة هذا هو ابن أوس ابن زيد بن أصرم، وقيل هو الحارث بن خزيمة. وأما الذي وجدت معه آية فاطر فهو خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين[3].

١٠ - ترتيب الآيات في سورها في الجمع البكري:

سبق أن تناولنا هذه المسألة في مبحث كتابة القرآن بين يدي النبي ﷺ، وإنما نذكرها هنا لمناسبتها لما نحن فيه أيضًا لكن مع فروق. **أولها** أن ترتيب الآيات في العصر النبوي كان منه ما هو فوري يحدد فيه ﷺ موضع الآية في سورتها عند نزولها - وهذا يحتمل أن يكون جزئيًا بمعنى أنه يقتصر فيه على بيان ما قبل الآية أو بعدها دون عرض السورة كلها مثلاً. أما الترتيب الشامل فالمرجح وقوعه في مجلس - أو مجالس - **تأليف** القرآن أي ترتيب آياته في سورها، الذي قال فيه زيد ابن ثابت «بينما نحن حول رسول الله ﷺ **نؤلف القرآن من الرقاع** ..».

---

(١) ينظر الإتقان للسيوطي النوع الثامن عشر (عالم الكتب ١/ ٥٩) وستأتي مناقشتها.

(٢) ينظر مثلاً فتح الباري ١٠/ ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٣) نفسه.

والأرجح أن هذا كان في العام أو الأعوام الأخيرة من حياته ﷺ، لتوقع نزول آيات تضم إلى السور. وفي الجمع البكري كان الترتيب شاملًا لآيات كل سورة فيها يقينًا. **الفرق الثاني** أن الترتيب البكري هو الذي بقي بين أيدي الصحابة مكتوبًا إلى أن انتسخت مصاحف عثمان من صحف أبي بكر. ويرجع إليه – توثيقًا – شطر هذا الإجماع على ترتيب الآيات في سورها. والشطر الآخر هو شهادة الصحابة على كل جزئيات الجَمْعة البكرية، إذ لم يؤثر عنهم أي خلاف حول ترتيب الآيات.

لقد أسلفنا من قبل الأدلة على أن ترتيب الآيات في سورها توقيفي: من أحاديث صريحة في تحديد مواقع الآيات في سورتها، إلى أحاديث بيان مواقع مجموعات آيات متوالية كذلك بكونها أوائل سورها أو أواخرها، إلى قراءة النبي ﷺ سورًا كاملة من المستيقن أنه ﷺ كان يقرؤها بترتيبها المعروف لنا. فنكتفي هنا بقول السيوطي «الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك. أما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي «في البرهان» وأبو جعفر بن الزبير في «مناسباته» وعبارته «ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين» .. «وقال ابن الحصار: «.. ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي. كان رسول الله ﷺ يقول: «ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف»[1].

---

(١) الإتقان النوع ١٨ (عالم الكتب ١/ ٦٠ – ٦٢).

١١- المادة التي جمع فيها القرآن في عهد الصديق ﷺ كانت القراطيس أو الصحف. وقد جاء التعبير بهذا في كل الروايات الصحيحة عن الزُّهري عن عُبيد ابن السباق وعن سالم وخارجة، وعن أنس (١٢ رواية)، وعبّر محمد بن سيرين بالرَّبْعة[١]، وما جاء أن الجمع كان في قطع العسيب والأَدَم فهو من روايتي مُصعَب بن سعد وعُمارة بن غزية وسيأتي بيان أوهامهما.

١٢- استغرق الجمع البكري هذا ما يقرب من سنة - «فقد كان هذا الجمع بين غزوة اليمامة التي وقعت في الأشهر الأخيرة من السنة الحادية عشرة أو الأولى من السنة الثانية عشرة، وبدأ الجمع بعدها، وبين وفاة الصديق ﷺ التي كانت في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة. ولا شك أنه اكتمل قبل وفاة الصديق ﷺ، إذ إن الروايات تذكر أن الصحف أُودِعَتْ عنده بقية حياته، ثم انتقلت إلى الخليفة الجديد من بعده، ثم إلى السيدة حفصة ابنته أم المؤمنين رضي الله عنها. حتى طلبها سيدنا عثمان فنسخ منها المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار»[٢].

*****

(١) ينظر صحيح البخاري / فضائل القرآن / ب ٣ جمع القرآن / ٤٩٨٦ وكتاب المصاحف ١٤ - ١٦، ٢٦ - ٢٨، ٣١ - ٣٣، والفضائل لأبي عبيد ١٥٣ - ١٥٤ والطبري (شاكر) ١/ ٦٢ - أثر ٦٢ والإتقان (عالم الكتب) ١/ ٥٩.

(٢) رسم المصحف: غانم قدوري الحمد ١٠٦.

(ب) ترتيب السور

المقصود بترتيب السور هنا هو ترتيبها في المصحف أي كون سورة آل عمران بعد سورة البقرة، وسورة النساء بعد سورة آل عمران وهكذا.

وقد كاد الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١) يكفينا مئونة استخلاص الرأي في هذا الموضوع. فبعد أن ذكر في الفصل الذي عقده لمسألة ترتيب الآيات في سورها أن «الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك» ثم استوفى الكلام في المسألة[1]، قال في أول الفصل التالي «وأما ترتيب السور فهل هو توفيقي أيضًا أو باجتهاد من الصحابة: خلاف. **فجمهور العلماء على الثاني**»[2] **(أي على أن ترتيب السور في المصحف** وقع باجتهاد من الصحابة). ثم ذكر السيوطي من ذلك الجمهور الإمامَ مالكَ بنَ أنس إمام المذهب (ت١٧٩هـ) والقاضيَ أبا بكر محمدَ بنَ الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، والإمام ابن فارس (لعله علي بن محمد بن علي بن فارس) صاحب كتاب الجامع في القراءات – ت نحو ٤٥٠). ومما استُدلّ به لهذا الرأي اختلافُ مصاحف بعض الصحابة في ترتيب السور. فكان مصحف عليّ ﷺ أوله سورة «اقرأ» (العلق) ثم «المدثر» ثم «ن» ثم «المزمل» ثم «تبت» ثم «التكوير» .. وهكذا إلى آخر المكي والمدني، وكان أول مصحف ابن مسعود «البقرة» ثم «النساء» ثم «آل عمران» .. على اختلاف شديد. وكذا مصحف أبيّ وغيره»[3] وهو دليل جيد.

---

(١) ينظر «الإتقان» النوع الثامن عشر (عالم الكتب ١/ ٦٠).

(٢) ينظر السابق نفسه ١/ ٦٢. وفضائل القرآن لابن كثير (الحويني) ١٤٢ – ١٤٥.

(٣) الإتقان ١/ ٦٢.

□ وذهب إلى أن ذلك الترتيب كان توقيفيًا جماعة منهم القاضي أبو بكر في أحد قوليه، وأبو بكر بن الأنباري (٣٢٨هـ) والكِرماني (محمود بن حمزة ت بعد ٥٠٠هـ) والطِيبي (الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين ت ٧٤٣هـ)[1] ولم يقدم هؤلاء ما يصلح أن يكون دليلًا لهم إلا عرض النبي ﷺ القرآن على جبريل كل عام، والعرض لا يلزم منه ضرورة الترتيب، لأن السور وحدات مستقلة يمكن أن تعرض كل منها قبل الأخرى أو بعدها.

□ ثم قال السيوطي إن الزركشي (محمد بن بهادر ٧٩٤هـ) قال في كتابه البرهان إن الخلاف لفظي، لأن القائل بأن ترتيب السور وقع باجتهاد من الصحابة يقول إنه رمز إليهم ذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال مالك «إنما أَلَّفُوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ» - مع قوله بأن ترتيب السور كان باجتهاد منهم. قال السيوطي: وسبق الزركشي إلى مثل هذا الرأي أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (ابن الزبير) (٧٠٨هـ). ونقول إن ترتيب سورة بالنسبة لأخرى أخذًا من رمز يتمثل في دوام قراءة سورة بعينها بعد سورة أخرى بعينها إذا قرئتا معًا، يمكن أن يؤخذ منه الترتيب بينهما؛ لكن هذا لا يعم المصحف كله.

□ ثم نقل السيوطي عن الإمام البيهقي (أحمد بن الحسين - ت٤٥٨هـ) قوله في كتابه «المدخل» إن القرآن كان على عهد النبي ﷺ مرتبًا سوره وآياته على هذا الترتيب، إلا «الأنفال» و «براءة» لحديث عثمان السابق»[2] (يعني سؤال ابن

---

(١) نفسه.

(٢) كلام البيهقي في الإتقان عالم الكتب ١/ ٦٢ وسؤال ابن عباس عثمان فيه ١/ ٦٠.

عباس عثمان ﷺ عن قَرْن «الأنفال»، «بالتوبة» دون بسملة، وإجابة عثمان بأنهما متشابهتان أي في ذكر القتال، وأن الرسول ﷺ لم يبين أمرهما). وكلام البيهقي يعوزه الدليل أيضًا.

وأخيرًا قال السيوطي إن الإمام أبا محمد عبد الحق بن عطية (٤٥٤هـ) مال إلى أن كثيرًا من السور كان قد عُلِم ترتيبها في حياته ﷺ كالسبع الطوال، والحواميم، والمفصل، وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون النبي ﷺ قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده. وأضاف أبو جعفر بن الزبير أن الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية، وأنه يبقى قليل من السور يمكن أن يجرى فيه الخلاف. وذكر أبو جعفر من أمثلة تلك الآثار قوله ﷺ اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران – رواه مسلم، وكحديث سعيد بن خالد: قرأ ﷺ بالسبع الطوال في ركعة – رواه بن أبي شيبة في مصنفه، وفيه أنه عليه الصلاة والسلام «كان يجمع المفصل (= قصار السور من أول سورة (ق) أو قبلها أو بعدها) – إلى آخر القرآن الكريم في ركعة» وأنه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيها فقرأ «قل هو الله أحد» و «المعوذتين» اهـ. ووجه الاحتجاج بهذه الأحاديث أن المفروض أن «السبع» و «المفصل» كان ﷺ يقرؤهما بنفس ترتيبهما المعروف لنا في المصحف، ومع أن سياق الكلام يشهد لذلك إلا أنه ليس حاسمًا، فإنه يصدق بمجموع «السبع» و «المفصل» دون الترتيب الداخلي.

ومع ذلك فإنا نأخذ بقوام رأى ابن عطية وهو أن كثيرًا من السور كان قد عُلِم ترتيبها بعضها مع بعض في حياته ﷺ، وأن ما سوى ذلك فُوِّض الأمر فيه

إلى أمته ﷺ. أما الكلام عن أن القرآن الكريم هو في اللوح المحفوظ بترتيب سوره حسب ما في المصحف الذي بين أيدينا كما صرح الكرماني، والطيبي فتسور على الغيب بلا دليل قاطع حاسم يجعلنا ننظمه ضمن ما يجب أن يعتقده المسلم.

(حاشية بمناسبة الكلام عن المادة التي كتب فيها القرآن في عهد أبي بكر):

«كانت الكتابة وقفًا على الرَّق (جلد رقيق يكتب فيه) وألوان أخرى من العظام والعسب والأحجار. وكانت مصر هي المصدر الأول للبردي، تصنع منه القراطيس والطوامير، ويكون طول الواحد ثلاثين ذراعًا وأكثر، في عرض شبر. وظلت مصر لمدة طويلة من الزمن تورد الورق البردي. وكان يسمى القراطيس أخذًا من الكلمة اليونانية Chartes أو من اللاتينية في صيغة الجمع Chartas. لكن ورق البردي مهما كانت سبل تيسيره فإنه لم يكن يتأتى لكل الناس الحصول عليه.

وكان الصينيون في القديم أول من ابتدع الورق المعروف في زمننا هذا ومهر في صناعته. ولما فتح قتيبة بن مسلم سمرقند عام (٩٤هـ = ٧١٢م) وجدوا بها مصنعًا للورق إنتاجه أجمل وأرخص مما كانوا يكتبون عليه في بلادهم، فأبقوا عليه، وأقاموا معه مصنعًا آخر بمساعدة أهل سمرقند عام (١٣٤هـ = ٧٥١م). وربما كانت الكلمة «كاغد» التي أطلقها المسلمون على الورق الذي تنتجه تلك المصانع هي من أصل صيني دخلت اللغة العربية مباشرة، أو عن طريق اللغة الفارسية.

وعلى غرار مصنع سمرقند أنشئ أول مصنع للورق في بغداد عام (١٧٨هـ = ٧٩٤م)، وحل الورق محل الرقّ في مكاتب الدولة. وأخذت مصانع الورق تنتشر في بقية أنحاء الإمبراطورية الإسلامية. فكان لمصر مصنعها الخاص بها أقيم قريبًا من عام (٢٨٧هـ = ٩٠٠م)، ولمراكش مصنعها حوالي عام (٤٩٤هـ = ١١٠٠م)، وللأندلس مصنعها الذي أسس في شاطبة Jatiba قريبًا من هذا التاريخ، وكان هذا أول مصنع للورق يؤسس في

أرض أوربية. ومع بداية عصر النهضة الأوربية اقتبست دول الغرب صناعة الورق من العرب. فعن طريق الأندلس انتقل إلى فرنسا، وعن طريق صقلية الإسلامية انتقل إلى إيطاليا. وعنهما انتشر في بقية أنحاء أوربا. ويمكن القول مع كثير من الترجيح أن صناعة ورق البردي للكتابة قد توقفت في مصر حوالي منتصف القرن العاشر الميلادي - الرابع الهجري[1] اهـ.

ثم أضيف: ومن هنا نفهم ما جاء في بعض الروايات أن القرآن كتب في عهد أبي بكر في صحيفة واحدة. إذ إن الثلاثين ذراعًا تبلغ (٣٠× ٠.٦٤) = ١٩.٢٠م تسعة عشر مترًا وعشرين سنتيمتر في عرض نحو ٢٤سم، تطوي لفًّا كما يُلَفّ الشريط على البكرة. وصفحة الكتابة في زمننا هذا أقل من عشرين سم وعرض الكتابة أقل من اثني عشر سم أي أن الطومار الذي طوله ثلاثون ذراعًا يساوي نحو مئة وثمانين صفحة من صفحات كتب عصرنا. فكتابة القرآن في قرطاس واحد أمر ممكن جدًّا، كما أنه يمكن كتابة المصحف في قرطاس ونصف مثلًا ونقول صحيفة واحدة تجاوزًا.

أما الرواية المشهورة (الصحيحة) أنه كُتِب في صحف فلا إشكال فيها. كذلك نفهم معنى قولهم الربعة لأن الربعة صندوق كانت توضع فيه «الفافة» المصحف الشريف.



---

(١) هذه الحاشية كلها من كتاب دراسة في مصادر الأدب د. الطاهر أحمد مكي ط٦ ص٥٤ – ٥٥ بتصرف في ترتيب الكلام.

الفصل الثالث

النسخ العثماني

نسخ القرآن الكريم في مصاحف في عهد عثمان ﷺ:

مضت سنون بعد جمع أبي بكر ﷺ القرآن في صحف – وقد قلنا إن ذلك الجمع اشتمل على ما سُمِع من رسول الله ﷺ، وكُتِب بين يديه على العرائض أي المواد ذات السطوح العريضة. وبذلك الجمع اطمأن أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما على حفظ نص القرآن. لكنّ الخليفة الأول لم يُصْدِر أمرا بالتزام قراءة ما: القراءة بها يوافق صحفه مثلًا، ولا بترك قراءةٍ ما. فقد كانت هناك قراءات منذ عهد رسول الله ﷺ، إذ كانت هناك رخصة الأحرف السبعة وهي تعطي قراءات مختلفة مثل «وكتابه» مقابل «وكتبه»، ومثل «أسرى» مقابل «أسارى»، ومثل «فأزلهما» «فأزالهما»، ومثل «وأوصى» «ووصى». هذا، بالإضافة إلى الأداء اللهجي، وإلى سنن العرب في كلامها – وهي ملحقة بالأداء اللهجي، واختلاف الإعراب - وهو ملحق بسنن العرب في كلامها. أي أن روافد اختلاف القراءات التي كانت في عهده ﷺ ظلت موجودة بعد المصحف البكري – مع فارق بالغ الأهمية هو غياب ذاته الشريفة ﷺ، وهو كان المرجعية العظمى الكفيلة بإطفاء الاختلاف.

وفي رواية تصور الاختلاف، وتعيّن اثنين من أقطابه: عبد الله بن مسعود وأبا موسى الأشعري: جاء عن يزيد بن معاوية النخعي الكوفي: إني لفى المسجد

(أي مسجد الكوفة) زمن (ولاية) الوليد بن عقبة (على الكوفة ٢٥ - ٣٠هـ في خلافة عثمان) في حلقة فيها حذيفة قال: وليس إذ ذاك حَجَزة ولا جَلاوزة - إذ هتف هاتف: من كان يقرأ على قراءة أبي موسى فليأت الزاوية (= الركن أو الجانب من المسجد) التي عند أبواب كندة، ومن كان يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود فليأت هذه الزاوية التي عند دار عبد الله. واختلفا في آية من سورة البقرة: قرأ هذا «وأتِمّوا الحجَّ والعمرةَ للبيت» وقرأ هذا «وأتموا الحجَّ والعمرة لله». فغضب حذيفة واحمرت عيناه ثم قال: فغرز قميصه في حُجْزته وهو في المسجد. وذاك في زمن عثمان فقال إما أن يُرْكَبَ إلى أمير المؤمنين وإما أن أَرْكب، فهكذا كان مَنْ قَبْلَكم. ثم أقبل فجلس»[1].

ويبدو أن حذيفة بن اليمان ﷺ (ت٣٦هـ) - الذي خصه رسول الله ﷺ بمعرفة المنافقين - كان هو صاحب القِدْح المُعَلَّى في ملاحظةِ ذلك الاختلاف في القراءات، وخَطَرِه، والتنبيهِ إليه. فقد رُوِي عن أبي الشعثاء المحاربي أن حذيفة قال: يقول أهل الكوفة «قراءة عبد الله» (بن مسعود)، ويقول أهل البصرة «قراءة أبي موسى»! والله لئن قَدِمتُ على أمير المؤمنين لأمرته أن يغرقها ..[2] وقد بلغت المقالة عبد الله بن مسعود فغضب. رُوِيَ عن حُصَين عن مُرّة قال «ذُكِر لي أن عبد الله (بن مسعود) وحذيفة (بن اليمان) وأبا موسى (الأشعري) (جالسون)

---

(١) كتاب المصاحف رقم ٣٨ ومعنى ثم أقبل فجلس أنه لم يذهب في هذه المرة إلى أمير المؤمنين لعله ظن أن الاختلاف قد يتلاشى.

(٢) نفسه رقم ٤٦ والمعنى أن أهل البصرة يفضلون قراءة أبي موسى وأهل الكوفة يفضلون قراءة ابن مسعود. وقد عبر حذيفة بإغراقها عن غسلها - أي محوها.

فوق بيت أبي موسى فأتيتهم. فقال عبدُ الله لحذيفة: أَمَا إنه قد بلغني أنك صاحب الحديث. (يعني قوله «لئن قدمت على أمير المؤمنين ...») قال: أجَلْ. كِرهتُ أن يقال قراءةُ فلان وقراءة فلان، فيختلفون كما اختلف أهل الكتاب. قال مُرَّة: وأقيمت الصلاة فقيل لعبد الله: تقدم صلِّ، فأبى، فقيل لحذيفة: تقدم فأبى. فقيل لأبي موسى تقدم فإنك رب البيت»[1].

وهناك رواية أخرى تشير إلى صحابة آخرين أئمة في القراءة – لعلهم كانوا في المدينة (وكان عبد الله في الكوفة وأبو موسى في البصرة كما مرّ) عن مصعب بن سعد قال: قام عثمان فخطب في الناس فقال: أيها الناس: عهدُكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة (سنة) وأنتم تمترون في القرآن وتقولون: قراءة أُبَيّ وقراءة عبد الله، يقول الرجل (منكم لصاحبه) والله ما تُقِيم قراءتك»[2] وفي رواية أخرى لنفس الخبر ونفس الراوي تضيف: (قراءة) «معاذ»[3].

وتصف رواية أخرى مستوىً آخر للتنازع بناء على الاختلاف في القراءات. عن أيوب عن أبي قلابة قال: «لما كان في خلافة عثمان جعل المعلِّم يُعَلّم قراءة الرجل» (أي عبد الله بن مسعود مثلًا)، والمعلم (الآخر) يعلم قراءة الرجل (الآخر: أبي موسى مثلًا) فجعل الغِلمانُ يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلِّمين. قال أيوب لا أعلمه إلا قال: حتى كفَر بعضهم بقراءة بعض. فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبًا فقال: أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون، فمن نأى عني

---

(١) نفسه ٢١.

(٢) كتاب المصاحف رقم ٨٢.

(٣) نفسه أرقام ٧٤، ٨٠، ٨٣ وفيها «إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة».

من الأمصار أشد فيه اختلافًا وأشد لحنًا. اجتمعوا يا أصحاب محمد، واكتبوا للناس إمامًا»[1].

وفي ميدان آخر وقع التنازع بسبب اختلاف القراءات أيضًا. ففي فتح أرمينية وأذربيجان اجتمع جنود المسلمين من أهل الشام الذين يقرءون بقراءة أبي بن كعب، ومن أهل العراق الذين يقرءون بقراءة ابن مسعود[2] «فتذاكروا القرآن فاختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة. قال (أنس بن مالك راوي هذا الخبر) فركب حذيفة بن اليمان لما رأى من اختلافهم في القرآن إلى عثمان فقال: إن الناس قد اختلفوا في القرآن، حتى والله لأخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف. قال ففزع عثمان لذلك فزعًا شديدًا»[3].

فالذي يبدو أن أمر اختلاف الناس وتلاحيهم بسبب اختلاف القراءات استمر زمنًا لحظ فيه أمير المؤمنين عثمان ذلك – حسب ما مضى من خبر اختلاف المتعلمين والمعلمين، ولكنه لم يقرر مواجهة الأمر إلا بعد أن أحس خطورته بما أبلغه حذيفة إياه من اختلاف الجنود.

---

(١) كتاب المصاحف رقم ٧٤.

(٢) هذه الجزئية في تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٦٠ وينظر في (المصاحف) رقم ٧٢.

(٣) كتاب المصاحف رقم ٧٢، والخبر نفسه باختلاف طفيف في كتاب المصاحف أيضًا برقم ٦٧، ٧٠، ٧٢، ٧٤، وفي البخاري (فتح الباري/ الحلبي) ١٠/ ٣٩٠ – ٣٩٢ وفي فضائل القرآن لأبي عبيد ١٥٣ والوجيز في فضائل الكتاب العزيز للقرطبي ١٦٦ – ١٦٧ والإتقان النوع ١٨.

مشاورة عثمان الصحابة في نسخ مصاحف موحدة للأمصار لتوحيد القراءة أو القراءات:

لما قرر سيدنا عثمان ﷺ مواجهة هذا الأمر استشار المسلمين. وهذه الاستشارة ثابتة في روايات كثيرة صحيحة. من أوثقها وأخصرها أيضًا ما رواه سُوَيد بن غفلة من قول سيدنا عليّ – ردًّا على الذين شنّعوا على سيدنا عثمان حينما أمر بإحراق المصاحف المخالفة لِما جَمع المسلمين عليه – فقال عليّ «يا أيها الناس لا تَغْلُوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فَعَل الذي فَعَل في المصاحف (أي كتابة عدة نسخ من القرآن الكريم موحدة القراءة، ثم توزيعها على الأمصار **وإحراق ما يخالفها**) إلا عن مَلَأ (علانية ومشاورة وتأييد) مِنّا جميعًا. قال (أي عثمان) ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرًا. قلنا فما ترى؟ قال نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف. قلنا: فنِعمَ ما رأيت»[1] وقد حكم السيوطي بصحة هذا الخبر[2] وجاء ما فيه من معنى المشاورة في أكثر من مصدر[3] ومعنى قوله «أنْ نجمع الناس على مصحف واحد» أن يُجْمَعوا على قراءة واحدة بأن تكون المصاحف التي بأيديهم متماثلة الرسم، وحينئذ يتسنَّى إلزامُهم بقراءة

---

(١) كتاب المصاحف رقم ٧٧.

(٢) ذكر الخبر في الإتقان النوع ١٨ (عالم الكتب – ١/ ٥٩) وقال عنه إنه بسند صحيح.

(٣) الخبر بمعناه ذكر أيضًا في المرشد الوجيز لأبي شامة ٥٤، ٦٠، ٦٤ تصريحًا بلفظ المشاورة و٦٨ تصريحًا كذلك. وخبر المشاورة كذلك في الوجيز للقرطبي ١٦٧.

واحدة. وواضح أن هذا يقتضي كتابة عدة مصاحف موحدة وإتاحتها للناس. وهو ما وقع فعلًا. وقد جاءت معاني تفسيرنا هذا في روايتين أخريين للمشاورة إحداهما عن سويد بن غفلة عن علي كرم الله وجهه قال: اختلف الناس في القراءة على عهد عثمان فجعل الرجل يقول للرجل قراءتي خير من قراءتك. فبلغ ذلك عثمان، فجمعَنا – أصحابَ رسول الله ﷺ – فقال: إن الناس قد اختلفوا اليوم في القراءة وأنتم بين ظهرانَيهم. فقد رأيت أن أجمع الناس على قراءة واحدة. قال (علي) فأجمع رأينا معه على ذلك. أخرجه البيهقي في المدخل[1]. والأخرى عن أسلم مولي عمر وفيها بعد ذكر المشاورة «فرأَوْا أن يجمعوه في مصحف واحد، ثم يفرّق في البلاد مصحفًا مصحفًا، ثم تُحْرَق سائر المصاحف»[2].

وهكذا تقرر توحيد القراءات بمعنى ضبطها وحصر انتشارها وتسيُّبها، وذلك بكتابة مصاحف (رسمية) متماثلة الرسم، وإلزام الجميع بها.

وسيتبين – بعد – أن توحيد المصاحف هذا كان أساسه – حسب ما جرى واقعًا – ما يلي:

أ – أن تنتسخ المصاحف العثمانية من نسخة أبي بكر، فتكون مطابقة لها – وقد تم هذا، فلم تختلف إلا في كلمات محدودة. وزعت في المصاحف التي كُتبت.

ب – أن تضم لجنة نسخ المصاحف العثمانية من يضمن وجودُهم فيها صحة القراءة رواية، بأن يكون بعضهم حافظين للقرآن بالتلقي، أثباتًا، وسلامتها

---

(١) المرشد الوجيز لأبي شامة ٥٤.

(٢) نفسه ص٦٤.

عربية – بأن يكون منهم من عُرِف بالفصاحة التامة، وسلامته رسمًا أي كتابة وخطًّا – بأن يكون منهم من عرف الكتابة – أي خط رموز الكلام، وتمرس بها.

جـ – أن تضم قرشيين يعملون ويتعاملون بلغة قريش – أي لهجتها – سليقة. ليضبطوا ما يختلف رسمه تبعًا لأدائه فيجعلوا رسمه على اللغة القرشية – كما حدث في كلمة «التابوت» وفي رسم الهمزات المخففة ونحو ذلك.

د – ألا يضم الرسم من الأحرف السبعة إلا ما يحتمله رسم المنزل الذي سبق أن كُتب في صحف أبي بكر أخذًا مما كتب بين يدي النبي ﷺ وأقرأه أصحابه. ويشترط وثاقة سند ذلك الذي ضُمّ من السبعة.

هـ – أن يُصْحب كل مصحف يرسَل إلى مِصْرٍ بقارئ يضبط لأهل ذلك المصر الأداء، حيث لم تكن المصاحف منقوطة الحروف ولا مشكولة. فكان عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن أبي شهاب مع المصحف الشامي، وأبو عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي، وعامر بن عبد قيس مع المصحف البصري. وأُمِر زيد بن ثابت أن يقرئ الناس بالمدينة [1].

«المصاحف العثمانية كتبت انتساخًا من صحف أبي بكر – لا من الرقاع وما إليها»:

هذا المبحث له أهمية خاصة، لأنه يتناول بيان الرواية الصحيحة من روايتين تحددان المادة التي انتسخت منها المصاحف **العثمانية**. فقد جاء في إحدى الروايتين أن تلك المادة كانت العُسُب واللخاف والرقاع .. والأكتاف وما إلى

---

(١) تاريخ القرآن وغرائب رسمه. محمد طاهر بن عبد القادر الكردي (ط٢) ٨٠.

ذلك، وأنها كانت متفرقة عند الناس على هذه الصورة، وأن عثمان ﷺ أمر بجمعها، وكان يستحلف كل من أتاه بقطعة من تلك القطع فيها قرآن أنه سمع ذلك من رسول الله ﷺ، وأنه الذي أملاه عليه. وبعد ذلك أمر عثمان بكتابة ذلك في المصاحف. وأشهر راويي خبر المصاحف العثمانية بهذه الصورة هو عمارة بن غزية الأنصاري ت١٤٠هـ. وإذا كان الخبراء بروايات الحديث الشريف والأخبار يسهل عليهم – إذا درسوا روايات خبر المصاحف العثمانية – أن يتبينوا ما في هذه الرواية من أوهام أهمها هنا ما يسمونه الإدراج أي إدخال وقائع خبر ضمن وقائع خبر آخر، فإن جمهور الدارسين لا يتضح لهم هذا. ويظلون حائرين بين الروايات، ويخرج الدارس بأن المسألة فيها قولان. وترك الأمر على هذا الموقف تقصير في حق الجمهور وإساءة إلى التراث.

ولنبدأ المبحث من أوله:

عرفنا من قبل أن الصحف التي كتبت في الجمع البكري للقرآن بقيت عند أبي بكر حتى توفى، ثم عند عمر – حتى توفى، ثم عند أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر – ﷺ جميعًا. وقد جاء في صحيح البخاري عن ابن شهاب الزهري عن عبيد بن السباق وعن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان لما أبلغ عثمانَ بتنازع الجنود بسبب اختلاف قراءاتهم «أرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك»، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيدَ بن ثابت وعبدَ الله بن الزبير، وسعيدَ بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف ... حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أُفُق بمصحف مما

نسخوا. وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحْرق» (وفي رواية أن السيدة حفصة امتنعت من إرسال الصحف حتى تعهَّد عثمان بردها إليها)[1] والمستدرك في رواية عبيد بن السباق هو آية التوبة. ثم أورد البخاري عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد استدراكه آية من سورة الأحزاب كانت طُفِرَت في الجمع البكري [2]. والرواية التي تذكر أن جمع القرآن من الأكتاف واللخاف كان في الجمع البكري هي التي وردت في صحيح البخاري وفتح الباري، وكذا في فضائل القرآن لأبي عبيد. وقد جاءت مع الرواية الأخرى في كتاب المصاحف[3]، وفي المرشد الوجيز لأبي شامة[4]، وقريب من هذا ما جاء في الإتقان للسيوطي[5]. لكن المهم أن رواية انتساخ مصاحف عثمان من صُحف

---

(١) الحديث في صحيح البخاري (الشعب) فضائل القرآن / ب ٣ جمع القرآن / ٤٩٨٦، وفتح الباري ١٠/ ٣٩٢ – ٣٩٥ وفضائل القرآن لأبي عبيد ١٥٣ – ١٥٤. وامتناع السيدة حفصة أن تسلم مصحف أبي بكر إلى عثمان إلا بعد تعهده بإرجاعه في «كتاب المصاحف» رقم ٣٠ وفي كتاب «مقدمتان في علوم القرآن» ص٢٢، وشطر هذا الخبر في تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٦١ والخطب سهل.

(٢) ينظر صحيح البخاري / فضائل القرآن / ب ٣/ ٤٩٨٨، فتح الباري ٢/ ٣٩٦.

(٣) ينظر المصاحف أرقام ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠. وكون الجمع من الأكتاف كان في الجمع العثماني جاء في الأثر رقم ٣٣، ٨٢، ٨٣.

(٤) المرشد الوجيز ٤٨ – ٥١ ورواية عمارة بن غزية فيه ٥٧ – ٥٨ وص٥٩ وص٦٥.

(٥) الذي في الإتقان (عالم الكتب) ١/ ٥٩ روايةُ البخاري - وهي المعتمدة، وتضعيفُ ابن حجر رواية عمارة بن غزية بأنها خلاف الأخبار الصحيحة المترادفة. وفيه أيضًا أن الذي فقد هو ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ.... ﴾ ثم وجدوها مع خزيمة بن ثابت، ورواية أنهم اجتمعوا ليكتبوا مصاحف عثمان «فكانوا إذا تداروا في آية قالوا:هذه أقرأها رسولُ الله =

أبي بكر جاءت في روايات أخرى عن محمد بن سيرين (١١٠هـ) وعن كثير بن أفلح (٦٣هـ) وعن أسلم مولى عمر[1] وذلك بالإضافة للروايات بذلك عن أنس بن مالك. والرواية تعني – كما هو واضح – أن المصدر المكتوب للمادة القرآنية التي في المصاحف العثمانية هو الصحف البكرية التي انتُسخت المصاحف منها وليس العرائض من الأدم وغيره.

ب – وأما الرواية الأخرى فقد جاء في كتاب المصاحف عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص (ت١٠٣هـ) قال: قام عثمان (أي لمّا بلغه التنازع بسبب اختلاف القراءة) فخطب الناس فقال: «أيها الناس. عهدُكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة (سنة) وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون «قراءة» «عبد الله»، وقراءة أبيّ، (و) يقول الرجل (للرجل): واللهِ ما تقيم قراءتك. فأعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لمّا جاء به». وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جُمع من ذلك كثرة. ثم دخل عثمان فدعاهم رجلًا رجلًا فناشدهم «لَسَمِعْتَ رسولَ الله ﷺ (أي سمعته يقرأ هذا الذي جئتَ به)، وهو أملاه عليك؟» فيقول: نعم. فلما فرغ عثمان من ذلك قال: مَنْ أكتبُ الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت. قال: فأيُّ الناس أَعْرَبُ؟ قالوا: سعيد بن

= فلانًا ، فيرسل إليه»، وهذه قد تعني أنهم استأنفوا جمع القرآن مثل جمع أبي بكر. ورواية انتظار فلان هذه في المصاحف برقم ٧٥، ٨٨، ٨٩، وسيأتي هذا.

(١) كتاب المصاحف رقم ٨٩ (عن ابن سيرين وكثير بن أفلح/ والمرشد الوجيز ٦٠ (عن ابن سيرين).

العاص. قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد»[1] وهناك رواية أخرى عن مصعب أيضًا وفيها أن عثمان سمع (قول الناس) قراءة أُبَيّ، وعبد الله، ومعاذ. وأنه خطب فعزم على «من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله ﷺ لما أتاني به» فجعل الرجل يأتيه باللوح، والكتف، والعسيب فيه الكتاب (= الكتابة) ثم ذكر المناشدة، ثم السؤال عن أفصح الناس وأكتبهم الخ[2].

ومصعب بن سعد موثق، ولكنه لم يسمع من عثمان وقد نُبّه على ذلك في ترجمته [3] وليس في «كتاب المصاحف» ما يثبت سماعه منه [4] وقد لاحظ أبو شامة أن ذكر «معاذ» هنا – حسب الرواية الثانية فيه نظر، لأن معاذًا توفى في طاعون عمواس سنة ١٨هـ [5] ولاحظ البيهقي على رواية مصعب:

أ – أن هناك انقطاعًا بين مصعب وعثمان.

ب – أن التأليف (أي ضم آيات كل سورة بعضها إلى بعض) كان في زمن النبي ﷺ، وأن الجمع في الصحف كان في زمن أبي بكر، وأن النَّسْخ في المصاحف كان في زمن عثمان (يعني البيهقي بهذا أن روايته هذه الأمور الثلاثة عن زيد بن ثابت هي الصحيحة وأن رواية مُصعب بن سعد ليست دقيقة).

جـ – قال «وكان ما يجمعون وينسخون معلومًا لهم، فلم يكن به حاجة إلى

---

(١) كتاب المصاحف الأثر رقم ٨٢.

(٢) نفسه الأثر رقم ٨٣.

(٣) ينظر تهذيب التهذيب ١٠/ ١٦٠.

(٤) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب إن في كتاب المصاحف ما يدل على صحة سماع مصعب من عثمان. وقد استعرضت كتاب المصاحف فلم أجد فيه تصريحًا بهذا السماع ولا ما يقضي به.

(٥) ينظر المرشد الوجيز لأبي شامة (تحـ طيار آلتي) ٥٨.

مسألة البينة»[1] (والبيهقي يعني بهذا الكلام الأخير أن الكلام عن استحضار الرقاع وطلب البَيِّنة على السماع ليس لهما موضع في قصة النسخ العثمانية. وهذا كله يعني أن البيهقي لا يقبل رواية مصعب. والبيهقي إمام في الحديث وكلامه حجة. وقد أيد أبو شامة هذا الذي نقلناه عن البيهقي[2]. ويصدق كلام البيهقي أن هناك رواية صحيحة عن عَلِيّ بشأن مشاورة عثمان الناس هذه ليس فيها استجلاب القرآن من **الرقاع** والعسب .... ولا المناشدة[3].

فرواية مصعب هذه لا يعتدّ بها لأنها غير دقيقة وتهوش على الصورة الصحيحة للنسخ العثماني.

كذلك جاءت في تفسير **الطبري** عن عمارة بن غزية عن ابن شهاب الزهري عن خارجة بن زيد عن أبيه رواية تجمع خبر المصحف البكري والنسخ العثمانية وفيها – **بالنسبة لمصحف أبي بكر**

أ – «قال زيد فأمرني أبو بكر فكتبته في قِطَع الأديم وكِسَر الأكتاف والعُسُب».

ب – «فلما هلك» أبو بكر وكان عمر، كتب ذلك في صحيفة واحدة، فكانت عنده ...».

---

(١) كلام البيهقي في المرشد الوجيز ٥٩ – ومحاولة أبي شامة الرد على البيهقي هنا تراجع عنها بعد – ينظر التعليق الآتي.

(٢) قال في ص٧٥ من كتابه هذا نفسه «وأما ما روى أن عثمان جمع القرآن أيضًا من الرقاع كما فعل أبو بكر فرواية لم تثبت، ولم يكن له إلى ذلك حاجة، وقد كُفِيَه بغيره. فالاعتماد على ما قدمناه أول الباب من حديث صحيح البخاري. وإنما ذكرنا ما بعده زيادةً كالشرح له، وجمعًا لما روي في ذلك» ثم أخذ يذكر تأويلات للرواية التي رفضها.

(٣) رواية عليّ هذه في كتاب المصاحف رقم ٧٧ عن سويد عنه.

وبشأن النسخ العثمانية:

جـ - قول زيد «فأمرني عثمان بن عفان أن أكتب له مصحفًا».

د - «وقال إني مدخل معك رجلاً لبيبًا فصيحًا .. فجعل معه أَبان بن سعيد».

وبشأن مراجعة زيد النسخ العثمانية مرتين.

هـ - ذكر خبر استدراك آية الأحزاب «من المؤمنين رجال صدقوا ..» بوجودها عند خزيمة بن ثابت، وآيتي آخر سورة التوبة «لقد جاءكم رسول ..» بوجودهما «مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضًا».

و - وذلك بعد أن حكى قول زيد في كُلٍّ من العرضتين «فاستعرضت المهاجرين «أسألهم عنها» فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم».

ز - وقال عن آيتي آخر التوبة - حاكيًا عن زيد أيضًا «فأثبتُّها في آخر التوبة، ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة» ثم ذكر خبر عرض زيد القرآن عرضة ثالثة فلم يجد فيه شيئًا (يعني نقصًا أو نحوه).

ح - قال «ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة، وحلف لها لَيَرُدَّنَّها إليها. فأعطته إياها، فعرض المصحف عليها، فلم يختلفا في شيء. فردها إليها وطابت نفسه».

ط - «وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف».

ى - «فلما ماتت حفصةُ أرسلَ إلى عبد الله بن عمر في الصحيفة بعزمة فأعطاهم إياها (ك) فغُسِلت غسلا»[(١)].

(١) تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٥٩ - ٦١.

وروایة عمارة بن غزية هذه أشار إليها ابن حجر في فتح الباري فقال «وأغرب عمارة بن غزية فرواه عن الزهري .. وساق القصص الثلاث بطولها: قصة زيد مع أبي بكر وعمر، ثم قصة حذيفة مع عثمان أيضًا، ثم قصة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب – أخرجه الطبري» ثم قال ابن حجر: وبيّن الخطيب في «المدرج» أن ذلك وَهْمٌ منه، وأنه أدرج بعض الأسانيد على بعض»[1] وأشار ابن حجر إلى إدراج ثان بشأن مصير صحيفة أبي بكر التي كانت عند حفصة[2] وإلى إدراج ثالث بشأن المادة التي كتب فيها مصحف أبي بكر. فجاء بالروايات التي تذكر أن ذلك كان في «القراطيس» أو في «الورق» أو في «الصحف» ثم قال «وهذا كله أصح مما وقع في رواية عمارة بن غزية أن زيد بن ثابت قال: «فأمرني أبو بكر فكتبت في قطع الأديم والعُسُب، فلما هلك أبو بكر وكان عمر كُتِبَتْ في صحيفة واحدة فكانت عنده» قال ابن حجر: وإنما كان في الأديم والعُسُب أوّلًا قبل أن يُجمع في عهد أبي بكر، ثم جُمع في الصحف في عهد أبي بكر – كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة[3] اهـ ما قال ابن حجر رحمه الله.

وأقول رحم الله الإمام ابن حجر العسقلاني وغفر له قوله «وهذا كله أصح»، إذ كان ينبغي أن يقول وهذا هو «الصحيح»، لأن رواية عمارة بن غزية هذه مشحونة بالأوهام التي هَوَّشت وألْبست أمرَ الجمع البكريّ والنَّسْخ العثماني على السواء. وقد راجعت ترجمته في تهذيب التهذيب فوجدت أن العقيلي

(١) فتح الباري (الحلبي) ١٠/ ٣٨٥.

(٢) نفسه ١٠/ ٣٩٤.

(٣) نفسه ١٠/ ٣٩٠.

وابن حزم ضعّفاه – في حين وثقة متقدمون كثيرون [1] وأنا أقول إن ما شُحِنت به هذه الرواية كفيل بتضعيفه وإهدار قيمة روايته هذه خاصة. ولنراجع ما جاء في النقاط الإحدى عشرة التي حددناها في روايته المذكورة

أ – أسلفنا نفي ابن حجر لما تقوله الرواية من أن مصحف أبي بكر جُمِع في الأديم والعسب. والقول بأن مصحف أبي بكر كان هكذا غفلةٌ بالغة.

ب – القول بكتابة مصحف أبي بكر مرة ثانية في عهد عمر = إصلاح غفلة بقول لا شاهد له ولم يقل به أحد آخر.

جـ - القول بأن عثمان طلب من زيد كتابة مصحف واحد = مخالف لما استفاض في الروايات من أن الذي كَتَب هو لجنة، وأنها كتبت مصاحف أربعة أو سبعة – وسيأتي هذا.

د – القول بأن عثمان أدخل مع زيد أبان بن سعيد مخالفة تاريخية لأن أبانا توفى سنة ١٣هـ وقد نبه ابن حجر على هذا أيضًا فقال «قال الخطيب ووهم عمارة في ذلك، لأن أبانا قُتِل بالشام في خلافة عمر ولا مدخل له في هذه القصة. والذي أقامه عثمان في ذلك هو **سعيد بن العاص**: ابن أخي أبان المذكور»[2] وفي المرشد «قال (القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني ٤٠٣هـ): وقد ذكر في بعض الروايات أن الذي نصبه عثمان لإملاء المصحف أبان بن سعيد بن العاص. والسيرة تشهد بأن ذلك غلط، لأن أهلها رَوَوا أن أبان بن سعيد متقدم الموت، وأنه هلك قبل جمع عثمان المصحف بزمان طويل، وأنه قُتِل في الشام في وقعة

---

(١) ينظر تهذيب التهذيب ٧/ ٤٢٢ – ٤٢٣.

(٢) ينظر فتح الباري (الحلبي) ١٠/ ٣٩٣.

أجنادين في سنة ثلاث عشرة»[١].

هـ - استدراك آيتي آخر التوبة وقع في الجمع البكري لا النسخ العثماني، ووجدتا مع أبي خزيمة أوس بن يزيد (زيد) بن أصرم أو الحارث بن خزيمة، واستدراك آية الأحزاب وقع في الجمع البكريّ أيضًا - كما جزم بذلك الحافظ ابن كثير بناء على رواية[٢] - لا في النسخ العثماني، ووجدت مع خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين[٣].

و - تأمل العبارات أنه «استعرض المهاجرين والأنصار» في كل مرة فلم يجدها مع أحد منهم» - في حين أن الرجلين هما من الأنصار[٤].

ز - قوله حاكيًا كلام زيد بشأن آيتي آخر التوبة «فأثبتُّهما في آخر التوبة، ولو تمت ثلاثة آيات لجعلتها سورة على حدة» كلام فِجّ بليد، يَخْلق أكثر من مشكلة دون وَعْي، إذ يوحي بأن زيدًا أثبتهما في آخر التوبة عشوائيًّا، وأن ترتيب الآيات في سُوَرها، وكذا تسوير السور كانا اجتهادًا أو اعتباطًا. وهذا كله خلاف ما أجمع عليه العلماء[٥]. وأما بخصوص آخر التوبة فقد كان زيد يحفظ القرآن مسورًا

---

(١) المرشد الوجيز لأبي شامة (تحـ طيار آلتي) ٦٦.

(٢) ينظر فضائل القرآن له (الحويني ص٨٦) والرواية في المقنع للداني (دهمان) ص٣ عن الزهري عن عبيد، وهي في (المصاحف) برقم ٢٦، والزهري عن خارجة برقم ٦٨، ٩٤، ٩٥ - وكلهن عن آية الأحزاب، وفي (المقنع) عن عبيد أيضًا عن آيتي التوبة وهي في (المصاحف) بأرقام ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٧١. وقد نقل محقق (المصاحف) ١٩٩ عن ابن حجر ترجيحه أن الروايتين صحتا عند البخاري. وهذا قد يؤيد قول ابن كثير..

(٣) في فتح الباري ١٠/ ٣٩٦ رجّح أن انكشاف سقوط آية الأحزاب كان في النسخ العثماني، ووهّم قول إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع أن ذلك كان في الجمع البكري. وقد ذكرها ابن أبي داود (رقم ٦٨) دون سياق، وأبو شامة (ص٥١) في سياق النسخ العثماني. ويلحظ أن الرواية لم تصرح أن ذلك كان في النسخ العثماني، وإن كان بعض سياقاتها يرجح ذلك. كما أن رواية سقوط آية الأحزاب لم تحدد النسخة أو النسخ التي سقطت منها الآية لو كان ذلك في النسخ العثماني.

(٤) حسب ما جاء في متن صحيح البخاري/ فضائل القرآن/ ب٣ جمع القرآن/٤٩٨٦و٤٩٨٨.

(٥) ينظر الإتقان النوع الثامن عشر «فصل الإجماع والنصوص المترادفة» إلخ..

مرتب الآيات في سورها. ومن هنا شعر بغياب الآيتين. ورواية البخاري وغيره أن زيدًا قال: «حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري» أو «فوجدت» «لقد جاءكم ...» فأثبتها في سورتها» وهو التعبير المحكم[(١)] وقد جاءت رواية عن أبي العالية أن أُبَيّ بن كعب كان يملي في الجمع البكري فلما وقفوا قبل الآيتين قال أُبَيّ إن رسول الله ﷺ أقرأني بعد (الآية التي وقفوا عندها) آيتين «لقد جاءكم رسول» الخ السورة[(٢)] فأُبَيّ كان حافظًا أيضًا، وبذا يكون اشترك في استدراك الآيتين.

ح - قوله «ثم أرسل عثمان إلى حفصة» يعني أن طلب عثمان مصحف أبي بكر من السيدة حفصة تم بعد كتابة نسخة جديدة. وهذا غريب في ذاته، ويخالف ما أطبقت عليه أصح الروايات أن عثمان طلب مصحف أبي بكر **أولاً** ثم نسخوا منه .. وقد ذكرنا ذلك قبلًا.

ط - قوله «وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف» وهذه مخالفة أخرى للصحيح المتواتر غريبة ومثيرة. فقد كان هدف عثمان جمع الناس على قراءة (أو قراءات) موحَّدة موافقة لمصاحف رسمية **موحَّدة كُتِبت بإشراف أولي الأمر وبتنفيذ المؤهَّلين قراءة وفصاحة وخطا**، لتوزع على الأمصار، فتكون متاحة لأهلها ومرجعًا لهم. وقد تواتر أنه كُتِبَت - بإشراف عثمان - عدة مصاحف ووُزِّعَت على الأمصار ولم يُختَلَف إلا في عددها بين أربعة وسبعة أو ثمانية. ثم تأتي هذه الرواية لتقول إنه كُتِبَ مصحفٌ واحد ثم طُلِبَ إلى الناس أن يكتبوا «مصاحف» هكذا بإطلاق - دون تقييد حتى بالنقل منه. فهي أخطاء مركبة.

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٩٨٦ والمصاحف أرقام ٢٤، ٢٥، ٢٨، والفضائل لأبي عبيد ص١٥٣ لكن فيهما «مع خزيمة بن ثابت».

(٢) كتاب المصاحف رقم ٢٩.

ى – قوله «فلما ماتت حفصة أرسل إلى عبد الله بن عمر في الصحيفة» السياق يُفْهِم أن الذي أرسل هو عثمان. ولم يُقَل بهذا إلا في هذه الرواية. وهذا لا يتأتى لأن حفصة توفيت سنة إحدى وأربعين أو خمس وأربعين، وعثمان توفى سنة خمس وثلاثين[١] رضي الله عن الجميع. فالصواب ما قالت الروايات الأخرى أن الذي أَرسَلَ إلى عبد الله بن عمر بشأن مصحف أبي بكر هو مروانُ ابن الحَكَم والي المدينة في ذلك الوقت.

ك – قوله «فغُسِلت غسلا» أكثر الروايات على أن مروان «أحرقها»[٢] لا غسلها. لكن الخطب في هذه الجزئية سهل.

لقد أشركت القارئ في عناء مناقشة هذه الرواية، لنخلص معًا إلى المعلومة التي نطمئن إليها – وكانت رواية عمارة بن غزية هذه تشوش عليها. وهي أن المصاحف العثمانية كُتِبتْ نَسْخًا من مصحف أبي بكر، ولم تكن جمعًا جديدًا من الرقاع والعسب ونحوها. وقد جاء التعبير «بالنّسْخ» في روايات هذا الخبر الصحيحة للزهري عن سالم وخارجة وعن أنس وعثمان [٣] ولم يأت الجمع من الرقاع إلا في روايتي مصعب بن سعد وعمارة بن غزية. وقد بيّنّا أوهامهما.

وبناء على ما سبق نستطيع أن نوثق أن المصاحف العثمانية كانت مطابقة

---

(١) ينظر تهذيب التهذيب ١٢/ ٤١٠ و٧/ ١٤١.

(٢) ينظر المصاحف رقم ٧٣ «ففشاها وحرقها» وصواب الكلمة الأولى بالسين والهمزة بمعنى خرّقها، ولعل الثانية بالخاء فقد جاء في رقم ٨٥ رواية لشعيب عن الزهري «فأمر بها مروان فشققت».

(٣) ينظر صحيح البخاري ٤٩٨٧، ٤٩٨٨ والمصاحف رقم ٣٠، ٦٧، ٧٠، ٧٢، ٨١ والفضائل لأبي عبيد ١٥٤. وقد ذكرنا روايات أخرى بأن الأمر كان انتساخًا من مصحف أبي بكر، فانظره.

للمصحف البكري، بحكم انتساخها منه، ثم لعدم ذكر أحد اختلافًا بينها وبينه، وسيأتي مزيد من أدلة هذه المطابقة. أما ما قيل أحيانًا عن الاختلاف بينها وبينه من حيث الاحتواء على الأحرف السبعة أو بعضها. فهو كلام هُلاميٌّ دِقَّتُهُ أن النص الكريم يحتوي على ما يحتمله الرسم الواحد مما صح سندُه من الأحرف السبعة. وقد نتناول هذا في كتاب الأحرف السبعة إن شاء الله تعالى.

لجنة كتابة المصاحف العثمانية:

جاء في صحيح البخاري أن سيدنا عثمان – لما أخبره حذيفة بن اليمان بما رأى من تنازع الجنود المسلمين المشاركين في غزو إرمينية بسبب اختلاف قراءاتهم – استحضر الصحف التي جمع فيها سيدنا أبو بكر القرآن، ثم «أمر زيد ابن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص (بن سعيد بن العاص)، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها (أي صحف أبي بكر) في المصاحف [(١)] فهؤلاء أربعة من أعضاء لجنة كتابة المصاحف العثمانية. لكن قيل إنهم كانوا اثني عشر رجلاً [(٢)] ويؤخذ من الروايات أن منهم أبي بن كعب، وكثير بن أفلح، ومالك بن أبي عامر الأصبحى [(٣)] وذكر ابن حجر منهم أنس بن مالك، وعبد الله ابن عباس أيضًا. وقال فهؤلاء تسعة عرفنا تسميتهم من الاثني عشر [(٤)] ثم جمع

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٣٩٣.

(٢) ذكر لفظ الاثنى عشر رجلًا في كتاب المصاحف رقم ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩١ في روايات عن محمد بن سيرين (عن كثير بن أفلح)، ويتنبه إلى وهم ابن أبي داود في رقم ٧٥ بشأن مالك بن أنس فالصواب أنه مالك بن أبي عامر الأصبحي.

(٣) الثلاثة في كتاب المصاحف رقم ٨٧، ٨٨، ٨٩.

(٤) فتح الباري ١٠/ ٣٩٣ وهم جميعًا ما عدا عبد الله بن عباس في كتاب المصاحف أيضًا. ينظر المصاحف ٨٧، ٨٨، ٨٩ وما نبهنا إليه في ٧٥.

بين روايتي الأربعة والاثنى عشر بقوله «وكأن ابتداء الأمر كان لزيد وسعيد (بناء على رواية قول عثمان «فليمل سعيد» أي لفصاحته «وليكتب زيد» أي لسابق خبرته)، ثم احتاجوا إلى من يساعد في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التي ترسل إلى الآفاق، فأضافوا إلى زيد من ذُكِر، ثم استظهروا بأُبَيٍّ في الإملاء»[1].

وسيأتي في تعيين الكُتّاب أن هناك عاشرًا هو نافع بن ظريب بن عمرو بن نوفل.

تعيين المملين والكتاب من اللجنة:

جاء التصريح بأسماء المملين في روايات النسخ العثماني نذكرهم ونشير إلى الروايات تجنبًا للتطويل وهم – سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية (ت٥٧/ ٥٩) حسب قول عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد [2] وقد ذُكر من مؤهلات سعيد لعضوية اللجنة بالإملاء أنه «أفصح الناس» أو «أعرب الناس» بإقرار الجمهور. وجاء في روايةٍ أن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص .. لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ[3].

٢ – أبي بن كعب وهو إمام قرآني جليل القدر – وعن مؤهلاته مع ذلك أن عثمان دعاه وقال له إنك كنت أعلم الناس بما أُنْزِل على النبي ﷺ، وكنتَ تقرئ في زمانه، وكان عمر بن الخطاب يأمر الناس بك، فأَمْلِ على هؤلاء القرآن في المصاحف فإني أرى الناس قد اختلفوا»[4].

وقد نقل أبو شامة عن القاضي أبي بكر الباقلاني كلمة ذات قيمة في أهليتها

---

(١) نفسه ١٠/ ٣٩٣ – ٣٩٤.

(٢) جاء ذلك كله في عدة روايات في كتاب المصاحف رقم ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٩١.

(٣) تنظر الروايات المشار إليها في التعليق السابق لهذا. والمرشد الوجيز ٦٥.

(٤) تنظر رواية موسى بن جبير عن ذلك في المرشد الوجيز ٦٤ – ٦٥.

ثم في تعدد المملين وهي «ولا يمتنع أن يُمِلّه سعيد ويمله أبيّ أيضًا، فيُحتاج إلى أُبَيّ لحفظه وإحاطته علمًا بوجوه القراءات المنزلة ..، ويجبُ نَصْبُ سعيد بن العاص لموضع فصاحته وعلمه بوجوه الاعراب، وكونِه أعربَهم لسانًا ... ولا يمتنع أن يُنْصَب لإملاء القرآن قوم فصحاء حفاظ، يتظاهرون (: يتعاونون) على ذلك، ويُذَكِّر بعضهم بعضًا، ويستدرك بعضهم ما لعله يسهو عنه غَيرُه. وهذا من أحوط الأمور وأحزمها في هذا الباب»[1]

وأوضح أنا قيمة فصاحة المُمِلي وهي أنه تتبين في نطقه الكلمات بحروفها. فلا تتآكل الكلمات ولا تنطمس معالم الحروف باللفف أو الهذّ أو ما إليهما. وبذا يكتب الكاتب الكلمة صحيحة.

٣ – أنس بن مالك بن النضر خادم رسول الله وصاحبه ت ٩٣هـ[2].

أما الكتاب: فقد جاء التصريح بأسماء ثلاثة..

١ – زيد بن ثابت (٤٥هـ) وهذا مشهور لأنه كاتب الوحي للنبي ﷺ وكاتب مصحف أبي بكر. وقد جاء في تكليف عثمان «فليكتب زيد»[3].

٢ – كثير بن أفلح المدني مولى أبي أيوب الأنصاري – وهو ثقة ت ٦٣هـ[4].

٣ – مالك بن أبي عامر جد الإمام مالك بن أنس. فقد رُوِي عن الإمام

---

(١) المحرر الوجيز ٦٥.

(٢) ينظر تفسير الطبري (شاكر) ١/ ٦٢ وفي كتاب المصاحف رقم ٧٥ «مالك بن أنس» وأكملها ابن أبي داود بأن هذا جد مالك بن أنس وصححها المحقق إلى مالك بن أبي عامر. وقد ذكر مالك بن أبي عامر هذا صراحة في رقم ٩٣ من «المصاحف» مشتركًا في الكتابة. فربما كان يملي حينًا ويكتب أحيانًا.

(٣) كتاب المصاحف رقم ٨٢، ٨٣.

(٤) كتاب المصاحف رقم ٨٨، ٨٩ وتهذيب التهذيب ٨/ ٤١١.

مالك صاحب المذهب قال: كان جدي مالك بن أبي عامر ممن قرأ في زمن عثمان، وكان يُكْتِبُه المصاحف»[1].

٤ – نافع بن ظريف بن عمرو بن نوفل: قال مؤرج «وهو الذي كتب القرآن على عهد عثمان»[2] وهو قرشي، وبه يصير التسعة الذين عرفناهم عشرة.

أمر التكليف:

جاء في كتاب المصاحف وصحيح البخاري أنه – بعد أن أرسلت السيدة حفصة صحف أبي بكر إلى عثمان – أرسل سيدنا عثمان إلى زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام «أَنْ انْسَخُوا الصُّحُفَ في المصاحف». ولفظ البخاري «فأمر» (عثمان) زيدَ بن ثابت (وذكر الثلاثة الآخرين) فنسخوها (أي صحف أبي بكر) في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم زيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل (القرآن) بلسانهم»[3] قال ابن حجر عن قوله «في شيء من القرآن»: إنها في رواية شعيب: «في عربية من عربية القرآن»[4].

أ – أما توجيه التكليف إلى الأربعة المذكورين خاصة فقد أسلفنا الرواية بأنهم اثنا عشر عرفنا منهم تسعة، وعرفنا وجه الجمع بين توجيه التكليف إلى الأربعة أولًا ثم ضم آخرين، وهو اتساع العمل بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التي ترسل إلى الآفاق، فأضافوا إلى زيد من ذكر، ثم استظهروا بأُبي بن كعب في الإملاء»[5].

---

(١) كتاب المصاحف رقم ٩٣.

(٢) ينظر (حذف من نسب قريش) لمؤرج السدوسي تحـ د. صلاح الدين المنجد ٤٢.

(٣) كتاب المصاحف رقم ٦٧، ٧٠ وينظر ٦٨، صحيح البخاري ٤٩٨٧.

(٤) فتح الباري ١٠/ ٣٩٣ – ٣٩٤.

(٥) السابق نفسه.

ب – وأما أن الأمر كان نسخًا من مصحف أبي بكر فقد سبق تحقيقه.

جـ – وأما تنويهه بأن المرجع هو لغة قريش – كما يؤخذ من قوله «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن» إلخ فهي نقطة نظام مهمة، لأن زيدًا له ثقل باختصاصه بالجمع البكري فلزم التنويه بهذا الضابط، حتى لا تتأثر المرجعية المطلوبة بثقل زيد.

وأما تخصيصه الرهط القرشيين بالخطاب في قوله: «إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم» فللمعنى الذي ذكره: أنهم قرشيون فهم أَعْرَفُ بلغتهم، ثم ليكونوا أحرص. وكذلك لأنهم أكثرُ حسب «التشكيل» **الأصلي** للجنة، فالذين عرفناهم ممن ضُمُّوا بعد ذلك كلهم من الأنصار ما عدا عبد الله بن عباس.

د – وما جاء في رواية شعيب – حسب ما ذكر ابن حجر – من أن عبارة عثمان هي «في عربية من عربية القرآن» – التخصيص فيه («عربية» بدل «شيء») صحيحٌ تمامًا، لأن الاختلاف المتوقع – والذي وقع فعلًا – هو من جنس الاستعمال العربي للكلمات الذي يكون له أثر في الرسم أي الكتابة، بدليل ما رواه الزهري عن أنس مما يعد تمثيلًا لهذا الاختلاف – وهو كتابة كلمة «التابوت» بالتاء المفتوحة في آخرها أو بالهاء – بناء على استعمال قريش لهذه الكلمة بتاء أو استعمال الأنصار – قوم زيد – إياها بالهاء، وبدليل قول عثمان فاكتبوه، وبدليل ما سنذكره في مشكلات التنفيذ.

هـ – وتنبيه عثمان للجنة – الذي ذكرناه في الفقرة السابقة = يوحي بتوقع مشكلات في التنفيذ، وفيه معنى توجيه اللجنة إلى التحري في عملها. وسيأتي تصديق كل من الأمرين.

الإشراف على التنفيذ:

الإشراف على التنفيذ يعني هنا متابعة التنفيذ إنجازًا ومستوًى، ولا تخفى أهميته في الأمرين، كما لا يخفى أنه يُكْسِب التحري في التنفيذ جِدّية تضمن وصولَ العمل المنجز إلى أعلى مستوى. وقد كان الإشراف هنا لأمير المؤمنين سيدنا عثمان نفسه. وقد جاء التعبير عن إشراف عثمان على نَسْخ المصاحف في أخبار ذلك النسخ صريحًا في روايتين: إحداهما لمحمد بن سيرين أن عثمان استحضر «الربعة التي كانت في بيت عمر فيها القرآن (أي لكي تَنْسَخ منها اللجنة المكونة من اثني عشر رجلًا حسب هذه الرواية) «**فكان يتعاهدهم**»[1] والرواية الأخرى هي لنفس الخبر عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال «لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت. قال فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها، قال «**وكان عثمان يتعاهدهم** فكانوا إذا تدارءوا في شيء أَخّروه»[2] إلخ.

ويعد من صور الإشراف ذلك التوجيه الذي أسلفناه في أمر التكليف وهو قول عثمان للرهط القرشيين «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش» فالتوجيه بالتزام جَادّة معينة في التنفيذ يعني شَرْطًا في مستوى الأداء المطلوب. وهو بُعْدٌ من أبعاد الإشراف.

---

(١) كتاب المصاحف رقم ٨٧، ٨٩.

(٢) نفسه.

مشكلات التنفيذ وحلولها:

الذي صححناه من كون مصدر مادة المصاحف العثمانية هو ما في الصحف البكرية قد يُتَصَوَّر منه أن الأمر كان مجرد نسخ أصم أو تصويري لما في الصحف البكرية. ولكن الأمور لم تكن بهذه السلاسة أو السطحية، بل كانت هناك مشكلات أو صعوبات حقيقية من الواجب أن نجلي أمرها، حتى تتبين جهود الذين كتبوا تلك المصاحف، ويتبين وجه التحري أو التدقيق الذي جرى عند التنفيذ، بل ووجه جمعهم بين التزام النسخ من الصحف البكرية وبين تسجيل بعض القراءات التي تخالف ما في تلك الصحف.

ومن الحق أن نسجل هنا ما توقعه سيدنا عثمان من وجود مشكلات عبّر عنها بما جاء في «أمر التكليف» حين وَجَّه إلى الرهط القرشيين قوله «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل (القرآن) بلسانهم»[1] فهناك توقع «اختلاف»، وذلك الاختلاف سيكون في الرسم أوله أثر في الرسم بدليل قوله «... **فاكتبوه**». وجاءت رواية تخصص ذلك العموم الذي في عبارة «شيء من القرآن فتقول «... في عربية من عربية القرآن»[2] فالاختلاف الذي في الرسم سيكون أساسه «عربية النص» لا النص نفسه (بأن يكون إثباتًا لآية أو عبارة أو إسقاطًا لها مثلًا). وقد جاء تمثيل لهذا الاختلاف في رواية للزهري عن اختلافهم في رسم كلمة «التابوت» بالتاء في آخر الكلمة أم بالهاء. والمثل جيد، لأنه يجسم جانبًا لهجيًا مما يمكن أن يختلفوا فيه. فلهجة الأنصار أنه

---

(١) صحيح البخاري ٦/ ٢٢٦ وفتح الباري ١٠/ ٣٩٤.

(٢) فتح الباري ١٠/ ٣٩٤ في الشرح وقال إنه في رواية شعيب وهو في المصاحف ٢٦.

بالهاء ولهجة قريش أنه بالتاء. ولكن هناك جوانب كثيرة للاختلاف.

١ - ذلك أنه - بطول ممارسة قراءة القرآن، وكثرة القُرّاء بتزايدهم على مر الأيام، وكثرة المذاهب الأدائية وشبه الأدائية - نتيجة لكثرة القراء هذه - حدثت أو برزت تفاصيل في الأداء ثبّتها وضخم أمرها طول ممارسة هذه المذاهب وانتشارها.

ونستطيع أن نتصور ذلك في مثل درجة الالتزام بهاء السكت مثلًا في نحو: ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ {لم يتسن} [البقرة: ٢٥٩] ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ {... اقتد} [الأنعام: ٩٠] إلخ وهل ترسم الهاء أو لا ترسم، وكذلك باب الياءات مثل: {يا عبادي لا خوف عليكم اليوم} ﴿ يَٰعِبَادِ ﴾ [الزخرف: ٦٨]. وهل ترسم الياء أولا، ومثل ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ {من يرتدد منكم ...} [المائدة: ٥٤] - «تأمرونني أعبد» ﴿ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ ﴾ [الزمر: ٦٤] (أيكتب بالفك أم بالإدغام)، ومثل: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ {وكلٌّ ...} [الحديد: ١٠] {ما فعلوه إلا قليلًا منهم} ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [النساء: ٦٦] وهو اختلاف في إعراب الأسلوب له أثر في الرسم - وكلها من باب اللهجات. وقد جاء تصريح لابن أبي داود (٣١٦هـ) يؤخذ منه أن كثيرًا من اختلافات الرسم بين المصاحف العثمانية يمكن أن يفسر بمراعاة الكاتب للهجة أو لهجات لا بالاجتهاد العشوائي. كما قد يظن[1] ومثل: {وما عَمِلت أيديهم} ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ [يس: ٣٥]، ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ﴾

---

(١) جاء في كتاب المصاحف لابن أبي داود رقم ٤٠١ أن ابن مسعود قال: «لا يكتب المصاحف إلا مضرى» قال ابن أبي داود «هذا من أجّل اللغات» (يعني اللهجات) وينظر الكتاب نفسه ٣٣٢ إلى ٣٤٤ في رسم (يسألون) (يسلون) ورسم (فاسأل) (فسل) وغيرهما.

{ما تشتهي الأَنفسُ} [الزخرف: ٧١] (ذكر ضمير المفعول العائد على سابق أو حذفه)، ومثل: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ {فإن الله الغني الحميد} [الحديد: ٢٤] (ذكر ضمير الفصل وعدم ذكره)، ومثل: ﴿ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ {جاءوا بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير} [آل عمران: ١٨٤] (إعادة الجار عند العطف وعدم إعادته) – ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ {وإذ أنجاكم ...} [الأعراف: ١٤١] ﴿ لَّئِنْ أَنجَىٰنَا ﴾ {لئن أنجيتنا} [الأنعام: ٦٣] التفات. ونحو هذا مما هو من سنن العرب في كلامها[1] والاختلاف في النوعين يظهر أثر شطره ولا بد في الرسم، فيحتاج إلى قرار بمراعاة أي شطرين أو عدم مراعاته أو التوزيع على المصاحف.

٢ – كذلك كانت هناك قراءات صحيحة السند ومتنوعة الرسم مثل: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ ﴾ {وأَوْصَى بها ..} [البقرة: ١٣٢] ومثل: {سارعوا إلى مغفرة من ربكم} ﴿ وَسَارِعُوٓاْ ... ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ {يقول ...} [المائدة: ٥٣] وما إلى ذلك من واوات أو فاءات مثبتة أو متروكة[2] وهي أيضًا تحتاج قرارًا بالإثبات أو الترك أو التوزيع على المصاحف.

ولم تصل إلينا أنباء عن طرح مثل هذه الأمور للمشاورة. ولكننا نستطيع أن نرجح من واقع ما في رسم المصاحف أنهم قرروا – بما يشبه ما يسمى الإجماع السكوتي – عدة أمور:

---

(١) أمثلة هذه الفقرة انتقيتها من كتاب رسم المصحف، قدوري الحمد ٦٩٣ – ٧٠٢ وهو عن المقنع للداني وغيره. وتحريرها وتنويعها وتوجيهها مسئوليتي.

(٢) في فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ١٩٦ – ٢٠٠) إحصاء ـــــ بهذا.

الأول: الالتزام إلى أقصى ما يمكن بموافقة المصحف البكري، وعدم مخالفته إلا في حدود ضيقة جدًّا.

الثاني: - وهو وجه من الأول - أن يَقْصِروا القبول من القراءات التي تخالف رسم المصحف البكري على ما بلغ سَنَده من المتانة حدًّا لا يستساغ تجاهله أو تخطيه.

الثالث: أن يوزعوا رسم ما قبلوه من تلك القراءات التي قَبِلوها على المصاحف العثمانية.

إن الدليل على ذلك القرار والأمور الثلاثة هو واقع المصاحف العثمانية - ودليل الواقع من أقوى الأدلة إن لم يكن أقواها. ذلك أن المصاحف العثمانية لم يختلف رسم بعضها عن بعض إلا في تسع وثلاثين كلمة من مجموع كلمات القرآن البالغ عددها نحو ثمانية وسبعين ألفًا[1] - أي بنسبة كلمة واحدة كل ألفي كلمة تقريبًا. وهذا العدد للكلمات المختلفة الرسم يبرهن الأمر الأول، من حيث إن قلة العدد هكذا تعني أنه كان هنا مرجع ضابط موحد ترجع إليه المصاحف العثمانية كلها، ولا يكون هذا المرجع الواحد - هنا - إلا صُحُف أبي بكر: وأنه لولا ذلك المرجع الموحّد لبلغت الاختلافات الواقعة في المصاحف آلافًا. كذلك فإنه لولا أنه كان هناك مرجع ضابط موحّد نصبته اللجنة وارتضت بالاحتكام إليه لوقع تنازع حول أولوية ما يثبت من قراءات أئمة القراءات في ذلك الوقت عبد الله بن مسعود، وأبي موسى، وأُبَيّ وغيرهم. فلما لم يبلغنا خبر عن ذلك التنازع علمنا أنه لم يقع، وأنه كان هناك تسليم بمرجعية موحدة -

---

(١) ينظر رسم المصحف د. غانم الحمد ٧٠٢، والإتقان (عالم الكتب) ١/ ٧٠.

وهي هنا صحف أبي بكر (بحرف زيد بن ثابت – كما سيأتي).

- كذلك فإن قلة عدد الكلمات المختلفة الرسم تعني أنهم ما قبلوا أن يسجلوا في المصاحف العثمانية – من تلك القراءات التي كانت منتشرة – إلا أقل القليل، وهو شطر [1] تلك التسع والثلاثين كلمة من بين تلك القراءات المنتشرة، ولا بد أنها كانت الأقوى سندًا فوق سائر ما لم يحتوه المصحف البكري بحيث وجدوا أنه من الحق عليهم أن يسجلوها في المصاحف العثمانية.

- أما الأمر الثالث فبرهانه ما سجل من واقع اختلافات المصاحف العثمانية بعضها عن بعض وفي رسم الكلمات وجملة ذلك تسع وثلاثون كلمة كما كررنا.

التحري في التنفيذ:

التحري والتدقيق في التنفيذ كان دافعُهما متوافرًا، وهو إحساس الجميع – لا عثمان وحده – بخطورة الاختلاف الذي اقتضى نسخ المصاحف العثمانية، وكذلك الإحساس بخَطَر (= قيمة) هذا العمل – من حيث موضوعه وهو كتاب الله، ومن حيث الهدف منه. وذلك واضح لا يحتاج منا إلى كلام.

وحسبنا أن نسوق أخبارًا واقعية تؤكد التزام التحري والتدقيق في التنفيذ.

أ – جاء في فضائل القرآن لأبي عبيد بسنده إلى سليمان بن عمير عن هانئ البربري مولى عثمان ﷺ قال: كنت الرسولَ بين عثمان وزيد بن ثابت، فقال زيد

---

(١) قلنا «شطر» لأن الذي اختلفت فيه المصاحف لاشك أن بعضه مطابق لما في المصحف البكري لأن الأصل المُسَلَّم أن المصاحف العثمانية منسوخة منه، والشطر الآخر غير مطابق ومن هنا وقع الاختلاف.

سله عن قوله {لم يتسن} أو ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ فقال عثمان: اجعلوا فيها الهاء[1] فهذا الخبر واضح في دلالته على الحرص على إثبات الرسم الصحيح بالرجوع إلى عثمان. وجاء ما أرجح أنه رواية أخرى للخبر نفسه بسند أبي عبيد إلى أبي وائل (عبد الله بن بحير شيخ من أهل اليمن) عن هانئ البربري مولى عثمان قال: كنت عند عثمان وهم يَعْرضون المصاحف، فأرسلني (أي عثمان) بكتف شاة إلى أبيّ بن كعب فيها {لم يَتَسَنّ} [البقرة: ٢٥٩]، وفيها {لا تبديل للخلق} [الروم: ٣٠] وفيها {فأمهل الكافرين} [الطارق: ١٧] قال (هانئ) فدعا (أُبيّ) بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب ﴿لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾، ومحا {فأَمْهل} وكتب ﴿فَمَهِّلِ﴾، وكتب ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ ألحق فيها الهاء»[2] اهـ والرواية واضحة في التزام التحري والدقة كما في الرواية السابقة. لكن وجود الاستفسار عن رسم ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ في الخبرين يرجح أنهما روايتان لخبر واحد.

ثم يلاحظ أنه في رواية سليمان بن عمير زَيْدٌ يسأل عثمانَ عن الرسم الصحيح. في حين أن رواية أبي وائل فيها أن عثمانَ هو الذي يسأل، ويوجّه السؤال إلى أبيّ بن كعب. وسؤال عثمان أبيًّا لا غرابة فيه – لولا الاختلاف في أصحاب الواقعة إذا افترضنا أن الخبرين يتناولان واقعة واحدة. أما الذي قد يبدو غريبًا فهو قول هانئ «أرسلني بكتف شاة». لكن هذا ينبغي أن يفهم على أن عثمان كتب أو أمر بكتابة الكلمات الثلاث في كتف حتى لا ينساها هانئ أو تلتبس عليه، وحتى يأتيّ بالرد مكتوبًا ثابتًا لا كلامًا مقولًا قد يقع فيه لبس عند

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (تحـ وهبي سليمان ..) ١٥٩.

(٢) نفسه.

نقله وتبليغه. وأخيرًا فلعلنا نلاحظ أن الرواية الأولى يمكن أن تدخل في الرواية الثانية لأن الأولى عن ﴿ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ ﴾ فقط والأخيرة عن ﴿ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ ﴾ مع اثنتين أخريين.

وليس لديّ الآن ما يُجْزَمُ به إن كانا واقعتين أو واقعة واحدة. ولكن دلالتهما على التحري والتدقيق واضحة.

ب – وجاء في كتاب المصاحف عن ابن سيرين أن كثير بن أفلح كان من الذين يكتبون المصاحف العثمانية فحدثه «أنه كان يكتب لهم فربما اختلفوا في الشيء فأخّروه (: أجّلوا كتابته) فسألت لم تؤخرونه؟ قال لا أدري قال محمد بن سيرين فظننت ظنًا ... أنهم كانوا إذا اختلفوا في الشيء أخروه حتى ينظروا آخرهم عهدًا بالعرضة الآخرة فيكتبوه على قوله»[1] وأقول إنه ليس من الضروري لثبوت التزامهم بالتحري أن يكون انتظارهم من أجل آخرهم عهدًا بالعرضة الآخرة. فإن التحري يثبت حتى بانتظار من يجيد قراءة الآية أو من يتحقق الوجه المسموع من النبي ﷺ لقراءتها. ويؤكد هذا التفسير الأخير للانتظار ما نقله أبو شامة عن أبي عمرو الداني أنهم «كانوا إذا تماروا في الآية يقولون إنه أقرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية فلانَ بن فلان، وهو على رأس أميال من المدينة (أي حين تماريهم هذا) فيُبْعَث إليه، فيجيء، فيقولون: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيقول كذا. فيكتبون كما قال»[2]. وهذا الخبر نفسه جاء في كتاب المصاحف وفي تفسير الطبري عن أنس. قال أبو قلابة حدثني أنس

(١) المصاحف والرواية فيه مكررة رقم ٨٨، ٨٩.

(٢) المرشد الوجيز لأبي شامة ص٦٠ وهو عن المقنع ص٧.

ابن مالك قال كنت في مَنْ يُملي عليهم (المصاحف) أيام عثمان – كما هو مصرح به في سياق الخبر) قال فربما اختلفوا في الآية، فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ، ولعله أن يكون غائبًا أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدَعون موضعها، حتى يجيء أو يُرْسَلَ إليه»[(١)].

وتفسير وقوع هذا في النسخ العثماني من الصحف البكرية أنه مبالغة في التدقيق عند احتمال الرسم البكري وجوهًا قرائية معروفة.

جـ - ومن ذلك ما جاء في رواية الزُّهري أنهم (أي لجنة كتابة النسخ العثمانية) «اختلفوا في «التابوت» و «التابوه» فقال النفر القرشين «التابوت»، وقال زيد «التابوه»، فرُفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه «التابوت» فإنه نزل بلسان قريش»[(٢)].

فهذه أمثلة واقعية لالتزام لجنة نسخ المصاحف العثمانية التحري والتدقيق في كتابة تلك المصاحف. وهي تؤكد المستوى العلمي الرفيع لأداء اللجنة من حيث الأمانة والدقة.

---

(١) كتاب المصاحف رقم ٧٥ وتفسير الطبري (شاكر) ١/ ٦٢ في أثناء الحديث رقم ٦١. لكن الذي في الطبري (أنس بن مالك) وقال: كنت فيمن يملي عليهم. وفي المصاحف رقم ٧٥ عن أبي قلابة أيضًا قال حدثني مالك بن أنس قال ابن أبي داود: هذا مالك بن أنس جد مالك بن أنس – قال كنت في من أملى عليهم. وفي المصاحف برقم ٩٣ أن مالكًا إمام المذهب قال كان جدي مالك بن أبي عامر ممن قرأ في زمان عثمان وكان يكتب المصاحف» اهـ. والوثيق هو رواية الإمام أن جده مالك بن أبي عامر كان يكتب، ورواية الطبري أن أنس بن مالك (خادم الرسول) ﷺ كان ممن يملي.

(٢) كتاب المصاحف ٦٨ دون كلمة نزل، وهو بها في فتح الباري ١٠/ ٣٩٤ وفي المصاحف رقم ٦٧، ٦٨، ٧٠ فإنما نزل بلسانهم» رقم ٣٤ «نزل على رجل من مضر».

المعارضة (= المراجعة):

معروف أن المقصود بالمعارضة هنا معارضة المصاحف العثمانية أي مضاهاة محتواها ومقارنته بالأصل الذي نُقلت عنه. وهذا هو ما يسمى في عصرنا هذا المراجعة والتدقيق. وقد يَتَبادر أن المراجعة هنا نافلة، من حيث إن محتوى هذه المصاحف العثمانية هو منسوخ – مجردَ نسخٍ ونَقْل – من المصحف البكري، أو يتبادر أنه حتى إذا كانت هناك مراجعة فلا بد أنها كانت مقصورة على مضاهاة المنقول في المصاحف العثمانية بما في مصحف أبي بكر. ولكن الحقيقة أنه كانت هناك مشكلات في التنفيذ عرضناها في فقرة خاصة. وهذه المشكلات تتطلب التحرّي والحرص في التنفيذ وقد عرضنا لذلك أيضًا. ووجود المشكلات وما تتطلبه، وقبل ذلك أهمية العمل وخطره الكبير، كل ذلك يتطلب المراجعة بعد التنفيذ، للاطمئنان على إتمام العمل على الوجه المطلوب.

ويشهد لوقوع المراجعة اللفظية للاطمئنان على عدم إسقاط شيء أو زيادته ما جاء في رواية صريحة لابن أبي داود بسنده عن إبراهيم النخعي أن رجلًا من أهل الشام قال: مصحفنا ومصحف أهل البصرة أحفظ (= أضبط) من مصحف أهل الكوفة. قال إبراهيم: لم؟ قال: إن عثمان لما كتب المصاحف بَلَغه قراءةُ أهل الكوفة على حرف عبد الله. فبعث بالمصحف إليهم قبل أن يُعْرَض، وعُرِض مصحفُنا ومصحفُ أهل البصرة قبل أن يُبعث به[1]. ومر بنا قول هانئ البربري:

---

(١) كتاب المصاحف رقم ١١٨ بتصرف يسير، وذكرت المعارضة (: المراجعة) ثلاث مرات في رواية عمارة غزية (تفسير الطبري/ شاكر/ ١/ ٥٩).

كنت عند عثمان وهم **يعرضون المصاحف** فأرسلني بكتف شاة إلى أبيّ فيها ثلاث عبارات قرآنية ذكرها، وذكر أن أبيًا عدّل كتابتها.

ولما نسخت المصاحف أُتِيَ بها عثمان فنظر فيها وقال «قد أحسنتم وأجْمَلتم. أرى فيه شيئًا من لحن ستُقيمه العرب بألسنتها».. قال ابن أبي داود هذا عندي يعني بلُغَتها، وإلا لو كان فيه لحن لا يجوز في كلام العرب جميعًا لما استجاز أن يبعث به إلى قوم يقرءونه». وفي رواية عن قتادة أن عثمان ﷺ **لما رُفِعَ إليه المصحف** قال إن فيه لحنًا ستقيمه العرب بألسنتها»[1].

ونسجل أولًا ما جاء في الروايتين «رفع إليه المصحف» «فنظر فيه» فالتعبيران يعنيان المراجعة، لكن مع احتمال أن تكون تلك المراجعة خفيفة أو عابرة. لكن الذي يؤكد أن مراجعة عثمان لم تكن كذلك وإنما كانت مراجعة مدققة هو لَحَظُهُ تلك المواضع التي قال عنها – حسب الرواية – إن فيها شيئًا من اللحن. ونضيف إلى هذا الذي نسجله أولًا تعبيرًا جاء في رواية أبي عبيد لهذا الخبر نفسه بسنده عن عكرمة قال «**لما كتبت المصاحف عُرِضَت** على عثمان، فوجد فيها حروفًا من اللحن. قال لا تغيروها فإن العرب ستغيرها أو قال ستعربها بألسنتها ...»[2] والذي يلفتنا هنا هو التعبير بكلمة «المصاحف» وإسناد الفعل «عرضت» إلى ضميرها، مما يعني أن العرض كان لجميعها، والملاحظة كانت عامة – أيضًا – ونحن نعد هذه الرواية مفسرة للروايات التي عبّرت

---

(١) كتاب المصاحف رقم ١٠٤ إلى ١٠٨.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٠٤.

بالإفراد «المصحف» على أن المراد بالمصحف الجنس – فتكون كما نقول نحن اليوم «رسم **المصحف** العثماني». نقصد «**المصاحف العثمانية**».

ثم نعود إلى نسبة (اللحن) إلى كلمات في المصحف لنذكر أولًا.

أ – أن مجموع هذه الكلمات القرآنية التي قيل إن فيها لحنًا هو ست كلمات لا غير.

ب – دعوى اللحن في هذه الكلمات نوقشت علميًا، وتبين أنه ليس في أي من تلك الكلمات خطأ نحوي – كما يتبادر من كلمة لحن، وإنما هي جارية على بعض اللهجات العربية وسنن العرب في كلامها[1]. واللهجة تسمىَّ (لغة) وتسمَّى (لحنا)[2].

ثم نلتفت إلى قولة ابن أبي داود – أحد أهَمّ من رَوَوْا ما قيل عن اللحن في تلك الكلمات: «هذا عندي بِلُغَتِها، وإلا لو كان فيه لحن لا يجوز في كلام العرب جميعًا، لما استجاز (عثمان) أن يبعث به إلى قوم يقرءونه»[3]. فهو يفسّر كلمة (لحن) في عبارة سيدنا عثمان باللغة أي اللهجة. أي أن الكلمات التي قيل إن فيها لحنًا هي جارية على **لغات** عربية (أي لهجات ومن معاني كلمة لحن: لهجة) لكن الذين سيقرءونها سيُجْرُونها على (اللسان) العامّ.

وقوله: «ولو كان في تلك الكلمات لحن «لا يجوز في كلام العرب جميعًا» معناه: «**لو كان فيها ما لا يجوز في أية لهجة من لهجات العرب**». فالنفي منصب على

---

(١) انظر كتاب «دفاع عن القرآن الكريم» د. محمد حسن جبل ٨١ – ٩٢.

(٢) ينظر لسان العرب (لحن).

(٣) كتاب المصاحف رقم ١٠٥.

الجميع أي الشمول بمعنى أنه قد يكون غريبًا لا يجرى عند قبيلة أو قبائل، ولكنه جارٍ عند قبيلة أو قبائل أخرى. ولو كان لا يجوز في أي لهجة عربية على الإطلاق، لما استجاز عثمان أن يبعثه (في المصاحف) إلى جميع جهات الجزيرة العربية.

تنويهٌ بسنَّةٍ راشدة:

إذا سُلِّمت صحة رواية أن سيدنا عثمان لاحظ وجود لحن في كتابة النص الكريم، فإن المتبادر أنه كان الأنسب أن تصحَّح الكلمات الست إلى لغة قريش كما وجّه هو إلى اللجنة في أول عملها. لكن تدبُّر الأمر يقضي بغير هذا؛ ذلك أن النص الكريم كان قد كُتب وفرغت اللجنة منه، فلو أعيد تشكيل لجنة (لتصحيح المصاحف) لصار ذلك سنّة يحذو حذوها كل من ظن أنه وجد خطأً أو وجهًا أصحّ في كتابة آية. فسدّ سيدنا عثمان هذا الباب بموقفه في مسألة اللحن هذه. وقد فعل ذلك ثانيةً عندما طالبه ابن الزُبير بحذف الآية رقم ٢٤٠ من سورة البقرة؛ لأن الآية رقم ٢٣٤ نسختها. إذ قال عثمان: يا بن أخي لا أغير شيئًا منه من مكانه. وكذا فعل سيدنا عليّ حينما سمع من قرأ «وطلح منضود» [الواقعة ٢٩] فقال علي: إنما هو (طلع) مُنظِّرًا بآية الشعراء ١٤٨ – فقيل له أفلا نحولها؟ فقال: «إن القرآن لا يُهاجُ اليوم ولا يُحوَّل»[١].

---

(١) ينظر صحيح البخاري / التفسير باب ٤١ رقم ٤٥٣٠، وتفسير الطبري/ التركي ٢٢ / ٣٠٩ - ٣١٠.

الفصل الرابع

مسائل متعلقة بالمصاحف العثمانية

(أ) معنى (الحرف) في كتابة المصاحف العثمانية:

هذه مسألة بالغة الأهمية، وتناولها يحتاج توطئة أمام خالي الذهن منها. وهذه التوطئة تمس موضوعًا من أشهر موضوعات القراءات القرآنية وأكثرها إثارة للاختلاف، وهو موضوع «الأحرف السبعة» الذي تقرر بقول رسول الله ﷺ «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه». وسأوجز التوطئة في ست نقاط.

١ – لفظ «حرف» يستعمل في مجال الألفاظ بمعنى «الكلمة» وبمعنى «جزء الكلمة» أي الحرف الهجائي. والاستعمال الأول آصل.

٢ – أن المراد بإنزال القرآن على سبعة أحرف هو أوسع نقاط الاختلاف في معنى هذا الحديث الشريف. والذي عليه أكثر العلماء أن هذا الحديث كان له هدف خاص ومؤقت. ذلك أن النبي ﷺ رأى أن كثيرًا من جمهور الأمة يشق عليهم استظهار القرآن الكريم: كالشيخ العاسي (الذي شاخ ولا تواتيه ذاكرته على الحفظ)، والعبد، والأمة (مشغولان بالخدمة)، والأُمّي (لم يتعود الحفظ)، ومن لهم مثل ظروفهم من حيث مشقةُ الحفظ. بالإضافة إلى بلوغ المنزَّل من القرآن قدرًا كبيرًا، لأن هذا الموقف كان بعد الهجرة، وكان ﷺ قد اطمأن إلى منهجَي حفظ النص المنزل عينه بالكتابة الفورية للوحي، وبواسطة حفظ الذين

تعودوا التلقي والحفظ لأن ظروفهم تساعدهم على ذلك. فدعا النبي ﷺ ربه أن يخفف عن أمته في هذا الجانب، لأنه لا بد لكل منهم من آيات يصلي بها، ويعمُر بها قلبه، فلا يشعر أنه محروم من كتاب ربه. فاستجاب الله له بأن أجاز لهم أن يقرءوا على حرفين أو أكثر: بمعنى أنه سبحانه يتجاوز ويغفر إذا أتى القارئ بكلمة بمعنى الكلمة القرآنية - إذا نسى القارئ الكلمة القرآنية أو كانت من غير لهجته فجرى لسانه بما هو بمعناها. فالهدف الخاص هو هذا التيسير.

وقد كان هذا التيسير رخصة مؤقتة، مراعاة لحال جمهور المسلمين، وبخاصة في بدء انطلاق مسيرة هذا الدين الجديد بعد الهجرة، واطمئنانًا إلى أن النص الأصلي المنزل من السماء قد دُوِّنَ كتابةً فورَ نزوله، وحفظه من تَيَسّر له الحفظ من المسلمين تَلَقِّيًا من فم النبي ﷺ، فلا خوف عليه من الضياع. ثم نُسخت تلك الرخصة - بزوال العذر، وتيسر الكتابة والحفظ[1]: وكان الحد الزمني لانتهاء هذه الرخصة هو إجماع المسلمين على المصاحف العثمانية (قبيل ٣٠هـ)، فلم يعد يجوز في القراءة إلا ما استوفى شرطين أساسيين: أن يصح سند القراءة إلى سيدنا رسول الله ﷺ مع استفاضة ذلك، وأن تتفق القراءة مع الرسم العثماني ولو تقديرًا. وأُضِيفَ إليهما شرط كالبدهي هو أن يكون للمقروء به وجه في العربية.

---

(١) هذا الرأي في بيان المراد بالأحرف السبعة هو القول التاسع في الأقوال التي أوردها السيوطي في الإتقان في النوع السادس عشر. وقد نسبه لأكثر العلماء منهم سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب والطبري والباقلاني والطحاوي وابن عبد البر وغيرهم، وتدعمه أحاديث حكم عليها السيوطي بأنها جيدة. ينظر أيضًا فضائل القرآن لابن كثير (الحويني) ١٣٣. ونسخ هذه الرخصة في المرجعين أيضًا.

ونقول كالبدهي لأن القرآن نزل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ ، فما ليس له وجه في العربية لا يكون عربيًا ولا يكون قرآنًا. ونعود إلى التيسير فنقول إن له صورتين حسب ما جاء في روايات حديث الأحرف السبعة.

الصورة الأولى: أنه إذا غابت عن المسلم – وهو يقرأ عن ظهر قلب – كلمة من آية، إما لنسيانها أو التباسها أو لعدم إِلْفِها في لهجته، فعليه أن يقرأ بما هو بمعناها – كما جاء في الحديث: «فإنما هو كقول أحدكم «**هلم**» و «**تعال**»، وذلك مثل قراءة قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ قراءتها: {كلما أضاء لهم مَضَوْا فيه} أو {مَرُّوا فيه}.

الصورة الثانية: أن يختم الآية بما يناسبها من أسماء الله تعالى – إذا غاب عنه أو التبس عليه ما ختمت به مثل: ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾. وقد قُيِّدَت الصورة الثانية هذه بقيد هو «ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب».

٣ – «السبعة» في الحديث الشريف مقصود بها الحد الأعلى للرخصة فيمكن أن يؤتى بحرف ثان أي غير الأول أو ثالث أو رابع إلى السابع – مادام بمعنى الأول. وأُوَضِّحُ أنه ليس من اللازم بلوغ السبعة، وإن كانت الرخصة تجيز ذلك البلوغ. وقد قلنا إن هذا كان تيسيرًا **مؤقتًا**، لتمكين عامة المسلمين من قراءة القرآن في الصلاة وغيرها – مع الاطمئنان على أن النص المنزل لن يتغير بهذا التيسير، لأنه سُجِّل كتابةً بنفس ألفاظه فور نزوله أخذًا من فم النبي ﷺ.

٤ – وقد سمحت الصورة الأولى بأن يدخل في هذه الرخصة أمور مثل:

أ – أداء الكلمة نفسها بصيغة أخرى مثل: {وأوصى} بدلًا من ﴿ وَوَصَّىٰ ﴾ ، {أَسْرَى} بدلاً من ﴿ أُسَرَىٰ ﴾. نحو (يَخْدعون، يُخادعون) (يَكْذبون، يُكَذِّبون).

ب – الإتيان بمفرد الكلمة بدلًا من جمعها أو العكس – مادام المعنى يسمح بذلك مثل {وكتابه} بدلاً من ﴿ وَكُتُبِهِۦ ﴾ فإن «كتاب» تكون بمعنى «كُتُب» إذا قصد بها جنس الكتاب، ومثل (خطيئته) و (خطيئاته).

جـ – تقديم صيغة أو كلمة في العبارة على صيغة أو كلمة أخرى – مع بقاء المعنى الإجمالي كما هو مثل: ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة: ١١١] ومثل: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [ق: ١٩] {وجاءت سكرةُ الحقِّ بالموت}.

د – (هذا إلى ما كان مباحًا في العصر الأول من الأداء اللهجي تبعًا لتعدد العرب الذين نزل القرآن بلسانهم).

٥ – أخذ كثير من الصحابة بالرخصة المذكورة، وكان من النتائج الطبيعية لهذا أن يختلفوا، بأن يقرأ هذا بحرف أي بكلمة ما من آية غير الحرف أي الكلمة التي يقرأ بها الآخر في الآية نفسها. وقد لحظ بعضهم اختلاف قراءته عن قراءة الآخرين في مُثُل من الصورتين، واحتكموا إلى الرسول ﷺ، فأجاز قراءة كلٍّ قائلًا لهم «كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه». قال الإمام أبو شامة (ت٦٦٥) شارح الشاطبية في تفسير «أنزل على» في هذا الحديث «إن القرآن أنزل **مرخصًا للقارئ وموسعًا عليه** (فيه) **أن يقرأه على سبعة أحرف**، أي يقرأ، بأي حرف شاء منها على البدل من صاحبه ... وإنما قيل «على سبعة أحرف» ليُعْلم أنه أريد به هذا المعنى، أي كأنه أنزل على هذا من الشرط، **أو على هذا من الرخصة والتوسعة**، وذلك لتسهيل قراءته على الناس، ولو أُخِذُوا بأن يقرءوه على حرف واحد لشق عليهم»[١].

---

(١) ينظر المرشد الوجيز ٩٩.

٦ – اشتهر كل من الصحابة الذين أخذوا بالرخصة بالحروف التي قرأ بها. فكان يقال: حرف أُبَيّ، وحرف عبد الله بن مسعود، وحرف أنس، وحرف زيد إلخ .. واشتهر كذلك أَخْذُ كل جماعة من المسلمين بحرف الصحابي الذي جاءتهم رواية قراءته (مثلًا: حرف ابن مسعود – بالكوفة، وحرف أبي موسى – بالبصرة)، فلما التقت الجماعة (الجنود في الميدان من الشام والعراق) تبينت الفروقُ بين قراءاتهم، وكذلك اختلفت قراءة تلاميذ الكتاتيب تبعًا لاختلاف قراءة معلميهم، وتنازع المختلفون من هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ يعتقد أن قراءته هي الصحيحة وقراءة غيره ليست صحيحة. وبلغ ذلك الاختلاف عثمان ﵁، فاستشار الناس، ثم أمر بكتابة مصاحف على حرف واحد معين أي محدد بالنسبة إلى القارئ به، وأن توزع على أقاليم الدولة، ويُلزَم المسلمون بعدم القراءة بما يخالف تلك المصاحف.

وهنا نعود إلى رأس هذا المبحث. لتحقيق أمرين (أ) أن المصحف العثماني كتب على حرف أو أكثر من تلك الحروف التي قرأ بها الصحابة (ب) تعيين الحرف أو الأحرف التي كتبت عليها المصاحف العثمانية.

ب – المصاحف العثمانية كُتِبت على حرف واحد أي أن الكلمات فيها موحّدة:

نعم هذه مقررة مُجْمع عليها أو كالمجمع عليها. وأول من عبّر عن ذلك هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان نفسه صاحب هذا المشروع الموفق المحْوَرِيّ في تاريخ المصحف والدعوة الإسلامية. فقد جاء التعبير عن الحرف الواحد بـ **القراءة الواحدة** في رواية الخبر في السنن الكبرى للبيهقي في قول عثمان في تشاوره مع الصحابة «إن الناس قد اختلفوا اليوم في القراءة وأنتم بين ظهرانَيهم،

فقد رأيت أن أجمع (الناس) على قراءة واحدة قال (علي كرم الله وجهه): فأجمع رأيُنا مع رأيه على ذلك»[1]. وجاء التعبير عن الحرف الواحد «بالمصحف الواحد» في رواية ابن أبي داود عن علي كرم الله وجهه أيضًا، إذ قال عثمان في خبر هذا التشاور أيضًا «نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف» (قال علي) قلنا: «فنِعْمَ ما رأيت»[2]. وجاءت عبارة عثمان في رواية البغوي هكذا «إني رأيت أن أكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت، ثم أبعث بها إلى الأمصار. قالوا نِعْمَ ما رأيت»[3].

وقد قلنا إن هذا أي كون المصاحف العثمانية كتبت على حرف واحد لا أكثر – هو كالمجمع عليه، حيث قرر ذلك الأئمة الذين تعرضوا لهذه النقطة. قال الإمام الطبري: إن عثمان ﷺ «جمع المسلمين .. فحملهم على حرف واحد، وجمعهم على مصحف واحد، وحرف واحد، وخرّق ماعدا المصحف الذي جمعهم عليه، وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم عليه أن يخرقه. فاستوسقت له الأمة على ذلك بالطاعة .، ورأت أن في ما فعل من ذلك الرشد والهداية ... فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح ..»[4]. كما صرح بذلك الأئمة: مكي

(١) ينظر المرشد الوجيز ٥٤ وهي في الوجيز القرطبي (وهو تحقيق مقدمة تفسير القرطبي) ١٦٧.

(٢) ينظر كتاب المصاحف رقم ٧٧ وهو في فتح الباري (الحلبي) ١٠/ ٣٩٣.

(٣) شرح السنة ٤/ ٥٢٤.

(٤) جامع البيان (تفسير الطبري/ شاكر) ١/ ٦٣ – ٦٤.

بن أبي طالب (٣٧٧هـ)[١]، وأبو عمرو الداني (٤٤٤هـ)[٢] وأبو محمد الحسين بن مسعود (الفراء أو ابن الفراء) محيي السنة (٥١٠هـ) [٣]، وأبو شامة المقدسي (٦٦٥هـ) [٤]. وابن حجر العسقلاني. (٨٥٢هـ) [٥].

وما ذهب إليه بعض العلماء من أن المصحف البكري كان مشتملًا على الأحرف السبعة[٦] بمعنى أن الكلمة كتبت فيه أكثر من مرة قول يستحيل صحته، إذ يؤدي إلى أن الأحرف السبعة كانت إلزامًا وتعسيرًا، في حين أن روايات كثيرة للحديث تنص صراحة على أنه كان للتيسير. إلا إذا قصد بهذا القول أنه كان مشتملًا على ما يحتمله الرسم الواحد من الأحرف السبعة فهذا يسوغ. وما يصدق على المصحف البكري يصدق على النُسَخ العثمانية في هذه الجزئية، لكن مع إضافة مهمة هي أن تعدد النُسَخ في الرسم العثماني سمح بتوزيع بعض الأحرف الصحيحة السند على النسخ، بمعنى أن تكتب الكلمة بإحدى رواياتها الصحيحة في نسخة وتكتب بالرواية الصحيحة الأخرى في نسخة أخرى. ومن البدهي أن تجوز القراءة بما سمح به تعدد نسخ هذا ا لرسم

---

(١) ينظر الإبانة (تحـ د. عبد الفتاح شلبي ص٣ وقال «بلا اختلاف» أي أنه إجماع، وص١١.

(٢) ينظر المقنع (تحـ: محمد الصادق قمحاوي) ص١٦ قال: «فجمع عثمان الناس على هذا المصحف، وهو حرف زيد».

(٣) ينظر شرح السنة (تحـ زهير الشاويش وزيمله) ٤/ ٥٢٣، ٥٢٤ قال هنا مصحف واحد».

(٤) ينظر المرشد الوجيز ٦٨، ٦٩، ١٠٣، ١٠٦، ١٤٤.

(٥) ينظر فتح الباري (الحلبي) ١٠/ ٣٩٣ «مصحف واحد»، ٤٠٥ «حرف واحد».

(٦) ينظر الوسيلة للسخاوي ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٩ وينظر كذلك رسم للمصحف د. غانم الحمد ١٤٥، د. الفرماوي ١٠٨.

أو سمح الرسم الواحد به إذا صح سنده مع الاستفاضة في الحالتين. والجدير بالذكر أن الذي سمح به تعدد النسخ مما صح سنده عن النبي ﷺ لا يتجاوز تسعًا وثلاثين كلمة من كلم القرآن البالغ عددها سبعة وسبعين ألفًا وثمان مئة وخمسا وأربعين كلمة [1] والخلاصة أن القرآن كتب على حرف واحد، وأن الرسم سمح في بعض المواضع بقراءة من أحرف أخرى. وقد أشبع الإمام الطبري القول في صحة «مشروعية» اقتصار المصاحف العثمانية على حرف واحد فانظره[2] إن شئت. وخلاصته أن الأحرف السبعة كانت تيسيرًا يتمثل في القراءة بأي حرف: وهذا تخيير معناه أن أي حرف منها يكفي – كما أن الحانث في يمينه – إذا كان موسرًا – مُخَيَّرٌ بين الإطعام والكسوة والعتق ليكفر عن حنثه في اليمين. فإذا فعل أيًّا من هذه الثلاثة أجزأه وكفى. فكذلك الأمر هنا. يسّر الله للأمة أن تقرأ على حرف أو على آخر أو على ثالث فإذا اقتصر على واحد منها بعينه فهو يجزئ يكفي ويشفي.

جـ - الحرف الذي كتب عليه المصحف العثماني هو حرف زيد بن ثابت:

وهذه أيضًا مقررة إجماعية. وأقدم ما يقررها هو أمر أشبه بالبدهي وهو أن زيد بن ثابت هو الذي كتب معظم القرآن للنبي ﷺ حتى إنه يتبادر اسمه عندما

---

(١) إحصاء الكلمات المختلفة الرسم حسب النسخ العثمانية من (رسم المصحف) د. غانم قدوري الحمد ٧٠٢ وتصل الكلمات باحتساب المكرر منها إلى ٥٨ كلمة. أما إحصاء كلمات القرآن فهو من شبكة المعلومات ودقته ٧٧٨٤٥ كلمة.

(٢) ينظر جامع البيان (تفسير الطبري) من قوله: «فإن قال فما بال الأحرف الأخر الستة» إلى قوله «أقرب منهم إلى السلامة من ذلك» ١/ ٥٨ – ٦٥ في تحقيق شاكر، ١/ ٥٣ – ٦٠ في تحقيق التركي.

يطلق اسم كاتب الوحي أو كاتب النبي ﷺ، وقد بدأ ذلك الأمرَ حَدَثًا في سن الحادية عشرة، وكان قد حفظ قبلها بعضًا من القرآن، ثم أتم حفظه في حياة النبي ﷺ، وحضر عرض النبي ﷺ القرآن على جبريل العرضة الأخيرة، وكُلِّف جمعه من الرقاع وكتابته في أيام أبي بكر، وكُلِّف نسخه في أيام عثمان – وهذه كلها أمور تاريخية ثابتة[1].

فمن البدهي مع ذلك كله أن يُكتب القرآن في عهد عثمان على حرفه هو أي على الحرف الذي تلقاه من النبي ﷺ أول مرة وكَتَبه وحَضَر عرضه، وجمعه وكتبه في عهد أبي بكر.

وقد أجمع الذين عرضوا لمسألة تعيين الحرف الذي كتب عليه المصحف العثماني على أنه حرف زيد بن ثابت. وأقدم ما أثر من ذلك قول سيدنا عثمان: رأيت أن أكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت. ثم أبعث بها إلى الأمصار» وأن الصحابة وافقوه قائلين «نعم ما رأيت» فهذا إجماع[2]. وذكر ذلك الأئمة مكي بن أبي طالب، وأبو عمرو الداني، وأبو شامة المقدسي[3].

ومن الطبيعي بعد ذلك أن تكون القراءة العامة التي عليها جمهور المسلمين

---

(١) ينظر عن زيد بن ثابت: «تهذيب التهذيب» ٣/ ٣٩٩ و «غاية النهاية» ١/ ٢٩٦، و «المرشد الوجيز» ٦٨ – ٦٩، ١٤٤، ١٧٠. وما كتب عنه في الذين عرضوا القرآن على النبي ﷺ.

(٢) ينظر شرح السنّة للبغوي ٤/ ٥٢٤، ٥٢٦.

(٣) ينظر على التوالي «الإبانة» لمكي ٥٤، ٥٧، ٥٨، و «المقنع» لأبي عمر الداني ١٦، و«المرشد الوجيز» لأبي شامة ٦٨ – ٦٩، ١٠٥، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٨، ١٧٠، ١٧١.

الآن هي حرف زيد[1] وأن تكون هذه القراءة على حرف زيد هي أحدث القراءات بالعرضة الأخيرة أي أوفقها لها[2].

د - ماذا يمثل «الحرف» الذي كتب به المصحف العثماني بالنسبة للنص القرآني وقراءته:

المبحث الذي قدمناه وقررنا به أن المصاحف العثمانية كتبت على حرف زيد ابن ثابت يثير تساؤلًا هو: ماذا يمثل حرف زيد هذا بالنسبة للنص القرآني الكريم، وماذا يمثل أيضًا ذلك الحرف بالنسبة للحروف الأخرى؟ إن هذه التساؤلات مشروعة بل هي بالغة الأهمية، إذ قد يظن أن حرف زيد لا يمثل النص القرآني كله، أو أن الحروف الأخرى التي لم تكتب بها المصاحف العثمانية هي نصوص لا يحتويها المصحف رغم أنها من القرآن.

ولكن الحقيقة غير ذلك تمامًا. فمراجعة ما سلف في الباب الثاني خاصة تبين وتثبت أن حرف زيد هو **جميع عين** النص القرآني الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ، فبلّغه ﷺ كما أُنزِل إسماعًا لمتلقيه وإملاء لكاتبيه. وإذا كانت الرخصة المؤقتة بالأحرف السبعة سمحت للذين يُعَنِّيهم الالتزام التام بحرفية النص القرآني الكريم - كالأمي والخادم والعجوز والشيخ العاسي - أن يقرءوا بما تيسر لهم، حتى يعرفوا كتاب ربهم ويألفوه ويؤمنوا به ويقيموا به صلاتهم ويُحكّموه في

(١) ينظر: «المصاحف» رقم ١٧١ (قولة ابن عباس)، و «الإبانة» لمكي ٥٤ (وينظر ٥٧، ٥٨) و «المقنع» ١٦ و «شرح السنة» للبغوي ٤/ ٥٢٥ - ٥٢٦، و «المرشد الوجيز» ٦٨، ٦٩، ١٤٤، ١٧١ و «جمال القراء» ٢/ ٤٦٢.

(٢) ينظر الإبانة ٣٣ (كتبت: إحداهن، والصواب: أحدثهن) والمرشد الوجيز ١٧٠.

حياتهم بقدر ما يستطيعون، فإن تدوين النص الكريم فور نزوله، وحسب ما أنزل به من عند الله تمامًا = قد كفل – مع طبقات التلقي والحفظ الشفاهي – المحافظة التامة على النص الكريم كله بعين ما أنزل. وقد عرفنا أن صحف أبي بكر جمعها زيدٌ نَسْخًا من الرقاع التي دُوِّنَت بين يدي الرسول ﷺ – مع الإشهاد على ذلك، وأن المصاحف العثمانية نُسِخَت من صحف أبي بكر، وظَاهَرَ الأمرين الحفظُ عن ظهر قلب بما كان له من طبقات أدت ذلك.

ولدينا شهادات مهمة على ما أسلفناه في الفقرة السابقة – بالإضافة إلى ما أشير إليه فيها من دعائم:

أ – فأولى هذه الشهادات شهادة الصحابي الجليل حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما – وقد عرفنا أن ابن عباس حَفِظ المحكم (= المفصل = قصار السور من أول سورة ق أو الجاثية – إلى آخر المصحف) في حياة رسول الله ﷺ، وعرض القرآن كله على أُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وقيل إنه قرأ على عليّ بن أبي طالب أيضًا، قال ابن عباس: قراءتي قراءة زيد، وأنا آخذ ببضعة عشر حرفًا من قراءة ابن مسعود. هذا أحدها ﴿ ...مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ ﴾[1] ونستلفت النظر إلى أمور هنا: **أحدها** أن ابن عباس عرض أيضًا على أبيّ، وقيل على عليّ أيضًا. أي أنه لم يقرأ على زيد وحده ومع ذلك يقول قراءتي قراءة زيد – فمعنى هذا أن قراءته وقراءة زيد لا تختلفان عن قراة أُبيّ، وكذا قراءة عليّ. وسيأتي ما يحقق هذا. **وثاني** تلك الأمور هو أن قراءة ابن عباس

(١) كتاب المصاحف رقم ١٧١ والعبارة القرآنية من الآية ٦١ من سورة «البقرة».

تختلف عن قراءة ابن مسعود في بضعة عشر حرفًا (= كلمة) فحسب. وذلك من كلمات القرآن البالغة سبعة وسبعين ألفًا وثمان مئة وخمسة وأربعين. فالبضعة عشر حرفًا المختلف فيها بين ما يقارب ثمانين ألفًا لا تعد اختلافًا عند ذوي النظرة العلمية المنصفة. أي أننا إذا قلنا إن قراءة ابن عباس، ومن ثم قراءة زيد تتفق مع قراءة ابن مسعود لا نكون متجاوزين. ويؤكد هذا أن الكلمة التي ذكر ابن عباس أنه أخذها من قراءة ابن مسعود وهي «وَثُومها» تعني نفس معنى قراءة زيد «وفومها» على القول بأن «الثُّوم» لغة في «الفُوم» وكذا على القول بأن الثاء في هذه الكلمة مبدلة من الفاء.

ب – الشهادة الثانية جاءت عن سيدنا عثمان بن عفان ﷺ. فقد مر بنا أن أبا عبد الرحمن السلمي (ت٧٣/ ٧٤هـ) كان يقرأ على عثمان ويسأله عن القرآن، وكان عثمان ولي الأمر. فشق ذلك على عثمان فقال للسلمي: إنك تشغلني عن أمر الناس. فعليك بزيد بن ثابت، فإنه يجلس للناس، ويتفرغ لهم، ولست أخالفه في شيء من القرآن»[١] والشهادة صريحة في أن حرف عثمان (أي قراءته) هو حرف زيد.

جـ – الشهادة الثالثة هي شهادة أبي عبد الرحمن السلمي نفسه. فقد مر بنا أن أبا عبد الرحمن السُّلَمِيّ هذا تلقى القرآن عن والده، وعن عثمان، وعن عليّ، وعن زيد، وعن ابن مسعود، وعن أبيّ بن كعب، وأنه قرأ القرآن على زيد بن ثابت ثلاث عشرة مرة. ثم إنه تصدر لإقراء القرآن بالكوفة أربعين سنة – من زمن عثمان المتوفى سنة ٣٥هـ – إلى أن توفى هو نحو ٧٣/ ٧٤هـ. وهذا كله معناه

---

(١) ينظر معرفة القراء الكبار ١/ ٥٦.

أن أبا عبد الرحمن السلمي هذا بلغ الغاية في الخبرة بالحروف التي كان يُقْرَأُ بها القرآن، فهذا الإمام السُّلَمِي له شهادة بالغة الأهمية بخصوص اختلاف حروف كبار الصحابة أولئك. قال السُّلَمِي «كانت قراءة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وزيد ابن ثابت، والمهاجرين، والأنصار: واحدة. كانوا يقرءون قراءة العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قُبض فيه. وكان عليّ رضي الله عنه طول أيامه يقرأ مصحف عثمان ويتخذه إمامًا»[1] وشهادة السلمي هذا أوردها الإمام المحدث محيي السنة الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ) في كتابه شرح السنة [2] وذُكرت في غيره أيضًا[3] وقال السُّلَمي أيضًا: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه اللهُ فيه مرتين، وإنما سُمِّيَتْ هذه القراءةُ قراءةَ زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وشهد العَرْضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات. ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كَتْب المصاحف - رضي الله عنهم أجمعين[4].

وروى عن التابعي الكبير عَبيدة السلماني (أسلم زمن فتح مكة ولم ير النبي ﷺ - ت٧٢هـ) قال: القراءة التي عُرِضت على رسول الله ﷺ في العام الذي قبض فيه هي التي يقرؤها الناس اليوم»[5] وعن التابعي محمد بن سيرين

---

(١) ينظر شرح السنة تحـ زهير الشاويش وصاحبه جـ٤/ ٥٢٥.

(٢) ينظر شرح السنة تحـ زهير الشاويش وصاحبه جـ٤/ ٥٢٥.

(٣) ينظر المرشد الوجيز ٦٨.

(٤) شرح السنة ٤/ ٥٢٥ – ٥٢٦ والمرشد الوجيز ٦٩.

(٥) المرشد الوجيز ١٧١.

(ت١١٠هـ) «كانوا يرون أن قراءتنا هذه هي أحدَثُهُنّ (أي أحدث القراءات التي من ضِمْنها الحروف) (عهدًا) بالعرضة الأخيرة» وفي رواية قال: نبئت أن القرآن كان يُعْرَضُ على النبيّ ﷺ كل عام مرة في شهر رمضان، فلما كان العام الذي توفى ﷺ فيه عرض عليه مرتين» قال ابن سيرين «فيرون أو يرجون أن تكون قراءتنا هذه أحدث القراءات عهدًا بالعرضة الأخيرة»[1].

ومن هنا قال الإمام الباقلاني «إنما اختار عثمان حرف زيد، لأنه كان حرف **جماعة المهاجرين والأنصار**، وهو القراءة **الراتبة المشهورة عن الرسول** ﷺ، وعليها كان أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وأبيّ وعبد الله (بن مسعود) ومعاذُ بن جبل، ومُجَمِّع بن جارية، وجميعُ السلف ﷺ. وعُدِل عما عداها من القراءات والأحرف، لأنها لم تكن عند عثمان والجماعة ثابتة عن الرسول ﷺ، ولا مشهورة مستفيضة استفاضة حرف زيد»[2] وقال الإمام البغوي «جمع الله تعالى الأمة بحسن اختيار الصحابة على مصحف واحد، وهو آخر العرضات على رسول الله ﷺ. كان أبو بكر الصديق ﷺ أمر بكَتْبه جمعًا بعدما كان مفرقًا في الرقاع، ليكون أصلًا للمسلمين يرجعون إليه، ويعتمدون عليه، وأمر عثمان بنَسْخه في المصاحف، وجَمَعَ القومَ عليه، وأمر بتحريق ما سواه قطْعًا لمادة الخلاف، فكان ما يخالف الخط المتفق عليه في حكم المنسوخ والمرفوع، كسائر ما نسخ ورُفع منه باتفاق الصحابة. والمكتوب بين اللوحين هو المحفوظ من الله عز وجل للعباد،

(١) السابق نفسه ص١٧٠.

(٢) السابق ص١٤٤.

وهو الإمام للأمة فليس لأحد أن يعدو في **اللفظ** إلى ما هو خارج من رسم الكتاب والسواد»[1].

أما الشطر الآخر من التساؤل الذي بدأنا به هذا الفصل وهو «ماذا يمثل حرف زيد بالنسبة للحروف الأخرى» فقد أصبح واضح الإجابة – بعدما أسلفنا. فحرف زيد هو الأصل والحروف الأخرى ما هي إلا كلمات بديلة لبعض كلمات ذلك الأصل في القراءة، ربما تكون عُرِضت على الرسول ﷺ فأجازها تيسيرًا حسب ما ذكرنا أكثر من مرة عن حديث الأحرف السبعة كقراءة «مضوا فيه» أو «مروا فيه» بدلًا من «مشوا فيه» وقراءة «وأصوب قيلاً» بدلاً من «وأقوم قيلاً» ونحو هذا مما ورد عن أنس بن مالك، وورد نظيره عن ابن مسعود وعن غيرهما، فهذه حروف كان قبولها تيسيرًا مَرْحَليًّا، ثم نُسِخت ونُسِخت الرخصة بمثلها وبما هو من قبيل هذا التغيير في الكلمات. وبذا تحقق وعد الله تعالى بحفظ النص الكريم. فعَبَرَ النصُّ القرآني بسلام بيداء الضياع بين الحروف المختلفة – بعد أن عبر أخطر مرحلتين سابقتين، وذلك بالتدوين الخطي الفوري في العهد النبوي، ثم بالجمع البكري للنص الكريم من الرقاع المتفرقة التي كان مدونًا فيها.

(هـ) عدد المصاحف التي كتبت في النسخ العثماني:

تختلف الروايات بشأن عدد المصاحف التي نسخت، فجاء في كتاب المصاحف لابن أبي داود (ت٣١٦هـ) بسند عن الإمام المقرئ السبعي حمزة بن

---

(١) السابق ص١٤٤ – ١٤٥.

حبيب الزيات (١٥٦هـ) قال: كتب عثمان **أربعة مصاحف**[1] .. وجاء في المقنع لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤) قال أبو عمرو: **أكثر العلماء** على أن عثمان بن عفان ﷺ لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن. فوجه إلى **الكوفة** إحداهن، وإلى **البصرة** أخرى، وإلى **الشام** الثالثة، وأمسك عند نفسه (يعني **بالمدينة**) بواحدة .. ثم ذكر قولًا بأنه كتب سَبْعَ نسخ ثم قال والأول أصح وعليه الأئمة[2] اهـ وأقول إن إغفال رواية الداني إرسال مصحف إلى مكة دليل على ضعف هذه الرواية. وقد قيل أيضًا إنها كانت خمسًا[3].

لكن الذي جاء عن أبي حاتم السجستاني (سهل بن محمد ٢٥٥هـ) أن عثمان ﷺ نَسَخَ سبعة مصاحف. وأبو حاتم إمام كبير في اللغة والقراءات. وله كتاب في القراءات وصفه ابن جني بأنه «كبير»[4] قالوا عنه إنه «مما يفخر به أهل البصرة، فإنه أجلّ كتاب صُنِّف في هذا النوع إلى زمانه»[5]، ولعل هذا الكتاب هو المتضمن لما ذَكَر مكيّ من اختيار أبي حاتم قراءة أربعة وعشرين إمامًا ليس منهم حمزة والكسائي وابن عامر[6]. وأبو حاتم توفى سنة ٢٥٠/ ٢٥٥هـ فهو

---

(١) كتاب المصاحف ١١٥، والمرشد ٧٤.

(٢) المقنع ١٩.

(٣) ينظر الإبانة لمكي بن أبي طالب (تحـ د. عبد الفتاح شلبي) ص٢٩.

(٤) ينظر الخصائص ١/ ٧٥.

(٥) ينظر إنباه الرواة ٢/ ٦٣ وذكره في مسرد كتبه ٢/ ٦٢ ومعجم الأدباء (تحـ إحسان عباس ٣/ ١٤٠٦).

(٦) قال مكي في الإبانة ص٦ «ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر وزاد نحو عشرين رجلًا من الأئمة ممن هو فوق السبعة».

أقدم من ابن أبي داود، وابن مجاهد، وأبي عمرو الداني. وإمامته في القراءات – رواية وحفظًا (بأنه عرض على يعقوب وغيره وعرض عليه جماعة، وأنه صلى بالناس ستين سنة فما أخطأ مرة ولا لحن ولا أسقط ولا وقف إلا على تمام)[1] ودرايةً ودراسةً (بكتابه هذا) = إمامةٌ محققة، وتؤكد أنه أكثرُ من غيره جمعًا للمعلومات عن المصاحف العثمانية بالإضافة إلى زيادة التحري، كما أن تأخر زمانه إلى حدٍّ ما يساعد على ذلك أيضًا: وقد قال ابن أبي داود: سمعت أبا حاتم السجستاني قال: لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف فبعث واحدًا إلى مكة، وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وآخر إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة. وحبس بالمدينة واحدًا[2]. وقد زكّى ابن كثير رواية أبي حاتم هذه، وذُكرت في الإتقان، ولطائف الإشارات[3] وذكر ابن الجزري أن عثمان ﷺ أمسك لنفسه مصحفًا وجعل لأهل المدينة مصحفًا آخر. وبهذا صارت المصاحف ثمانية. وسيأتي في فصل (مصير المصاحف العثمانية ما يوثق إرسال مصحف إلى اليمن)[4]. ويؤيد ما رجحناه – من أن المصاحف التي نسخها عثمان كانت سبعة حسب ما رواه أبو حاتم السجستاني، ووافقه مكي بن أبي طالب في كتابه «الإبانة» قائلًا إن رواة أنها كانت سبعة مصاحف أكثر[5] = حاجةُ كل أقطار الأمة الإسلامية في ذلك العهد إلى تلك المصاحف بحيث لم

---

(١) ينظر غاية النهاية ١/ ٣٢٠.

(٢) كتاب المصاحف رقم ١١٦ وينظر المرشد الوجيز ص٧٢.

(٣) ينظر فضائل القرآن ٧٧، الإتقان (عالم الكتب) ٦٠، ولطائف الإشارات ١/ ٦٣ – ٦٤.

(٤) ينظر النشر لابن الجزري ١/ ٧ – ١/ ٦٣ – ٦٤.

(٥) ينظر الإبانة لمكي (تحـ د. شلبي) ص٢٩.

يكن قطر أولى بها أو أحوج إليها من قطر آخر إلا إلى حين. ويمكن تصور أن سبب اختلاف الروايات في عدد المصاحف العثمانية أن المصاحف كُتِبت وأرسلت على دُفَع متعددة، وأن الدفعة الأولى كانت أربعة مصاحف، وقد مضت رواية أنهم عَجَّلوا بمصحف إلى الكوفة – لما كان فيها من شدة الاختلاف – قبل أن يرسلوا مصحف الشام ومصحف البصرة[1]. فهذه الرواية تزكي أن المصاحف العثمانية كانت تكتب وترسل تباعًا كلما أُنجز منها شيء دون انتظار لسائرها، وهذا يتأتى منه الاختلاف في عدد المصاحف حسب علم كل من الرواة. ومن هنا أيضًا يفهم ما ذكره القرطبي أن عثمان «وجه للعراق والشام ومصر بأمهات»[2] أي مصاحف عثمانية – فزاد «مصر». وهذا حريٌّ أن يكون صحيحًا أيضًا. وبه تكون المصاحف التي كتبت تسعة منها المصحف الخاص الذي احتفظ به سيدنا عثمان ليقرأ فيه، وقتل ﷺ وهو في حجره.

(و) الجهات التي وزعت عليها المصاحف العثمانية:

عَبَّروا عن تلك الجهات مرة بالأمصار، وأخرى بالآفاق، وثالثة بالأجناد، ورابعة بالبلاد، وخامسة بالنواحي[3] والخَطْب في هذا هيّن، لأن المقصود واحد وهو القُرَى التي هي عواصم أقاليم الدولة الإسلامية حينذاك.

---

(١) كتاب المصاحف رقم ١١٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ١/ ٥٤.

(٣) استُعمل لفظ (الأمصار) في كتاب المصاحف رقم ٧٥، ٧٩، ٨١، ٨٣، والإبانة لمكي (تحـ د شلبي) ٣، ١٦، ولفظ (الأفاق) في فضائل القرآن لأبي عبيد ١٥٤، والمقنع ١٦، والمرشد الوجيز ٥٠، والمصاحف رقم ٦٧، ٧٢ ولفظ (الأجناد) فيه ٥٩، وفي المصاحف رقم ٧٠، ولفظ (البلاد) في المرشد ٦٤ ولفظ (النواحي) في المقنع ١٩.

وبما ذُكر في فقرة عدد المصاحف يتبين أنه أُرسل مصحف إلى **مكة**، وآخر إلى **الشام** (حمص)، وآخر إلى **اليمن**، وآخر إلى **البحرين**، وآخر إلى **البصرة**، وآخر إلى الكوفة، وآخر احتُفِظ به في المدينة، وآخر إلى مصر حسب ما ذُكِر قبلًا.

(ز) إرسال قراء مع المصاحف:

ونظرًا إلى أن الخط العربي حينئذ كان غير معجم بالنقط ولا بالشكل، وحرصًا على إتمام تحقيق الهدف من كتابة النسخ العثمانية وهو توحيد قراءة المسلمين لكتاب ربهم حسب ما ثبتت صحة السند به أنه الذي أقرأه رسول الله ﷺ المتلقين عنه، مع مطابقته لما كُتب بين يديه ﷺ وبإملائه، فقد قُرِن بكل مصحف قارئ يُطمأن إلى قراءته بالمستفيض الصحيح السند إلى رسول الله ﷺ، ليقود ذلك القارئُ أهلَ المِصر الذي بُعث إليه المصحف، فلا يكون هناك مجال لقراءة غير صحيحة السند، مهما اتفقت مع رسم المصحف. وهكذا كُلف زيد بن ثابت (الصحابي المشهور ت ٤٥/٤٨هـ) أن يقرئ أهل المدينة بالمصحف الذي خصص لهم، وعبدُ الله بن السائب (صحابي ت حوالي ٧٠هـ) أن يقرئ أهل مكة بالمصحف الذي أرسل إليهم، وأبو عبد الرحمن السلمي (تابعي ت٧٤/ ٧٣هـ) أن يقرئ أهل الكوفة بالمصحف الذي أرسل إليهم، والمغيرة بن أبي شهاب (تابعي ت ٩١هـ) – أن يقرئ أهل الشام بالمصحف الذي أرسل إليهم[١]، وعامر بن عبد قيس (تابعي ت قبل ٣٥هـ) أن يقرئ أهل البصرة بالمصحف الذي أرسل إليهم[٢]. وغني عن البيان أن كلًّا من هؤلاء كان ركنًا

---

(١) كان أبو الدرداء (رضي الله عنه) مقرىء دمشق قبل المغيرة قد طابق مصحفه على مصحف المدينة ينظر المصاحف (رقم ٥١٦).

(٢) ينظر جميلة أرباب المراصد للجعبري (ت٧٣٢) (مخطوط) عند شرح البيت: «وقيل مكة =

وثيقًا في القراءة الصحيحة السند. فزَيدٌ كاتب الوحي، وعبد الله بن السائب قرأ على أبيّ وابن عمر، والسُّلَمي قرأ على عثمان وعلِيّ وزيد وأبي وابن مسعود، والمغيرة قرأ على عثمان. أما ابن عبد قيس فقد غلبه التعبد، لكن البصرة كانت زاخرة بالأئمة الضابطين - كأبي الأسود (ت٦٩هـ) الذي قرأ على عثمان وعلي رضي الله عن الجميع، ثم تلاميذ أبي الأسود ابنه أبي حرب ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر. فأغنوا بأخذهم عن الصحابة وعلمهم عن جهد عامر بن عبد قيس. وهكذا أَحْكَمت المصاحف العثمانية ضبطَ القراءة الصحيحة السند المستفيضة في تلك الأمصار الخمسة التي يمكن أن يقال إنها كانت أمصار القيادة القرآنية والعلمية.

(ح) مقارّ المصاحف:

أما عن مقارّ المصاحف في الأمصار فلدينا خبران يستخلص منهما تحديد نوعِيّ لتلك المقّار: الخبر الأول رواه ابن أبي داود بسندٍ إلى الإمام القارئ السبعيّ حمزة بن حبيب الزيات أنه قال: كتب عثمان أربعة مصاحف، فبعث بمصحف منها إلى الكوفة، فوُضع عند رجل من مُراد (: اسم قبيلة عربية)، فبقي حتى كتبْتُ مصحفي عليه. وحمزة القائل: كتبت مصحفي عليه»[1].

والخبر الآخر هو أنه يفهم من قول الداني عن مصاحف عثمان «فوجه إلى الكوفة إحداهن ... وأمسك عند نفسه واحدة»[2]. أنه كان لديه مصحف في داره - قد يكون الخاص به، وقد يكون هو المخصص لأهل المدينة.

= والبحرين إلخ حيث ذكر هذا الخبر مسندًا (لأبي علي). ولعله الأهوازي (ت٤٤٦هـ).

(١) كتاب المصاحف رقم ١١٥.

(٢) المقنع ١٩.

فالمصحف كان يوضع في دار الإمارة أو المسجد الجامع أو دار مسلم يؤتمن عليه، كما وضع مصحف الكوفة عند رجل من مراد، لأن الإمام حمزة (٨٠ – ١٥٦هـ) أدركه ونقل منه مصحفه كما قال، وكما كان مصحف المدينة في دار سيدنا عثمان. وأرجح أن المصاحف العثمانية لم توضع منذ أول الأمر في المساجد خشية ضياعها أو تلفها، إذ لم تكن للمساجد خزائن ولا حراس في ما يرجَّح، ثم لما توفر ذلك نقلوها إلى المساجد لتكون متاحة مع المحافظة عليها.

(ط) كيفية الانتفاع بتلك المصاحف العثمانية في مقارها:

هناك نفع أساسي بتلك المصاحف كان هو الهدف من كتابتها وهو ضَبْطُ القراءة عليها، بحيث يلتزم أهل كل مصر بالقراءة بما يوافق رسم المصحف العثماني الذي أُرسل إليهم، ولو موافقة تقديرية: مثل قراءة {ملك يوم الدين} بألف بعد الميم وبغير ألف، فهي بالألف موافقة للرسم تقديرًا، من حيث إنه كان من المعتاد الجاري في كتابة ذلك العصر أن ألف الكلمة التي على وزن «فاعل» مفردة أو مجموعة (مثل ظالم/ شاهد، الظالمون، الخاسرون) لا ترسم[1] ويكون الفيصل في قراءتها بألف أو بلا ألف هو الرواية أي التلقي.

وهناك نفع أساسي آخر لتلك النسخ التي أرسلت إلى الأمصار مكمل للهدف الأول هو أن تكون متاحة لتعدّل المصاحف المخالفة لتصبح مماثلة لها أعني للمصاحف العثمانية. فقد كَلَّف عثمان حذيفة بن اليمان بالإشراف على هذا التعديل كما يؤخذ من خبر بهذا سيأتي[2].

---

(١) ينظر رسم المصحف ٣٠٧.

(٢) الخبر في كتاب المصاحف رقم ١١٧ وفيه اجتماع حذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري =

والنفع الثالث هو أن تكون متاحة لمن أراد أن ينسخ منها مصحفًا. وقد مرت بنا رواية كتابة الإمام حمزة الزيات القارئ السبعي مصحفًا لنفسه نقلًا من المصحف العثماني الذي كان في الكوفة عند رجل من مراد. ومن الطبيعي جدًّا أن المصاحف كثرت، وأن الناس كانوا يكتبون مصاحف نَسْخًا من المصاحف التي نُقلت من المصاحف العثمانية، أو التي نُقِلت مما نُقِل منها، وتقع الكتابة حينئذ تطوعًا أو بالأجر – مع عدم المنع من كتابة المصحف إملاء عن ظهر قلب، إذا استوفى المُمْلي الأهلية لذلك[1]: وفي جميع الحالات كانوا يتحرون من يحسنون الإملاء والكتابة[2]، ويلتزمون بمعارضة ما يكتب أي مراجعته[3] حرصًا

= وعبد الله بن مسعود، ومحاولة أبي موسى أن يستثنى بعض التعديل في مصحفه، ورفض حذيفة هذا الاستثناء. رضي الله عن الجميع. وسيأتي الخبر مفصلًا هنا في آخر الكلام عن مصير المصاحف الخاصة.

(١) أ – عن سؤال الرجل غيره أن يكتب له المصحف/ ينظر «المصاحف» رقم ٥٣٦، ٥٥٩، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، وعن كتابة المصحف بالأجرة ينظر «المصاحف» رقم ٣٦٤ إلى ٣٧٨.
ب – عن كتابة المصحف إملاء عن ظهر قلب ينظر «المصاحف» ٤١٠ إلى ٤١٢.

(٢) عن التحري: أ – ينظر ما كان **أولاً من التحري في الإملاء** من أجل ضبط عروبة اللفظ القرآني قول عمر «لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف» (المصاحف رقم ٣٥، ٣٧).
ب- ثم عن التحري في الكتابة قول ابن مسعود «لا يكتب المصاحف إلا مضرى» قال ابن أبي داود هذا من أجل اللغات» (المصاحف ٤٠١) فهذا لضبط الإملاء والكتابة معًا.
د – ثم الحرص على تجريد المصاحف من بيان السورة والعَشْر..إلخ المصاحف رقم٤١٣ إلى٤٤٤.

(٣) ينظر ما كان أولًا من ذهاب وفد أهل دمشق مع أبي الدرداء بمصحفهم إلى المدينة ليعرضوه على أبيّ وزيد بن ثابت (المصاحف رقم ٥١٦)، ثم مجالس عرض، وتنويه بوقوع العرض (نفسه رقم ٥١٧ - ٥٢٠) حيث تنويه سعيد بن جبير بأنه أقام سقط مصحف فأصبح صالحًا لأن يباع.

وحفاظًا على كتاب الله. وسنعود إلى الكلام عن مسيرة المصحف إلى العصر الحديث بعد المسألة التالية.

(ي) مصير المصاحف الخاصة السابقة على المصاحف العثمانية:

تحقيقًا للهدف من نسخ المصاحف العثمانية وهو توحيد القراءة أمر عثمان رضي الله عنه بالتخلص مما في المصاحف الخاصة مما يخالف المصاحف العثمانية. واتخذ ذلك التخلص صورًا خَمْسًا: جمع تلك المصاحف، محو ما فيها، تحريقها، تمزيقها، تعديل ما فيها مع إبقائها مع أصحابها.

وقد جاءت الروايات عن الصور الأربع الأولى كما يلي:

أ- فأمر (عثمان) بجمع المصاحف وأحرقها»[1].

ب - فلما فرغ (من كتابة المصاحف) كتب إلى أهل الأمصار: «إني قد صنعت كذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم»[2].

جـ - «وأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به»[3].

د - .. «ثم أمر بما سوى ذلك من القراءة في كل صحيفة أو مصحف أن يمزَّق أو يُحْرق»[4].

هـ - «فرأوا (يعني الصحابة لما شاورهم عثمان) أن يجمعوه (أي القرآن) في

---

(١) كتاب المصاحف = رقم ٨٠.

(٢) نفسه الأثر ٧٥.

(٣) نفسه رقم ٧٠.

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٤.

مصحف واحد، ثم يفرق في البلاد مصحفًا مصحفًا، ثم تحرق سائر الصحف»[1].

و - «ثم أمر بما سوى ذلك من القراءة في كل صحيفة أو مصحف أن يُحَرَّق»[2].

ز - قال مصعب بن سعد بن أبي وقاص «أدركت الناس حين شقق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك»[3].

ح - «ثم إن عثمان أمر بما سواها (أي بما سوى المصاحف العثمانية) من المصاحف أن تحرق أو تخرق. تروى بالحاء غير منقوطة وتروى بالخاء على معنى ثم تدفن. ورواية الحاء غير منقوطة أحسن»[4].

ط- «وحرق ماعدا ذلك من المصاحف، وقيل إنه سخن الماء لها، وألقاها فيه»[5].

فالجمع واضح في الرواية أ، والمحو في الروايتين ب، ط، والتحريق في الروايات أ، جـ د، هـ ح، ط والتمزيق في الروايات د، و، ز، ح. وستأتي صورة التعديل.

- وواضح أن الصور المذكورة كلها تتأتى ولا ينافي بعضها بعضًا، لأن الكم كبير منتشر في الدولة، وكل من الصور تحقق الغرض بشكل ما، والاجتهادات في التنفيذ واردة في نطاق ما يحقق الغرض.

- فأما المحو بغسل المكتوب أو ما إلى ذلك (كما في الرواية ط) فإنه يذهب

---

(١) المرشد الوجيز ٦٤.

(٢) نفسه ١٦ وينظر الإبانة لمكي بن أبي طالب ٢٧ وربما ٢٩ أيضًا.

(٣) المقنع ١٨. وفيه ص١٥ عن أنس: «وألقى سوى ذلك (أي ما سوى المصاحف العثمانية) من المصاحف» ولعله يقصد: استبعد أو استغنى عن. وقد تركناها لأننا نبحث عن كيفية الاستبعاد. وقد تكون كلمة ألقى في هذه الرواية محرفة عن «ألغي» بالغين.

(٤) تفسير القرطبي ١/ ٥٤ عن ابن عطية.

(٥) الإبانة لمكي بن أبي طالب ٢٩.

بالكتابة، وأما الإحراق فإنه يذهب بالكتابة والمادة المكتوب فيها - والأمران يُنهِيان وجودَ الكتابة.

- أما التمزيق وليلاحظ التعبير عنه بالتخريق، لأن الكتابة في الجلود كانت هي الأشيع، وليس تمزيقها سهلاً إنما هو تخريق يهلهل الجلد - فيُبْقى كثيرًا من المكتوب في الجلد كما هو. كذلك الجمع يبقي المصحف كما هو لكن ينقله إلى حوزة الجامع وهو هنا الدولة، ثم تبقى خطورة وجوده كما هي. وأخيرًا يبقى أيضًا ما ذكرناه من التعديل. ونتكلم الآن عن هذه الثلاثة.

- أما التعديل فأثبتنا وقوع الاكتفاء به أحيانًا - أو على الأقل محاولة الاكتفاء به مما حدّث به عبد الأعلى الكلابي أنه جاء دار أبي موسى الأشعري، فإذا حذيفة ابن اليمان، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن مسعود، وعندهم مصحف أرسل به عثمان وأمرهم أن يقيموا مصاحفهم عليه. فقال أبو موسى. ما وجدتم في مصحفي هذا من زيادة فلا تنقصوها، وما وجدتم من نقصان فاكتبوه، فقال حذيفة: كيف بما صنعنا؟ والله ما أحد من أهل هذا البلد (الكوفة) يرغب عن قراءة هذا الشيخ - يعني ابن مسعود، ولا أحد من أهل اليمن يرغب عن قراءة هذا الشيخ يعني أبا موسى الأشعري ..»[1].

وصدر الحديث واضح في أن المطلوب أن يعدّل أصحاب المصاحف مصاحفهم لتكون مثل المصحف الذي أرسل به عثمان. ثم نجد أن أبا موسى يريد أن يحتفظ بما في مصحفه من زيادات، وأن حذيفة (الذي يبدو أنه كان مكلفًا من قِبَل عثمان بالإشراف على تنفيذ ذلك، وكان هو الذي استنفر عثمان ليوقف

---

(١) الحديث بطوله في كتاب المصاحف رقم ١١٧.

الاختلاف في المصاحف) رفض تحقيق رغبة أبي موسى، مشيرًا إلى أنهم نفّذوا التعديل كاملًا في كل ما تعرضوا له من مصاحف قبل هذا المجلس، وإلى أن الاستجابة لرغبة أبي موسى ستفتح باب الاستثناء، بدءًا بابن مسعود، لأن لابن مسعود من الجماهير التي تتمسك بمصحفه مثلَ ما لأبي موسى أو أكثر. انتهت خلاصة الخبر. ونحن لا نتصور إلا أنّ مطلب حذيفة بتنفيذ التعديل كاملًا هو الذي تحقق، انصياعًا لولي الأمر، ولأنه سُجِّل أن ابن مسعود انصاع هو الآخر لتوجيه عثمان بشأن المصاحف [1] ﷺ جميعًا. والقصة واضحة الشهادة على أن تعديل المصاحف المكتوبة قبل المصاحف العثمانية لتكون مثلها كان أحدَ صور التخلص مما فيها من قراءات مخالفة.

- وأما الجمع أعني جمع المصاحف المخالفة - والمتوقع أنها كانت كثيرة، فإنه كان هناك في أول الأمر استثارةٌ لعدم تسليم المصاحف، لكنها لم تستمر والحمد لله. وقد حفظت لنا الروايات بعض صور ذلك الجمع: أحدها ما جاء عن عمرو ابن شرحبيل أنه رَقِيّ إلى حيث كان الأشعري وابن مسعود وحذيفة جالسِين فوق سطح منزل (أبي موسى) «فإذا حذيفة وابن مسعود يتقاولان. وحذيفة يقول لابن مسعود: ادفع إليهم المصحف فقال (ابن مسعود): والله لا أدفعه. فقال (حذيفة): ادفعه إليهم فإنهم لا يألون أمة محمد إلا خيرًا. فقال (ابن مسعود): والله لا أدفعه إليهم. أقرأني رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة،

---

(١) ينظر كتاب المصاحف رقم ٦٦ وصورة رضاه أنه ذكّر أتباعه بحديث الأحرف السبعة بما يعني أنه لا حرج عليهم في القراءة بغير حرفه، وأن ذلك لا يضايقه. وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن/ الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١/ ٥٢ - ٥٣.

وأدفعه إليهم؟! والله لا أدفعه إليهم»[1].

فهذه الصورة فيها محاولة ولي الأمر ممثَّلا في حذيفة أخْذَ مصحف ابن مسعود، لتتوقف القراءة به، من أجل جمع الناس على حرف واحد. وحذيفة يحاول أن يقنع ابن مسعود بأن هذا الإجراء قُصِدَ به خير الأمة. وتكملة للخبر فإنه سواء سلّم ابن مسعود مصحفه أو لم يسلمه فإنه رجع إلى حظيرة الجماعة بعد أن سكت الغضب عنه ﷺ.

وثانية الصور رُويت عن «محمد بن أبيّ بن كعب أن ناسًا من أهل العراق قدموا إليه (في المدينة) فقالوا: إنا تحملنا إليك من العراق فأَخْرِجْ لنا مصحف أبيّ. قال محمد: **قد قبضه عثمان. قالوا سبحان الله(!)** أخرجه لنا. قال **قد قبضه عثمان**»[2] والشاهد في الخبر (بصرف النظر عن ذلك السعي المُريب) هو أن ما ذكره محمد بن أبيّ من قبض عثمان مصحف أبيه هو من جمع المصاحف الذي ذكرناه.

والسؤال الذي يترتب على إثبات جمع المصاحف الخاصة من أيدي الناس هو: ماذا كان مصير تلك المصاحف المجموعة؟ وكذلك المصاحف التي خُرِّقت ماذا فعلوا بها بعد التخريق؟.

أما بالنسبة للمصاحف التي **خُرِّقت** فالراجح أن الجلود التي كانت مكتوبة فيها قد دفنت بعد التخريق، وذلك حسب ما جاء في الرواية رقم (ح) في فصلة:

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيدة ١٥٧، لا يألون: لا يقصرون ولا يفترون في ذلك أي هم يجتهدون في السعي لخير الأمة.

(٢) كتاب المصاحف ٣٢ – ٣٣ وفضائل القرآن لأبي عبيد ١٥٧ – ١٥٨.

«مصير المصاحف الخاصة» التي أسلفناها – وهي عن الإمام أبي محمد بن عبد الحق بن عطية صاحب تفسير «المحرر الوجيز».

وأما بالنسبة للمصاحف التي جُمعت فلدينا خبران عن مصيرها:

أحدهما: رواه إبراهيم بن يوسف السعدي الذي وثقه ابن أبي داود عن أبي المُحَيّاة عن بعض أهل طلحة بن مصرف قال: «دفن عثمان المصاحف بين القبر والمنبر»[1] أي بين قبر مولانا رسول الله ﷺ ومنبره.

والخبر الثاني رواه ابن شبة في تاريخ المدينة المنورة أن عثمان رضي الله عنه جعل ما جمعه من القرآن من الناس، فجعله في صندوق، ثم جمع جماعة من الصحابة فاستشارهم فيه فقال بعضهم: حَرِّقْه. فكره ذلك، وحفر تحت درجة منبر رسول الله ﷺ، فدفنه فيه وسوّى عليه»[2] اهـ.

والخبران يؤكد أحدهما الآخر – كما ترى، لأن ما تحت درجة المنبر هو بداية أو نهاية لقطعة الأرض التي حفرت بين القبر والمنبر ودفنت فيها المصاحف التي جمعت، والحمد لله رب العالمين.



(١) كتاب المصاحف أثر رقم ١١٤.

(٢) ينظر تاريخ المدينة المنورة ٣ – ١٠٠٣ (هذا الخبر بتوثيقه هذا نقلته من تعليق محقق كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد – وهبي سليمان عاوجي ص١٥٦).

الفصل الخامس
مسيرة كتابة المصحف

أسلفنا أن المصحف الإمام كان يوضع في دار الإمارة أو المسجد الجامع أو في دار مسلم يؤمن عليه. ثم إن الأمر يتطلب شيئًا من التفصيل لتتبع مسيرة المصحف إلى عصرنا الحاضر. فبعد استقرار أمر المصاحف العثمانية في الأمصار، كان من الطبيعي أن يحرص كثيرون على اقتناء مصاحف خاصة لأنفسهم – كما أنه من الطبيعي أن يحرصوا على استظهار النص القرآني الكريم، لأنه – مع السنة النبوية الشريفة – هو العِلْم العام، والثقافة العالية، والتشريع الاجتماعي، ومؤهِّل البروز وأداء دور في المجتمع. بالإضافة إلى أن تلاوة القرآن من مصحف أو عن ظهر قلب هي عبادة مقربة إلى الله. ومن هنا كثر الطلب على اقتناء المصاحف، وبالتالي اتجه كثيرون لكتابتها تلبية لهذه الحاجة.

ولقد عُرف أفراد وشُهِروا بكتابة المصاحف منذ عهد سيدنا عثمان، واستمر الأمر على ذلك بعده. وقد عرفنا أخذًا من كتب متخصصة عددًا من هؤلاء الذين اشتهروا بكتابة المصاحف. منهم **مالك بن أبي عامر الأصبحي** (ت٧٤هـ) جد الإمام مالك إمام المذهب، فقد قال الإمام عن جده هذا إن سيدنا عثمان كان يُكتبه المصاحف[1]. كذلك عرفنا منهم **عمرو بن نافع** (أو رافع) مولى عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– الذي كان يكتب المصاحف في عهد أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم– وكتب

(١) ينظر كتاب المصاحف تحـ د. محب الدين واعظ ١/ ٢١٥ الأثر ٩٣.

لأم المؤمنين حفصة مصحفًا[1]، **وعبد الله بن رافع** الذي كتب لأم المؤمنين أم سلمة مصحفًا[2]، **وحكيمة العبدي** الذي كان يكتب المصاحف بالكوفة فيمر عليه سيدنا علي فيقوم ينظر ويعجبه خطه[3]، **وعبد الله بن فطيمة**[4]، **ويزيد الفارسي** كان يكتب لعبيد الله بن زياد[5]، **ومالك بن دينار** (١٣٠هـ) الذي اتخذ كتابة المصاحف حرفة[6]، **ومطر بن طهمان** الوراق (ت١٢٠/ ١٢٩/ قبل ١٤٠هـ) كذلك[7]. وكتب رجل من أهل الحيرة لعبد الرحمن بن أبي ليلى (٨٢هـ) مصحفًا لقاء ٧٠ درهمًا[8] (ويضم إلى هؤلاء **نقاط المصاحف** أولهم أبو الأسود ظالم بن عمرو (٦٩هـ)، ثم نصر بن عاصم (٩٠هـ) وميمون الأقرن، وعنبسة الفيل، ويحيى بن يعمر (نحو ١٢٩هـ)، وعبد الله بن أبي إسحاق (١٢٧هـ)[9]. ثم ابتكر الخليل بن أحمد (١٧٠هـ) رموزًا للهمزة، وللشدة، وللفتح والضم والكسر والسكون، (هي المستعملة إلى عصرنا الحالي)، وللروم والإشمام[10] ويغلب علي

---

(١) نفسه ١/ ٣٧٢ – ٣٧٧ – الآثار ٢٤٣ – ٢٤٧.

(٢) نفسه ١/ ٣٧٧ – ٣٧٩ – الآثار ٢٤٨ – ٢٥١.

(٣) نفسه ٢/ ٤٩٤ – ٤٩٥ – ٣٦٤ – ٣٦٧.

(٤) ينظر المصاحف ١/ ٢٣١ – الأثر ١٠٨.

(٥) ينظر المصاحف ١: ٤٦٢ الأثر ٣٤٧.

(٦) نفسه/ ٤٩٥ – ٤٩٧ – الآثار ٣٦٨ – ٣٧٠.

(٧) نفسه ٢/ ٤٩٧ – الآثار ٣٦٨ – ٣٧٠.

(٨) كتاب المصاحف ٢/ ٥٠١ – الأثر ٣٨٧.

(٩) ينظر المحكم للداني تحـ. د. عزة حسن ٤٠٧.

(١٠) نفسه ص٦، وقد استعمل سيبويه في كتابه (هارون) ٤/ ١٦٩ علامة للإشمام وأخرى للروم.

الظن أن مهمة النقط والشكل انتقلت إلى كُتَّاب المصاحف بعد انتشار كتابتها وبعد أن ابتكر الخليل رموزه).

ونعود إلى كتابة المصاحف فنجد في أخبار أبي عمرو الشيباني (إسحاق بن مرار (ت بعد ٢٢٠هـ - عن عمر يبلغ ١١٨ عامًا) أنه كان يجمع أشعار القبائل، فكلما جمع شعر قبيلة وكتبه، كَتَب مصحفًا تقربًا إلى الله، ووضعه في مسجد الكوفة - حتى كتب نيفًا وثمانين مصحفًا[١].

وقد ذكر ابن النديم (ت نحو ٣٨٠هـ) في فصلة من كتابه الفهرست خاصة بكُتَّاب المصاحف - أسماء ثلاثة وعشرين كاتبًا كان الأولان منهم في عهد الرشيد (ت١٩٣هـ) وقال عن الأخيرين «وأبو بكر أحمد بن نصر، وابنه أبو الحسين، ورأيتهما جميعًا»، كما ذكر أسماء ثمانية عشر آخرين. يبدو أنهم اشتهروا بحسن الخط فحسب. ثم أتى ابن النديم بفصلة عن الأقلام (= الخطوط) والخطاطين (مجودي الخط). ومنهم المشهور بلقب (مقلة) وأولاده وأحفاده في القرن الرابع الهجري، كما ذكر أنواع الخطوط، وما يختص منها بالمصاحف[٢]. وقد جاء بعد آل مقلة ابن البواب علي بن هلال (ت٤٢٣هـ) الذي كتب المصحف بيده أربعًا وستين مرة[٣]. وقد نوّه ابن كثير بتهذيب ابن مقلة وابن البواب الخط الذي ثبت بعدهما[٤].

وأُثِرت منذ القرن الأول - أخبار ومسائل ومذاهب خاصة بأسلوب

---

(١) ينظر إنباه الرواه للقفطي تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ٢٥٦.

(٢) ينظر الفهرست (ط الهيئة العامة لقصور الثقافة) ١/ ٧، ٨، ٩ ثم ٧٦.

(٣) ينظر ترجمة ابن البواب في الأعلام للزركلي ط ٤ - ٥/ ٣٠.

(٤) ينظر فضائل القرآن لابن كثير (الحويني) ٩١.

الحصول على مصحف باستئجار كاتب[1] –أو استكتاب من يحتسب[2] أو بالشراء ويلزمه حكم بيع المصحف[3]، وحول تكبير خط المصحف وتصغيره[4]، ونقط المصاحف بالنحو (أي بحركات الإعراب)[5]، وكذلك حول كتابة معلومات في أثناء المصحف مثل اسم السورة، وعدد آياتها، وتعليم رءوس الآى بالنقط، وتعشير المصاحف أي تحديد كل عشر آيات = أو تجريدها من ذلك كله[6].

وحرصًا على سلامة النص الكريم كانوا يفضلون أن يكون الكاتب أو المملي من قبائل معينة[7]، وأن تكون الكتابة بخطوط معينة[8].

وهنا أمر جد مهم وهو أنهم كانوا يراجعون المصاحف التي تكتب للاطمئنان على صحة رسم النص القرآني الكريم الذي نُقِل فيها، وذلك استمرارًا لما كان في عهد سيدنا عثمان –رضي الله عنه– وقد ذكرنا من قبل أن أبا الدرداء ركب إلى المدينة في نفر من أهل دمشق، ومعهم المصحف الذي جاء به أهل

---

(١) ينظر كتاب المصاحف ٢/ ٤٩٥ – ٥٠١ – الآثار ٣٦٨ – ٣٧٧ ثم ٣٨٢، ٣٨٤ – ٣٨٧، ٦٠٤، ٦٠٦، ٦٠٨، ٦١٠.

(٢) نفسه ٢/ ٤٩٩ – ٥٩٨، الآثار ٣٨١، ٣٨٠ – ومعها ٥٩٤، ثم ٥٢٧، ٥٣٦، ٥٥٩، ٥٩٢، ٥٩٤، ٦٠٤، ٦٠٦، ٦٠٩ – ٦١١.

(٣) نفسه ٢/ ٥٠٠، ٥٩٦ – آثار ٣٨٣ – ٣٨٥، ٥٢٤، ٦٠٨.

(٤) نفسه ٢/ ٤٩٤ – ٤٩٥، ٥٠٦ – ٥٠٨ – الآثار ٤٦٤ – ٤٦٧، ٣٩٥، ٤٠٢ – ٤٠٩.

(٥) نفسه ٢/ ٥٢١ – ٥٢٩ الآثار ٤٤٥ – ٤٦٩.

(٦) نفسه ٢/ ٥١١ – ٥٢١ – الآثار ٤١٣ – ٤٤٤، ٤٧٠ – ٤٧١.

(٧) نفسه ١/ ١٧٣ – الأثر ٣٥ – ٣٧ (غلمان قريش أو ثقيف)، ٢٣١ – رقم ١١٠ (هذيل وثقيف)، ٢/ ٥٠٦ – الأثر ٤٠١ (مُضَرِيّ).

(٨) نفسه ٢/ ٤٩٤ – ٤٩٥ – الأثر ٣٦٤ – ٣٦٧، ٢/ ٥٠٣ – الأثر ٣٩٥.

دمشق، ليعرضوه على أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وعليّ وأهل المدينة[1]. وهناك خبر آخر عن تجمع لعرض المصاحف - أي مراجعتها - مع عمرو بن العاص (ت٤٣هـ)[2]، وخبر ثالث عن تجمع آخر لعرض المصاحف عند علقمة النخعي (ت٦٢هـ)[3]، وخبر رابع أن إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي (ت٩٥/ ٩٦هـ) كان لا يأخذ على مراجعة المصاحف أجرًا[4] أي أنه كان يراجع المصاحف. وهناك خبر خامس أن عطية بن قيس الكلابي الحمصي الدمشقي (ت ١٢١ وقد جاوز المئة) كان الناس يصلحون مصاحفهم على قراءته وهم جلوس على درج مسجد دمشق من قبل أن يبنيه الوليد بن عبد الملك (ت٩٦هـ)[5] وخبر سادس أن سعيد بن جبير (ت٩٥هـ) عرض (أي راجع) مصحفًا يملكه شخص آخر، ثم إن سعيدًا زكّى ذلك المصحف لمن يريد أن يشتريه، لأنه اطمأن إلى سلامة النص الكريم فيه[6]، وخبر ثامن أن زبيد بن الحارث اليامي (ت١٢٢/ ١٢٣/ ١٢٤هـ) كان إذا حضر شهر رمضان عرض القرآن فاجتمعوا إليه بالمصاحف[7]. وخبر ثامن أن يحيى بن أبي كثير (ت١٢٩/ ١٣٢هـ) كان

---

(١) نفسه ٢/ ٥٥٩ - الأثر ٥١٦ - (ويمكن أن تكون العبارة «وزيد بن ثابت وعلى أهل المدينة». وهذا حدّ الشاهد. والخبر يدل على حرص أبي الدرداء على ضبط إقرائه مبكرا.

(٢) نفسه ٢/ ٥٦١ - الأثر ٥١٧.

(٣) نفسه ٢/ ٥٦١ - الأثر ٥١٩.

(٤) ٢/ ٥٨٤ - الأثر ٥٧٠ و٢/ ٥٨٩ - الأثر ٥٨٨.

(٥) ينظر المرشد الوجيز لأبي شامة ١٦٥، وترجمة عطية هذا في غاية النهاية ١/ ٥١٣ - ٥١٤.

(٦) نفسه ٢/ ٥٦٢ - الأثر ٥٢٠.

(٧) نفسه ٢/ ٥٦١ - الأثر ٥١٨.

يصلح المصاحف على قرائه[1] أي يصلحها لهم. وخبر تاسع أن الإمام الكسائي علي بن حمزة (ت١٨٩هـ/ ...) لما كثر القراء عليه كان يوضع له كرسي أو منبر فيجلس عليه ثم يقرأ هو القرآن وهم يسمعون ويضبطون كتبهم (المقصود يقينًا: مصاحفهم) حسب قراءته[2] وفي خبر آخر أنهم كانوا ينقطون مصاحفهم ويضبطونها على قراءة الكسائي[3]، وآخر: أن إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين ١٧٠هـ قارئ مكة كانوا يجيئون بمصاحفهم فيقرأ عليهم فيصلحون (أي مصاحفهم) بقراءته وكان يجلس على موضع مرتفع[4]، وآخر: جاء في ترجمة غازي بن قيس (ت١٩٩هـ) في غاية النهاية أنه صحح مصحفه على مصحف نافع بن أبي نعيم (إمام القراءات ١٦٩هـ) ثلاث عشرة مرة. وجاء في ترجمة أبي حيان التيمي (يحيى بن سعيد ت١٤٤هـ) في غاية النهاية قال يوسف القطان قلت لجرير بن عبد الحميد كيف أخذتم هذه الحروف عن الأعمش (سليمان بن مهران ت١٤٨هـ)؟ قال جرير «إذا كان شهر رمضان جاء أبو حيان التيمي (ت١٤٤هـ) وحمزة الزيات (الإمام ت١٥٦) مع كل منهما مصحف فيمسكان على الأعمش المصاحف، ويقرأ، ويجتمع الناس ويسمعون قراءته. فأخذنا الحروف من قراءته» وأقول ولاشك أنه كان هناك من يضبط مصحفه على قراءة الأعمش لأنه كان إمامًا جليلًا، وإنما لم يذكر ذلك لأن السؤال كان عن الحروف.

---

(١) نفسه ٢/ ٥٦٣ – الأثر ٥٢٣.

(٢) ينظر ترجمة الكسائي في غاية النهاية ٥٣٨.

(٣) ينظر جمال القراء للسخاوي ٢/ ٤٧٧. تلحظ عبارة «ويتتبعون ألفاظه».

(٤) جمال القراء ٢/ ٤٤٩.

ثم أقول إن هذه الأخبار – ولا بد أن هناك غيرها – فيها سند وثيق لانتشار مراجعة المصاحف بعد كتابتها، وأن ذلك كان خطوة راتبة في كتابة المصاحف.

ونختم هذا المبحث بنقلٍ عن مسيرة المصحف عندما اختُرِعت الطباعة بعد خمسة قرون من تهذيب ابن مقلة وابن البواب – من كتاب د. صبحي الصالح رحمه الله. قال: «وقد ظل الخطاطون يكتبون المصاحف بالخط الكوفي حتى أواخر القرن الرابع الهجري. ثم حل محله خط النسخ الجميل في أوائل القرن الخامس. وفيه جميع النقط والحركات التي ما نزال نستخدمها في الكتابة إلى يومنا هذا».

«ويشاء الله أن ينتشر كتابه في الآفاق بوساطة الطباعة. وهذه أيضًا مرت – ككتابة القرآن خطيًّا – بأطوار التجويد والتحسين. وقد ظهر القرآن مطبوعًا للمرة الأولى في البندقية في حدود سنة ١٥٣٠م (=٩٣٧هـ)، ولكن السلطات الكنيسة أصدرت أمرًا بإعدامه حال ظهوره. ثم قام هنكلمان Hinkelman بطبع القرآن في مدينة هانبورج سنة ١٦٩٤م (١١٠٦هـ)، ثم تلاه مراكشي Marracci بطبعه في بادوا Padue سنة ١٦٩٨م (١١١٠هـ). ولم يكن لأي واحدة من هذه الطبعات الثلاث أثر يذكر في العالم الإسلامي. ثم ظهرت أول طباعة إسلامية خالصة للقرآن في سانت بترسبورج بروسيا Saint Petersbourg سنة ١٧٨٧م (١٢٠٢هـ) وهي التي قام بها مولاي عثمان، وظهر مثلها في قازان. وإذا بإيران تقدم طبعتين حجريتين إحداهما في طهران سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م. ويقوم فلوجل Flugel سنة ١٨٣٤م (١٢٥٠هـ) بطبعته الخاصة للقرآن في ليبزيغ Lipzig، فيتلقاها الأوربيون بحماسة منقطعة النظير بسبب إملائها الحديث السهل. ولكن لا تصيب نجاحًا في العالم الإسلامي» وتظهر في الهند طبعات للقرآن أيضًا».

ثم تعني الأستانة ابتداء من سنة ١٨٧٧م (١٢٩٤هـ) بهذا الأمر العظيم[١]

[ونتدخل هنا لنضيف أن الطباعة دخلت تركيا في عهد السلطان أحمد الثالث (١١١٥ – ١١٤٣هـ = ١٧٠٣ – ١٧٣٠م) لكن حُرِّم طبع المصاحف]. فإذا كانت عبارة «تُعْنَى الآستانة» هذه التي ذكرها د. صبحي الصالح يقصد بها إباحة طبع المصاحف في تركيا فهذا تاريخ يرصد.

وفي مصر أنشأ محمد علي [حكم ١٢٢٠ – ١٢٦٦هـ = ١٨٠٥ – ١٨٤٩م] المطبعة الأهلية (= مطبعة بولاق) سنة ١٢٣٧هـ ١٨٢١م (وذلك بعد مطبعة الحملة الفرنسية (١٧٩٨ – ١٨٠١م). وفي ما قبل (١٣٠٨هـ ١٨٩٠م) – كانت المصاحف تُطبع في مصر لكن بالخط الإملائي أي دون الالتزام بالرسم العثماني. أما في هذه السنة أعني ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م فقد طُبع في مصر أول مصحف يُلتَزَم فيه بالرسم العثماني بعد أَنْ أَصّل لكل دقيقة وجليلة فيه وَنَفَّذَها بخطه الشيخ رضوان بن محمد المخللاتي (ت١٣١١هـ - ١٨٩٣م) من حيث رسم الكلمات والنقط والشكل، وعدد آيات كل سورة، وتحديد مواضع الوقف بأنواعه وبرموزها. فجزى الله ذلك العلامة الشيخ المخللاتي خيرًا وضاعف مثوبته. وقد ظل هذا المصحف هو المتداول بين أهل العلم وعلم القراءات والمعول عليه عندهم لما اشتمل عليه من المزايا الآنفة الذكر. ولكنه كان قد طُبع في مطبعة حجرية، وعلى ورق غير جيد. وكان يجرى طبع مصاحف أخرى دون التزام بالرسم العثماني - حتى بعد صدور مصحف الشيخ رضوان المذكور. ثم أصدرت مشيخة الأزهر سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م قرارًا بتحريم طبع وتداول –

---

(١) مباحث في علوم القرآن د. صبحي الصالح ٩٩ – ١٠٠.

بل مصادرة أيّ مصحف في مصر يكون مطبوعًا بغير الرسم العثماني[1]. ثم شُكّلت لجنة - عينها الملك أحمد فؤاد [فؤاد الأول - حكم ١٣٣٦ - ١٣٥٥هـ - ١٩١٧ - ١٩٣٦م]: من الشيخ محمد خلف الحسيني (الحداد) [ت١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م] والأساتذة حفني ناصف [ت١٣٣٨هـ - ١٩١٩م] ومصطفى عناني [ت١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م]، وأحمد الاسكندري [ت١٣٥٧هـ - ١٩٤٣م] للنظر في رسم المصحف، وضبطه، وما يجب أن يكون عليه في الطبع. فقامت اللجنة بعملها على خير وجه، وكتبه الشيخ محمد علي خلف الحسيني بخطه. وبذا «ظهرت في القاهرة طبعة أنيقة جميلة دقيقة لكتاب الله سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م تحت إشراف مشيخة الأزهر، وبإقرار اللجنة المعيّنة من قِبل الملك فؤاد الأول. وقد كُتِب هذا المصحف وضُبِط على ما يوافق رواية حفص لقراءة عاصم. وقد تلقى العالم الإسلامي هذا المصحف بالقبول، وأصبحت ملايين النسخ التي تطبع منه سنويًا هي وحدها المتداولة، أو تكاد تكون وحدها المتداولة، لإجماع العلماء في مشارق الأرض ومغاربها على الدقة الكاملة في رسمه وكتابته»[2].

لقد يسرت الطباعة طبعَ ما لا يحصى من المصاحف في كل من أقطار العالم الإسلامي أو في أكثرها على الأقل، وبأكثر من أداء (حفص، ورش، قالون، قنبل، أبو عمرو ..)، وبأكثر من تحسين: بعضه في نفس خط المصحف مثل تلوين مواضع أحكام التجويد بألوان مختلفة حسب نوع الحكم (مدّ، إدغام، تنوين،

---

(١) ينظر رسم المصحف د. عبد الحي الفرماوي ٢٤٤ - ٢٤٩، ورسم المصحف. د. غانم الحمد ٦٠٤ - ٦٠٥.

(٢) مباحث في علوم القرآن د. صبحي الصالح ٩٩ - ١٠٠.

إظهار إلخ) مثل المصحف المعلم (مصر والسعودية)، ومصحف التجويد (سورية). وبعضه على حواشي النص الكريم - كالقراءات الأربع عشرة (الميسر: سورية ولبنان) وكالتفسير الخفيف (كالجلالين، ومصحف التجويد، وتفسير وبيان كلمات القرآن (سورية، مصر، السعودية، الأردن)، وتفسير كلمات القرآن الكريم للشيخ حسنين مخلوف. (مصر وسورية). وكل هذا الذي ذكرناه هو مجرد أمثلة لا يقصد بها الإحصاء.

والجدير بالذكر أن المصحف يتم طبعه في أي قطر بعد مراجعة هيئة رسمية مختصة بذلك، تراجع المصحف المقدم إليها للاطمئنان على سلامة كتابة النص فيه حسب الرسم العثماني، وحسب أدائه. ثم تعطي طالب نشر المصحف تصريحًا بالطبع والتداول محدَّد المدة. وقد لوحظ أن التصريح الواحد المبني على مراجعة لجنة رسمية معينة لكتابة خطاط معين مصحفًا = يمكن أن تتبناه عدةُ نشرات، وعدة جهات طبع ونشر. وهذا أمر لا بأس به، بل هو جيد من حيث حصر الصور المعتمدة للرسم في عدد محدد ضمانًا للسلامة ولدقة المراجعة والإتقان وحسن الإخراج.

ولا بد في ختام هذا المبحث من التنويه بإنشاء الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله (ت١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) ملك المملكة العربية السعودية - سنة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م) مُجمعًا لطبع القرآن الكريم حسب القراءة المشهورة في كل من أقطار المسلمين، مع توفير أعلى مستوى من الهيئات العلمية المتخصصة في كلٍّ من جوانب هذا المجال، وذلك لتيسير حصول كل المسلمين في كل أقطار الأرض على كتاب ربهم إهداءً بلا مقابل. وشكلت في ربيع الآخر (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)

لجنة من كبار علماء القرآن والقراءات في السعودية ومصر لمراجعة المصحف المراد طبعه، وأتمت اللجنة مراجعة أول مصحف طبعه مجمع الملك فهد في جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، وسمي مصحف المدينة النبوية. فجزى الله كل من أسهم في إنشاء هذا المجمع أو في أعماله أجرًا مضاعفًا. اللهم آمين. وقد تمنيت أن يكون في عنوانه (حسب أداء حفص عن عاصم أو ورش عن نافع إلخ) بدلًا من (برواية حفص عن عاصم إلخ) لأن كلمة (رواية هي مصطلح لدارسي القراءات، لكنها – عند العامّة – توحي باختلاف المروي – في حين أنه ليس هناك اختلاف حقيقي أبدًا، وإنما الأمر أنه تنوع في الأداء).



الفصل السادس

الرسم العثماني

أولًا:

أ – يقصد بمصطلح (الرسم العثماني) صُورة خط الكلمات والحروف في المصاحف التي كُتبت بأمر سيدنا عثمان بما لها من سمات ثبتت بفضل الله إلى يومنا هذا. وقد كانت الكتابة في ذلك العهد خالية من نقط الإعجام (نقطة الباء ونقطتي التاء إلخ)، وخالية من الشكل أيضًا. وقد ابتكر نقطًا يُرْمز به للشكل أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ) بين سنتي ٤٥ و٥٠هـ تقديرًا، وابتكر نصر بن عاصم (ت٩٠هـ) نَقْط الإعجام بين سنتي ٧٠ و٨٠هـ تقديرًا، وابتكر الخليل (ت نحو ١٧٠) رموز الحركات فحلت محل نقط أبي الأسود. ونقط الإعجام ورموز الشكل تسمى رموز الضبط. فهي غير الرسم. ونظرًا إلى أنهم لما ابتكروا النُّقَط بنوعيها كانوا يكتبونها بالأحمر والأصفر، فإن القدماء كانوا – أحيانًا – يعبرون بكلمة (السواد) قاصدين الرسم الأصلي لحروف الكلمة أي دون النظر إلى النُّقَط بنوعيها.

ب – وقد جرت كتابة المصاحف العثمانية حسب ما كان جاريًا في الكتابة العربية في ذلك العهد. ونظرًا إلى أن القرآن الكريم كان يُقْرأ منذ عهد النبي – ﷺ- بهيئات كثيرة لا تختلف فيها الكلمة نفسها وإنما تختلف هيئات قراءتها إما بسبب اللهجة (كالإمالة والفتح، وتحقيق الهمز وتسهيله وحذفه، والإدغام والفك إلخ)، وإما بسبب ما يسر الله به للأمة استجابة لدعائه ﷺ من الأحرف السبعة، فإن الذين كتبوا المصاحف العثمانية كثيرًا ما حاولوا في رسم الكلمات أن

تكون الكلمات صالحة أن تُقرأ بالقراءتين أو القراءات التي رويت فيها كلما أمكن ذلك – كرسم سِنّة مكان الألف رمزًا لإمكان القراءة بالإمالة[1]، ورسم الحرف الذي تسهل إليه الهمزة في موضعها، ومراعاة حذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها (الأيكة) (ليكة)، والإدغام والفك (من يرتد) (من يرتدد) إلخ[2] وذلك بالإضافة إلى مراعاة عادات كانت الكتابة العربية قد جرت عليها قبلهم[3] – كإغفال رسم ألف المد في وسط الكلمة وآخرها. ثم لا بد أنه كانت هناك اجتهادات[4] من الذين كتبوا المصاحف في كيفية ذلك التعبير بالرسم الخطي عن القراءة أو القراءات. وعلينا أن لا ننسى أنه لم تكن هناك قواعد موحدة لكيفيات الرسم.

---

(١) ينظر المختصر في مرسوم المصحف الكريم لأبي الطاهر العقيلي (٦٢٣هـ) تحـ د. غانم الحمد ص٣٠) (فصل ٥).

(٢) راجعت باب (ما اختلفت فيه مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام)، في المقنع تحـ قمحاوي ص١٠٦ فخلصت إلى أنها كلها روايات قرئ بها عدا موضعين لم يقرأ بهما فلا يعتد بهما. ثم إن من هذه الروايات ما وراءه سنن في الأداء العربي لهجية – كالفك والإدغام – وقد لحظت منه في هذا الباب خمسة مواضع، أو عامة كالإتيان بضمير الفصل وعدمه، وبفاء جواب الشرط وعدمها، ومنها ما هو رواية بحتة لكنّ له وجوها عربية صحيحة. وقد وُزِّع ما يؤدي اعتباره إلى اختلاف الرسم على المصاحف العثمانية.

(٣) أ – ينظر رسم المصحف د/ غانم قدوري الحمد ص٧١، ٣٠٥ حيث يبين أن الكتابة النبطية التي تطورت عنها الكتابة العربية كانت تُغفل رسم ألف المد الذي في وسط الكلمة. (ولعل هذا وافق رغبة كتاب المصاحف في رسم مكان الألف صالحًا للفتح وللإمالة)، ص٣٣٤ حيث الرأي الذي نرجحه في سر رسم (الصلوة) وأخواتها هكذا بالواو لا الألف – حسب المعتاد في الكتابة النبطية. ب – وفي المقنع (دهمان) ١١٧ – ما يفهم منه هذا المعنى.

(٤) في فضائل القرآن لابن كثير ص٩١ – إشارة، وفي مقدمة ابن خلدون (وافى) ٩٦٥ بخشونة.

ج – أما عن نقد رسم المصاحف العثمانية لمخالفتها قواعد الرسم (الإملائي) التي وضعها الذين جاءوا بعد كتابة تلك المصاحف بعشرات السنين، فهو أمر ليس من الحق إلا في منطق العَجَزة الذين يتوقعون من المتقدمين أن ينجزوا لهم كل شيء حتى لا يطالبَوا هم بشيء. هذه واحدة، والثانية أنه يكفي أن كُتّاب المصاحف بأمر سيدنا عثمان كتبوا بأيديهم – في نحو ثلاث سنوات أ و أربع – سبع نسخ رسمية أو أكثر من النص الكريم على ضخامته، في عصر كان فن الرسم الخطي للكلام العربي فيه في مرحلة استكمال النشأة والتطور. والثالثة أن المتحذلقين الذين ينقدون الصحابة والتابعين في شأن كتابة المصاحف العثمانية عليهم أن ينظروا في حال قواعد الرسم الخطي للكلام العربي الآن – بعد ألف وأربع مئة سنة من كتابة المصاحف العثمانية، حيث لا يزالون مختلفين في عشرات التفاصيل من قواعد الرسم، أيكتبون (هذا) بلا ألف أم يكتبونها (هاذا)، وكذا (ذلك، هؤلاء، ولكن)، ومثل (ضُحى) و (ضُحا)، (قرءوا) أو (قرأوا) إلخ. فهذه خيبة ثقيلة ينبغي أن تصرف متحذلقي هذا الزمن عن نقد كُتاب المصاحف العثمانية إلى شكرهم والتنويه بجُهدهم في ظروف عصرهم. هذا والفشل الحالي في محو أمية نسبة كبيرة من جماهير شعوبنا برغم جهود عشرات السنين وتوفر الوسائل العلمية المساعدة – وذلك إزاء انتشار قراءة القرآن بين جمهور المسلمين الأوائل بقدر معقول في خلال سنوات معدودات = هو شاهد آخر على أن الذين يعيبون كتاب المصاحف العثمانية بعدم التزامهم القواعد الإملائية التي تُوُصّل إليها بعدهم يفتقدون النظرة المنصفة في تقويم الأمور. ثم أقول بكل الصدق العلمي – أعني المبني على ملاحظات واقعية في الرسم العثماني، لا على حماس غير علمي – إنه لو أتيح للرسم العثماني

دارس متبحر في القراءات صحيحها وشاذها، ذو خبرة بالكتابة وتاريخها وتطورها، ودرس الرسم العثماني باختلاف صوره في مصاحفه فإنني لا أشك في أنه سيتكشف له أن كل صور ذلك الرسم - أو الجمهور الأعظم منها على الأقل - تجرى على قواعد ذات وجوه مستقيمة[1].

ثانيًا: حفظ الرسم العثماني:

قيض الله تعالى للرسم العثماني وسيلتين حفظه سبحانه وتعالى بهما إلى الآن وإلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى: إحداهما: صورة كتابة المصاحف العثمانية نفسها - حيث تزخر متاحف في العالم الإسلامي وغير الإسلامي بمصاحف أو صور للمصاحف كتبت في القرن الأول أو الثاني الهجريين. وتلك المصاحف تُخَلِّد صورة رسم الكلمات بحروفها في المصاحف العثمانية أو صورة هي أقرب ما يكون إليها. وسيجد القارئ في آخر هذا الكتاب فصلًا عن المصاحف العثمانية يتتبع رحلات كثير منها، ويحوي معلومات عنها تضيف توثيقًا واطمئنانًا إلى سلامة ما في متاحف العالم الإسلامي وغير الإسلامي من صور للمصاحف القديمة بالرسم العثماني أو بأقرب ما يكون إليه.

---

(١) أحيل - تمثيلًا - إلى كتاب المختصر لأبي طاهر العقيلي. فقد عقد في صدر كتابه ص٢٧ - ٣١ بابًا لما سماه (الكلي) ذكر فيه أنواعًا من كلمات بعينها اطرد رسمها في القرآن الكريم على غير قواعد الرسم. وبقي توجيه ما ذكره: فمنه ما يرجع إلى موروث كيفيات رسم كلمات معينة (الصلوة وأخواتها)، وما يرجع إلى مراعاة نطق الكلمة (كتابة التنوين نونًا، وكتابة المدغم بحرف واحد مشدد)، وما روعيت فيه ضمة الهمزة حتى لا تنطق بالفتح (أولوا وأخواتها). ومن قواعدهم كذلك تجنب وجود صورتي ألف أو واو في كلمة واحدة، والاجتزاء بالكسرة عن ياء المتكلم. ينظر المقنع ٢٣، ٣٠، ٣٦ - وهناك قواعد أخرى كثيرة.

الوسيلة الثانية هي كُتُب رسم المصاحف التي وَصَفت بالتفصيل رسم كثير جدًّا من كلمات القرآن الكريم، وبخاصة الكلمات المختلف في رسمها. وقد عقد أحد علمائنا المحدثين مبحثًا كاملًا[1] ذكر فيه الذين رَوَوا أو رصدوا في كتبهم هيئات لرسم كثير من الكلم القرآنية، والذين ألفوا كتبًا في رسم المصاحف وهجائها. والمبحث دراسة استقرائية أو كالاستقرائية. فجزاه الله خيرًا.

ثانيًا: اتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف:

أ – اتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف واجب بتحتم التزامه عند كتابة أي مصحف، وذلك لأمرين. **أولهما**: أن تظل للمصحف قداسته، فلا يكون موضع تغيير كلما عنّ لأحد أو لجيل تعديلٌ في رسم حرف أو كلمة، أو عنّت له قاعدة في ذلك نفّذها في رسم المصحف، فتهتز قداسته في النفوس ويفضي الأمر إلى ما يشبه العبث برسم المصحف. وهذا المعنى سبق إليه الإمام مالك صاحب المذهب لما سئل عن كتابة المصحف بالرسم العثماني أو بالهجاء المستحدث فأجاب بل بالرسم العثماني[2]. وقد عرفت الأمة هذا فحافظت على الرسم العثماني للمصحف طوال ألف وأربع مئة سنة إلى الآن. ونسأل الله أن يستمر ذلك إلى يوم القيامة.

الثاني: أن القراءات – أعني هيئات النطق اللفظي للقرآن الكريم – ارتبطت

---

(١) ينظر: رسم المصحف. د. غانم الحمد ١٦٣ – ١٨٧ وقد ذكر منها نحو خمسين كتابًا في الرسم قبل قصيدتي الشاطبي والخراز، كما ذكر شروحًا للقصيدتين ومؤلفات مناظرة لهما يبلغ مجموع الكل بضع عشرات أيضًا.

(٢) ينظر المقنع للداني ٩، ١٠.

برسمه أوثق ارتباط حتى أصبح من شروط صحة القراءة موافقتها للرسم العثماني موافقة حقيقية أو تقديرية، وذلك أوّلا للالتزام بأعيان كلمات النص الكريم فلا تُبدَّل أو تحرّف، وثانيا للالتزام بهيئات النطق التي صح إسنادها. فإن الذين كتبوا المصاحف العثمانية كانوا يجتهدون في جعل رسم الكلمات والحروف معبرًا عن هيئات القراءة التي عرفوها تلقيًا أو سماعًا من إخوانهم الحافظين، أو عما أَلِفوا من النطق والرسم. ولا شك أن أولئك الذين اختيروا لكتابة المصاحف العثمانية قد تربىّ لهم – من الشعور بقداسة مهمتهم، ومن طول مدة الممارسة التي استمرت سنوات – حسٌّ وخبرة جعلتهم ينجحون في استثمار العادات الخطية للتعبير عن كيفيات القراءة، وهو ما تكشف للخالفين، فجعلوا ضمن شروط القراءة الصحيحة موافقة القراءة للرسم موافقة تحقيقية أو تقديرية. ومما أسهم في إنجاح مهمتهم أن لهجة قريش – التي أمر سيدنا عثمان كتاب المصاحف أن يكتبوا بها إذا اختلفوا[1] – تشترك مع كثير من اللهجات الأخرى في المعالم التي يمكن أن تظهر في الكتابة.

أ – ففيها تحقيق الهمز وتسهيله، فتسهيل الهمز أصيل عند القرشيين، لكن

---

(١) قال سيدنا عثمان للرهط الذين كلفهم بكتابة المصاحف «ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت» (يعني في كيفية رسمه) فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم» كتاب المصاحف (تحـ د. محب الدين واعظ) ص١٩٦ (رقم ٦٧) فاختلفوا في كلمة التابوت بالتاء المجرورة أم الهاء فقال سيدنا عثمان اكتبوه (التابوت) فإنه بلسان قريش. نفسه ص١٩٩ (رقم ٦٨) وعن قراءة القرآن بلغة قريش ينظر أيضًا قول سيدنا عمر لابن مسعود: أقرئ الناس بلغة قريش (البحر يوسف ٣٥) تاج العروس (حتا).

القرآن نزل على النبي ﷺ بالهمز[1]، فأخذت قريش به مع التسهيل.

ب – ولغة قريش الفتح، لكن فيها الإمالة أيضًا وإن كانت قليلة[2].

جـ – ولغة قريش الإظهار، لكن فيها الإدغام أيضًا وإن كان قليلاً[3].

د – (قيل وغيض) وسائر الباب قرئت بالكسر على لغة قريش وقرئت بالإشمام على لغة غيرها[4].

هـ – (سراط) و (يبسط) في [البقرة ٢٤٥]، (بسطة) في [الأعراف ٦٩] رُسِمن بالصاد للمضارعة على لغة قريش، وأصلُ مِثل هذا لقبيلة بلعنبر من تميم[5]. ورُسِم غير (سراط) بالسين كذلك. والقراءة في الجميع تدور بين الموافقة التحقيقية والتقديرية.

وليس القصد هنا استقراء موافقة الرسم للأداء القرشي في قراءة القرآن.

---

(١) في شرح الرضى الشافية (تحـ نور الحسن وصاحبيه) ٣/ ٣٢ عن سيدنا علي «نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر (همز)، ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي ﷺ ما همزنا».

(٢) ينظر: خصائص لهجتي تميم وقريش. د. الموافي الرفاعي البيلي ص١٧٧، لغة قريش. مختار سيدي الغوث ٩٣ – ٩٧ حيث تنسب الإمالة في بعض الكلمات لأهل الحجاز، وشاهد لوقوع الإمالة من النبي ﷺ.

(٣) ينظر السابقان: خصائص لهجتي تميم وقريش ص١٦٥ – ١٦٦ حيث أمثلة الإظهار لقريش، والثاني لغة قريش ١٠٥ حيث (أمثلة الإدغام).

(٤) ينظر: خصائص لهجتي تميم وقريش ٤٢١.

(٥) ينظر السابق نفسه ص١٠٩، وإتحاف فضلاء البشر (صححه الضباع) دار الندوة ١٢٣، ١٦٠، والبحر في تفسير (الفاتحة ٥) وقد نسب (صراط) إلى قريش. وفي البحر تفسير الآية ٢٤٧ البقرة ذكر تسع كلمات غير (بصطة) لكن لم يصرح في أي منها بنسبتها إلى قريش.

فهذا حري ببحث مستقل. وإنما القصد الجمع بين توجيه سيدنا عثمان المذكور، وتعبير الرسم عن القراءات وأصل أكثرها لهجات، وذلك بأن (القرشية) تستحق أن يعبّر بها عن الفصحى العامة، لأنها انتقت وتبنّت الكثير من ملامح اللهجات العربية الأخرى (كالهمز هنا)[1] مع محسنات الأداء كالمضارعة وبعض السمات اللهجية الأخرى، حتى استحقت أن تُعَدَّ العربيةَ الفصحى العامة، وأن الرسم يمثل ذلك في نفس الوقت. وبخاصة مع استحضار ضابط موافقة القراءة للرسم، وهو الموافقة التحقيقية أو التقديرية. ولا يستثنى من ذلك إلا ما وَرِثَ كُتَّابُ المصاحف رسمه بالواو بلا أصل كالصلاة والربا .. إلخ.

---

(١) ينظر مقال محمد اليعلاوي في مجلة البحث العلمي للجامعة التونسية ع٧ سنة ١٩٧٠ ص٣٥ – ٧٧ (ملاحظات في لغة القرآن من خلال اسمي الإشارة والموصول). حيث خلص إلى أن (هذا، هذه، أولاء) أصلهن من شرقي الجزيرة، وأن (هيهات) الثابتة التاء تميمية، وأن (الذي) المبنية أصلها يَمَني صالح للجمع وعنها تطورت (الذين)، وأن (هذان) أصلها لبلحارث قرب اليمن، وانتقلن إلى الحجاز فاستعملهن القرآن الكريم. فأثبت ما قلنا. وقد بني الكاتب مقاله لنفي مقولة أن القرآن نزل بلغة قريش. بدليل استعمال القرآن مفردات انتقلت إلى الحجاز (انتقتها لغة قريش) من لغات أخرى. وذَهِل عما صرح به القدماء من نحو «كانت قريش – مع فصاحتها... إذا أتتهم الوفود تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم» (الصاحبي لابن فارس تحـ السيد صقر ص ٣٣).

الفصل السابع

مصير المصاحف العثمانية التي وزعت على الأمصار

نحاول هنا الإجابة عن تساؤل وارد. وهو أين الآن تلك المصاحف التي أمر بكتابتها سيدنا عثمان ﷺ ووزعها على الأمصار؟.

وأبادر فأقول إن الخلفاء الراشدين ﷺ ... استشعروا مدى الأهمية البالغة للمصحف الشريف، من حيث هو سجل مكتوب للقرآن الكريم الذي أنزله رب العالمين على قلب سيد المرسلين ﷺ، فأملاه بلسانه المبارك الشريف على أصحابه، فكُتِب في الرقاع المتنوعة – على ما مر بنا تفصيله من قبل ... استشعروا أهميته تلك فأولوه بالغ عنايتهم:

أ – فالمصحف الأول الذي كتب بأمر سيدنا أبي بكر ﷺ لحفظ النص الكريم مدونًا في مصحف جامع له، بالإضافة لحفظ آلاف المسلمين إياه في صدوره بعضهم كاملاً وبعضهم آيات منه = حفظ في بيت الخليفة سيدنا أبي بكر ﷺ.

ب – بعد انتقال سيدنا أبي بكر ﷺ إلى جوار ربه نقل المصحف إلى بيت سيدنا عمر ﷺ أي إلى بيت الخليفة أمير المؤمنين. وقد استحفظه رضي الله عنه أم المؤمنين السيدة حفصة ابنته بصفاتها: أم المؤمنين، حافظة القرآن، الكاتبة القارئة، القوية الشخصية، وهي مع كل ذلك ابنته – والأمر هنا أمر ثقة، وكل ما سبق يؤكد أهليتها – كما أن ما جرى بعد ذلك يؤكد ما ذكرناه عنها.

جـ - بعد استشهاد عمر ﷺ وتولي عثمان ﷺ إمارة المؤمنين بقي المصحف عندها لتحقق الثقة فيها بصفاتها تلك. فلما أراد أمير المؤمنين سيدنا عثمان ﷺ انتساخ نُسخ للأمصار طلبه من السيدة حفصة لينتسخ منه النسخ الجديدة أو ليراجعها عليه حسب بعض الروايات. فأبت أن تسلمه حتى حلفَ ليردنَّه إليها بعد الفراغ، وقد فعل ﷺ. وبعد استشهاد سيدنا عثمان سنة ٣٥هـ، ثم استشهاد سيدنا علي سنة ٤٠هـ وتولي معاوية الخلافة أَمَّر معاوية مروان بن الحكم على المدينة سنة ٤٢هـ، وظل مروان هذا يطلب مصحف أبي بكر من السيدة حفصة، وهي ترفض أن تسلمه. فلما توفيت رضي الله عنها سنة ٤٥هـ أرسل مروان بمجرد الرجوع من دفن جثمانها - إلى أخيها سيدنا عبد الله بن عمر مقسمًا عليه ليسلمنه مصحف أبي بكر الذي كان عند السيدة حفصة، فسلمه إياه، فأحرقه أو خرقه قائلًا إنه يخشى الفرقة[1].

د - أما سيدنا عثمان فبعد انتساخ النسخ احتفظ بنسخة لنفسه وجعل أخرى للعامة بالمدينة. وأرسل نسخة إلى كل مصر فصار في كل مصر مصحف. فخَفَّت حِدةُ خطورة فَقْد نسخته بوجود النسخ الأخرى متاحة في الأمصار لمن ينقلون منها مصاحف خاصة، بالإضافة إلى تزايد أعداد الذين حفظوه في صدورهم من المستويين.

وسأعرض هنا المتاح من أخبار هذه المصاحف التي كتبت بأمر سيدنا عثمان، مع علمي بأن ما أقدمه هنا ليس حاسمًا في بيان مصائر هذه المصاحف،

---

(١) ينظر كتاب المصاحف قم ٣٠، ٧٢، ٧٣، والإبانة لمكي ص٢٦ وقد توفى مروان هذا ٦٥هـ.

ولكني أقصد إثارة هذا الأمر عسى أن يُتَّخذ موضوعًا ينال به صاحبه درجة علمية أو جائزة كبيرة منصبًا أو مالًا - لقاء الاهتمام والجهد والنفقات التي سيتكلفها في سفره إلى مظان وجود كل من تلك النسخ وتوثيق وجودها وتاريخها، مع دعم أولي الأمر ذلك السعي بالمال والتيسير. وأرجو أن لا أكون حالمًا. فسيجد القارئ في ما أعرضه أخبارًا عن تقدير غير المسلمين للمصحف. تقديرًا يعز أحيانًا عند المسلمين. ثم عسى أن يمهد بيان الحال لمعرفة المآل.

مصحف المدينة المنورة:

١ - رجحنا في كلامنا عن تلك المصاحف العثمانية رواية ابن الجزري أن عثمان ﷺ أمسك لنفسه نسخة، وجعل لأهل المدينة نسخة أخرى. وهذا أمر منطقي، لأن عثمان ﷺ كان عظيم اللصوق بالقرآن، ومن أبرز حُفَّاظه عن ظهر قلب حتى قرأ القرآن كله في ركعة عند البيت الحرام. ولم تُغفل الروايات احتفاظه لنفسه بأحد المصاحف التي كتبت، وإنما أغفل بعضُها تخصيص مصاحف لعامة أهل المدينة، ولعل هذا الإغفال كان اتكالًا على أن أهل عاصمة الدولة (المدينة) هم أولى الناس بتخصيص مصحف لهم بحيث لا يحتاج إلى التصريح بذكر ذلك. فللمدينة إذًا مصحفان من المصاحف العثمانية.

٢ - وقد أسلفنا أن عثمان وعليًّا رضي الله عنهما كانا يحيلان من يريد قراءة القرآن على زيد بن ثابت ﷺ، وأنه كان أول مقرئي العامة، وأنه وُكِل إليه إقراء الناس حسب المصحف العثماني. وعلى ذلك فإن المصحف العثماني الذي جُعل لأهل المدينة كان عند زيد بن ثابت ﷺ، وقد توفي زيد سنة خمس وأربعين أو ثمان وأربعين. وعرفنا أن أبا جعفر كان يقرئ الناس قبل وقعة الحرة. وعبارة قبل

وقعة الحرة تحتمل أن المراد أنه كان يقرئ من قبلها واستمر بعدها فالحرة كانت سنة ٦٣هـ وأبو جعفر توفى (بين ١١٠ – ١٣٢هـ) وفي ترجمة شيبة بن نصاح أنه مقرئ المدينة مع أبي جعفر (فهل كان شيبة يساعد أبا جعفر في الإقراء؟) وقد توفي شيبة سنة ١٣٠هـ في أيام مروان بن محمد، وقيل سنة ثمان وثلاثين ومئة. وقد عرض عليه نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم. ثم إن نافعًا تلاهما في إقراء أهل المدينة ومن يأتي إليها[١] وجاء في شرح اللبيب لعقيلة أتراب القصائد (وهي قصيدة الإمام الشاطبي في رسم المصحف) أن المصحف الذي أعطى عثمان لأهل المدينة كان لا يزال عند نافع يكثر مطالعته. وعلى ذلك فالمصحف الذي خصص للعامة في المدينة كان موجودًا فيها حتى وفاة نافع سنة (١٦٩/ ١٧٠/ ١٥٠/ ١٥٧هـ)[٢].

جاء في كتاب: (تاريخ المصحف وغرائب رسمه وحكمه) للعلامة محمد طاهر بن عبد القادر الكردي (ت١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) قوله[٣] «جاء في خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى» للسمهودي «أنه في الحريق الأول الذي حصل للمسجد النبوي سنة ٦٥٤هـ ستمائة وأربع وخمسين للهجرة كان من جملة ما احترق الكتب والمصاحف، ولم يسلم من الحريق سوى بعض أشياء منها المصحف الشريف العثماني» فعلى هذا كان المصحف العثماني موجودًا بالحرم النبوي بالمدينة المنورة إلى التاريخ المذكور. ثم لا يعلم أحد أين ذهب. وأقول إن

(١) ينظر ترجمان أبي جعفر وشيبة ونافع في غاية النهاية.

(٢) ينظر رسم المصحف د. غانم قدوري الحمد.

(٣) ص١١١.

كلام العلامة الكردي هذا يعني أن المصحف المدني مفقود منذ ذلك التاريخ، أو منذ مدى طويل. بيد أن الإمام الشهير أبا الخير بن الجزري (ت٨٣٣) يذكر أنه اطلع على المصحف المدني بشأن رسم كلمة إبراهيم فيقول إنها كتبت في المصاحف الشامية بحذف الياء منها خاصة وكذلك رأيتها في المصحف المدني[١] وقال أيضًا عن قوله تعالى: ﴿ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٤] إنه رآها في مصحف حمص {وبالزبر وبالكتاب} ثم قال «وقد رأيته في مصحف المدينة الباء ثابتة في الأولى محذوفة في الثانية»[٢] ثم أقول إن المفروض أن الإمام ابن الجزري يقصد بالمصحف المدني هنا المصحف العثماني الذي خصص لأهل المدينة. لأنه ذكره بصيغة المفرد، ولم أستشهد أنا بما عبر عنه بصيغة الجمع (مصاحف الشام أو مصاحف العراق ..) في موضوع مصير المصاحف العثمانية هذا.

ونعود إلى كلام الكردي «ويقول بعض من نعاصرهم إنه (يعني المصحف العثماني) كان موجودًا بالمدينة المنورة إلى أن خرج الأتراك من الحجاز عام ألف وثلاثمائة وأربعة وثلاثين (هجرية = ١٩١٥م)، وإنه ربما نقل إلى الآستانة».

ثم يقول «ولقد رأينا في مجلة الدنيا وكل شيء التي تصدر بمصر في كل أسبوع مرة واحدة بتاريخ ٢٨ جمادى الثانية ١٣٥٧هـ الموافق ٢٤ أغسطس عام ١٩٣٨ أن حكومة ألمانيا ستعيد ... في ستة أشهر من تنفيذ المعاهدة الحالية - إلى حكومة ملك الحجاز النسخة الأصلية لمصحف الخليفة عثمان بن عفان ﷺ،

---

(١) ينظر النشر تحـ د. سيد أحمد دراز ص٩٥٧.

(٢) السابق نفسه ص٩٩٣.

والتي أخذت من المدينة المنورة بواسطة القوات الأتراك، وثبت أنها سلمت للإمبراطور السابق غليوم الثاني. هذا ما وقفنا عليه في هذا الشأن»[1].

ويقول د. غانم قدوري الحمد في معرض سرد أخبار المصاحف العثمانية (الأئمة) «كذلك يروي أن أحد تلك المصاحف القديمة كان موجودًا في الحرم النبوي في المدينة المنورة حتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) حيث نقله العثمانيون إلى الآستانة من أراضي الحجاز، ويقال إنه انتقل إلى ألمانيا (ومرجع د. الحمد في هذا هو كلام العلامة الكردي المذكور قبلًا) ثم قال ومنها (يعني من المصاحف القديمة) مصحف محفوظ الآن في مدينة طشقند في تركستان الإسلامية في روسيا. وقد قامت بنشره في مطلع هذا القرن (يعني القرن الميلادي العشرين) جمعية الآثار القديمة الروسية وطبعت (يعني: صورت) منه خمسين نسخة، ثم أضاف في الهامش «كان هذا المصحف في جامع خواجة عبيد الله أحرار، ثم اشتراه حاكم تركستان، ونقله إلى بطرسبورج (لينيجراد) فوضع في دار الكتب القيصرية، وأشيع أنه المصحف الإمام الذي استشهد عليه الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، وكان الناس يزورونه في أيام معينة، ثم نشرته جمعية الآثار القديمة على يد المصور الروسي (باريكس) وطبعت منه خمسين نسخة، وبقي هذا المصحف في دار الكتب القيصرية إلى الانقلاب البلشفي. وفي أوائل سنة ١٩١٨م حمل في حفل عظيم تحت حراسة الجند إلى إدارة مكونة من الشخصيات الإسلامية البارزة هناك (تسمى النظارة الدينية)، وذلك إرضاء للمسلمين وكسبًا لتعضيدهم. وبقي فيها خمس سنوات. وفي

---

(١) ينظر كتاب الكردي المذكور صـ١١١ – ١١٢ وبذيل الصفحة الأخيرة تعليق يشكك في صحة ما نشرته مجلة الدنيا.

أواسط سنة ١٩٢٣م نقل إلى تركستان، وبقي في سمرقند فترة من الزمن. وهو الآن في طشقند[1] (المرجع د. عبد الفتاح شلبي الإمالة ص٢٠٥) وسيأتي أن هذا الذي قيل عن مصحف المدينة المنورة، قيل مثله عن مصحف مقصورة المسجد الأموي بدمشق وعن مصحف قلعة حلب – كما سيأتي أيضًا – مما يستخلص منه أن مصحف طشقند مصدره واحد من هذا الثلاثة. والأمر يحتاج تحقيقًا. ومن أجل هذا أثبت ما قيل كله. عسى الله أن يوفق إلى جلية الأمر).

وفي عدد ١٦٥٧ من جريدة المصري اليوم – ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٤٢٩هـ - ٢٦/١٢/٢٠٠٨ قالت الجريدة إن قاعة المخطوطات النادرة بالمسجد النبوي الشريف باب عثمان بها «صورة طبق الأصل ملونة من المصحف الذي خطه الخليفة عثمان بن عفان بينما يوجد الأصل في متحف طوبى قابي سراي في اسطنبول».

المصحف المكي:

ليس لدي من خبر هذا المصحف الكريم إلا الإجماع على أن مكة المكرمة هي من الأمصار التي أرسل إليها مصحف عثماني.

ثم ما جاء في مقال الدكتورة بنت الشاطئ رحمها الله تعالى من قول أبي القاسم التجيبي السبتي – في ما نقل عنه ابن عبد الملك المراكشي نافيًا أن يكون مصحف قرطبة (الأندلسي) هو العثماني الشامي – إذ قال أبو القاسم السبتي «أما الشامي فهو باق في المقصورة بجامع دمشق، وقد عاينته سنة سبع وخمسين وستمائة – كما عاينت المكي». فالمصحف المكي كان في مكة إلى سنة ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٨م.

---

(١) ينظر (رسم المصحف) د.الحمد ١٩١ – ١٩٢.

المصحف العثماني في جمهورية مصر العربية:

١ – مصحف مسجد الإمام الحسين بالقاهرة:

جاء في (مناهل العرفان في علوم القرآن) للعلامة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني – بعد أن عبّر عن شكه في وجود أي من المصاحف العثمانية في زمنه فضلاً عن تعيين أمكنتها، وشكه في صحة نسبة أيٍّ مما تحتويه خزائن الكتب والآثار إلى سيدنا عثمان ﷺ: قال:

«نعم إن المصحف المحفوظ في خزانة الآثار بالمسجد الحسيني، والمنسوب إلى عثمان ﷺ مكتوب بالخط الكوفي القديم مع تجويف حروفه وسعة حجمه جدًّا، ورسمه يوافق رسم المصحف المدني والشامي، حيث رسم فيه كلمة (من يرتدد) من سورة المائدة بدالين اثنين أي بفك الإدغام، وهي فيهما بهذا الرسم – فأكبر الظن أن هذا المصحف منقول من المصاحف العثمانية على رسم بعضها. وكذلك المصحف المحفوظ بتلك الخزانة ويقال إن علي بن أبي طالب ﷺ كتبه بخطه، يلاحظ فيه أنه مكتوب بذلك الخط الكوفي القديم بيد أنه أصغر حجمًا وخطه أقل تجويفًا من سابقه، ورسمه يوافق غير المدني والشامي من المصاحف العثمانية، حيث رسمت فيه الكلمة السابقة (من يرتد) بدال واحدة أي بالإدغام، وهي في غيرهما كذلك. فمن الجائز أن يكون كاتبه عليًّا ﷺ، أو يكون قد أمر بكتابته في الكوفة»[1] هـ.

---

(١) ينظر ١/ ٤٠٣ من الكتاب المذكور.

وتعليقي الأهم هنا هو أن العلامة الزرقاني لم يبين أساس ظنه أن المصحف الأول منقول من أحد المصاحف العثمانية لا أنه أحدها، كما جوز نسبة المصحف الآخر إلى سيدنا علي ﷺ.

وقد كان العلامة الزرقاني محظوظًا، إذ رأى مصحفي المشهد الحسيني وقلب فيهما - كما هو واضح - وذلك على غير ما وقع للدكتور غانم قدوري الحمد، فقد أبدى تألمه من حجب المصحف الأول (ولعله لم يعلم بوجود الثاني) حتى عن أهل العلم، الذين ربما كانوا أشد حرصًا وحفاظًا على هذا المصحف النفيس من خازنيه الذين لم يمكّنوه حتى من رؤيته، ولم تغن معهم شيئًا مخاطبة كلية دار العلوم للجهة المسئولة عن حفظ هذا المصحف الشريف»[١].

وأقول إن السادة الخازنين لهم عذرهم. فليس كل الباحثين تتوفر لبحوثهم درجة الجِدّ أو الحاجة التي تستوجب إتاحة هذه المصاحف النادرة لهم. لكن المفروض أن خُزَّان هذه النفائس لهم وسائلهم التي تجمع بين إتاحة المخطوط النفيس للباحثين الجادّين، والحفاظ التام عليه.

٢- مصحف الجامع العتيق جامع عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي فاتح مصر - بالفسطاط:

يقول المقريزي (٨٤٥هـ) صاحب الخطط في ما نقل عن خطط القضاعي (٤٥٤)هـ بعد أن ذكر قصة ما سمي بمصحف أسماء بنت أبي بكر بن عبدالعزيز ابن مروان (بنت أخي عمر بن عبد العزيز):

---

(١) ينظر رسم المصحف. د. غانم قدوري الحمد ١٩٢ - ١٩٣.

«وكان قد حضر إلى مصر رجل من أهل العراق وأحضر مصحفًا ذكر أنه مصحف عثمان بن عفان ﷺ، وأنه الذي كان بين يديه يوم الدار، وكان فيه أثر الدم. وذكر أنه استُخرج من خزائن الخليفة المقتدر جعفر بن المعتضد بالله العباسي المتوفى سنة ٣٢٠هـ» ودُفع المصحف إلى عبد الله بن شعيبة المعروف بابن بنت وليد القاضي. فأخذه أبو بكر الخازن، وجعله في الجامع العتيق، وشهره، وجعل عليه خشبًا منقوشًا، وكان الإمام يقرأ فيه يومًا وفي مصحف أسماء يومًا. ثم رفع هذا المصحف وبقي مصحف أسماء وذلك في أيام العزيز بالله الفاطمي في أوائل المحرم سنة (٣٧٨هـ = ٩٨٨م). وتقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن «ورأيت أنا هذا المصحف» وعلى ظهره ما يشبه الإهداء من حامله مسعود بن سعد الهيتي إلى جماعة المسلمين القراء. ثم تقول: وليس في ذلك (الإهداء) إشارة إلى طريق وصول ذلك المصحف إلى خزانة المقتدر – على أن الشبهة في هذا المصحف لم تتعلق بكونه محمولًا من خزانة المقتدر إلى جامع الفسطاط العتيق، بل أنكر قوم أن يكون هذا المصحف هو مصحف عثمان ﷺ. وتضيف؛ أو أنه أحد المصاحف التي كتبها عثمان ووزعها على الأمصار.

وترجّح الدكتورة عائشة أن هذا المصحف هو أحد ما آل إلى دار الكتب المصرية وسجلته في فهارس مقتنياتها من نفائس المصاحف النادرة برقم (١٣٩ - ٢٦)[١].

---

(١) عن مقال بنت الشاطئ في جريدة الأهرام ١٣/ ٣/ ١٩٩٣م.

٣- مصحف المدرسة الفاضلية:

وهي منسوبة إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن أحمد العسقلاني البيساني الشافعي (٥٢٩ - ٥٩٦هـ = ١١٣٤ - ١١٩٩م) ولد بعسقلان. وكان أبوه يتقلد قضاء مدينة بيسان فنسبوا إليها. وقدم هو إلى القاهرة وخدم في ديوان الإنشاء بها وبالإسكندرية؛ إلى أن استقل السلطان صلاح الدين الأيوبي بمصر، فاستخلصه لنفسه وحسُن اعتقاده فيه فجعله وزيره ومشيره. وكان للقاضي الفاضل ولع عظيم بالكتب، وبنى مدرسة بجوار داره (٥٨٠هـ = ١١٨٤م)، وكانت من أعظم المدارس بخطط القاهرة، وقفها على فقهاء الشافعية والمالكية، وأقرأ فيها الإمام الشاطبي وتلاميذه. ولما استقل صلاح الدين الأيوبي بأمر مصر بانتهاء الدولة الفاطمية، واستولى على قصر العاضد آخر خلفائها، وجد فيه خزانة للكتب فيها ما لا يكاد يحصى من الكتب المنسوبة الخطوط. فأمر صلاح الدين بإتلافها. ثم عمل بمشورة القاضي الفاضل في الإبقاء على الذخائر العلمية التي لا تتعلق بمذهب الفاطميين. فاختار القاضي الفاضل مئه ألف مجلد من ذخائرها المنسوبة الخطوط، تركها له السلطان صلاح الدين، فادخرها لمكتبته بالمدرسة الفاضلية. وقد نوه المؤرخون بالمصحف العثماني بالمدرسة الفاضلية. قال المقريزي «وبها إلى الآن (٨٢٦هـ = ١٤٢٢م) مصحف قرآن كبير القدر جدًّا مكتوب بالخط الكوفي تسميه الناس (مصحف عثمان)، ويقال إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وهو في خزانة مفردة له بجانب المحراب من غربيه، وعليه مهابة وجلالة». واطمئنان القاضي الفاضل إلى نسب مصحفه العثماني يزكيه ما شهد له

به مؤرخوه من دراية بالمخطوطات ومعرفة خطوطها وتقدير قيمتها ...»[1].

وجاء في كتاب النشر لابن الجزري (ت٨٣٣هـ) بشأن رسم كلمة {يا بنوم} [طه ٩٤] وأنها مرسومة {يا بنوم} هكذا رآها السخاوي (ت٦٤٣هـ) في «المصحف الشامي»، يقول ابن الجزري (ت٨٣٣هـ): «ثم إني أنا رأيتها كذلك في المصحف الكبير الشامي الكائن بمقصورة الجامع الأموي المعروف بالمصحف العثماني، ثم رأيتها كذلك بالمصحف الذي يقال له الإمام بالديار المصرية، وهو الموضوع بالمدرسة الفاضلية داخل القاهرة المعزية وكتبت الهمزة من (أم) في (ابن أم) في [الأعراف ١٥٠] ألفًا مفصولة»[2].

٤- مصحف مجمع اللغة العربية:

جاء في أهرام ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٨

تلقى مجمع اللغة العربية الشهير بمجمع الخالدين عند افتتاحه لدورته الجديدة أمس «هدية بهية» من منظمة المؤتمر الإسلامي. وهذه «الهدية البهية» كما أطلق عليها في كتب التاريخ هي نسخة من المصحف الشريف المنسوب إلى سيدنا عثمان بن عفان ﷺ وأرضاه، وقدمها لمجمع الخالدين د. أكمل الدين إحسان أو غلو أمين عام منظمة المؤتمر عرفانا بدور المجمع في حفظ اللغة العربية لغة القرآن الكريم. والمعروف أن هذه النسخة التي صدرت برعاية منظمة المؤتمر الإسلامي ومركز أرسيكا لأبحاث التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول وإمارة الشارقة كانت في الأصل محفوظة في اسطنبول بدائرة الأمانات

---

(١) من سلسلة مقالات بنت الشاطيء عن المصاحف العثمانية، الأهرام ١٧/ ٣/ ١٩٩٣م

(٢) النشر لابن الجزري باب الوقف على الهمز (تحـ د. سيد أحمد دراز ص ٦٥٠).

المقدسة التركية التي حفظت البردة الشريفة وآثار الرسول ﷺ وصحابته ولم تكن تعرض إلا في شهر رمضان.

ويقال إن هذه النسخة قد أهدتها مصر في الأصل في زمن محمد علي باشا إلى السلطان العثماني بوصفها هدية بهية، واستمرت هذه التسمية في كتب التاريخ. وفي كلمته التي ألقاها عن المستعربين في مؤتمر مجمع اللغة العربية، أشاد إحسان أوغلو بالدور الكبير للمجمع، مستعرضًا التحديات التي تواجه العربية من اللغات الأخرى خاصة الإنجليزية.

٥ - مصحف قرية البهنسا – بني مزار محافظة المنيا بجمهورية مصر العربية:

في أثناء حوار علمي بيني وبين طلاب الدراسات العليا بكلية القرآن الكريم بطنطا جرى ذكر مصير المصاحف العثمانية. فذكر الطالب الشيخ محمد ربيع جاد من أبناء القرية المذكورة أن أحد مشايخه قص عليهم خبر مصحف يقال إنه العثماني الإمام، ووعد أن يستكتب هذا الشيخ خبر هذا المصحف ويأتي به. وفعلًا جاءني الطالب بخطاب بخط القارئ الشيخ حسن علي حسن أحمد الإسناوي شيخ مقرأتين ببني مزار يقول فيه «كان يوجد بقرية البهنسا التابعة لمركز بني مزار مصحف يقال إنه الذي اختص به سيدنا عثمان بن عفان نفسه. وكان ذلك المصحف في حجرة بجوار قبر عليه قبة يقال له مقام سيدنا عفان بن أبان بن عفان بن عثمان بن عفان ﷺ. وكان ذلك المصحف محفوظًا في صندوق طوله متر وعرضه ٨٠ سم تقريبًا، وكان يستعمل في الحلف لبراءة المتهمين

بجنايات. وسمعنا من كبار السن أن من كان يحلف عليه كاذبًا يصاب بضُرٍّ بيّن في جسمه في الحال».

وكان بعض أفراد العائلات في قرية البهنسا حارسًا له ويقال له نقيب سيدي عفان، ويدعى عبد العظيم الأحول. وكان لديه أوراق أثرية عبارة عن مخطوط يفيد أن صاحب المقام حضر من المدينة المنورة ومعه كذا من الدنانير وكذا من الإبل وكذا من العبيد ومختوم بختم قاضي المدينة المنورة.

ثم حدث أن سُرق هذا المصحف في الأربعينيات (١٩٤٧م) وسمعنا أنه بيع وهُرِّب إلى الخارج. وفي سنة ١٩٦٤م تقريبًا نشرت بعض الصحف في مصر نبأ العثور على مصحف سيدنا عثمان في فرنسا، وبعد اتصال مع الحكومة الفرنسية أعيد إلى القاهرة مقابل خمسة ملايين دولار، ووضع في المتحف الإسلامي بالقلعة حينها.

وقد طلب مني النقيب (المذكور) كتابة شكوى إلى السيد رئيس الجمهورية المرحوم جمال عبد الناصر، فرُدَّ عليه بتقديم طلب إعانة إلى وحدة الشئون الاجتماعية لصرف إعانة له. وهذا مبلغ علمي. وقد طلبت مؤخرًا من أولاد النقيب المذكور إطلاعي على الأوراق الأثرية التي كانت مع صاحب المصحف، وللآن لم يردوا عليّ».

- وقد ختم الشيخ حسن علي الإسناوي (تقريره) هذا بعبارة إلحاقية (حيث كان المخطوط باليًا فصورت له عدة صور للشكوى).

وقد قال لي الطالب الشيخ محمد ربيع جاد شفويًا إنه في الستينيات في زمن العثور على المخطوط شاع أن السيد/ علي حسين درباله – عمدة البهنسا في ذلك

الحين وهو من إحدى كبريات عائلات الصعيد منها باشوات أو وزراء فكلم بعضهم الرئيس جمال عبد الناصر فاهتم بالأمر، وتم استرجاع المصحف.

إلى هنا انتهى ابننا الشيخ الفاضل محمد ربيع جاد أتم الله له مسيرته العلمية ونفع بعلمه اللهم آمين. ثم إني أضيف هنا ما قد يفيد ويبعد خواطر الأسطورية ويدفع إلى البحث الجادّ. جاء في الوسيلة إلى كشف العقيلة للسخاوي ص٨١ عند شرح البيت ٣٩ «وقال ابن قتيبة (٢٧٦هـ) «كان مصحف عثمان الذي قتل وهو في حجره عند ابنه خالد، ثم صار مع أولاده، وقد درجوا. قال وقال بعض مشايخ أهل الشام إنه بأنطرسوس. وفي شرح البيت ٤٠ «وقال أبو عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله في كتابه في القراءات «رأيت المصحف الذي يقال له الإمام مصحف عثمان بن عفان ﷺ استُخرج لي من بعض آثار خزائن الأمراء، وهو المصحف الذي كان في حجره حين أصيب، ورأيت دمه في مواضع منه» اهـ وقول أبي عبيد هذا جاء في جميلة أرباب المراصد شرح عقيلة أتراب القصائد للإمام إبراهيم بن عمر الجعبري هكذا (ص٥٧ من المخطوط): وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب القراءات: استَخرج بعضُ الأمراء لي من خزائنه مصحف عثمان الموسوم بالإمام - وكان في حجره حين أصيب، ورأيت آثار الدم في مواضع منه، وأكثر ما رأيته في سورة والنجم» اهـ. ولنرجع إلى كتاب الوسيلة. علق محقق كتاب الوسيلة - د. مولاي محمد عثمان الطاهري ص٨١ «وذكر ابن الأثير قوله: «تزوج عثمان أم عمرو بنت جندب الدوسية وولدت له عمرًا وخالدًا، وأبانا، وعمر، ومريم [الكامل لابن الأثير ٣/ ١٨٦] وعلق المحقق على كلمة أنطرسوس: بلد من سواحل بر الشام وهي آخر أعمال دمشق

من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص [معجم البلدان ١/ ٢٧٠] يقول محمد حسن حسن جبل: يُلْحظ (أ) وجود سلالة لسيدنا عثمان منها ابنه خالد الذي كان المصحف معه ثم مع أولاده. (ب) أن أبا عبيد رأى المصحف الذي كان في حجر عثمان حين قتل وعليه دم. وأبو عبيد توفى سنة ٢٢٤هـ. (حـ) أن ابن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦هـ سمع أن ذلك المصحف بأنطرسوس، فاحتمال أن يكون مصحف أنطرسوس هذا هو نفس المصحف الذي رآه أبو عبيد وأنه وصل إلى بعض أحفاد سيدنا عثمان وهاجر به إلى البهنسا احتمال وارد. (د) في المقنع ص٧ يقول الداني (٤٤٤هـ) حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن عفان القشيري الزاهد قال حدثنا قاسم بن أصبغ (٣٤٠هـ). فهل عبد الرحمن هذا من سلالة سيدنا عثمان؟[1].

مصحف اليمن:

مر بنا «أن الرواية التي رجحناها عن عدد المصاحف التي كتبها عثمان ﷺ ووزعها على الأمصار هي رواية أبي حاتم السجستاني الذي قال إن تلك المصاحف كانت سبعة واحد منها لليمن وواحد للبحرين. وقد جاء في الإتقان[2] أن أحمد بن جبير المكي (ت٢٥٨هـ) صنف قبل ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) كتابًا في القراءات فاقتصر على خمسة، اختار من كل مصر إماما. وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التي أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار (يقصد المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام). ويقال أنه وجه بسبعة:

---

(١) لم أجد في (نسب قريش) للمصعب الزبيري (ت ٢٣٦هـ) ص ١٠١ - ١٢١ من أولاد سيدنا عثمان أو أحفاده من اسمه عفّان. فإن صحّ خبرهذا المصحف فلعله وُجِد بعد وفاة المصعب.

(٢) ينظر الإتقان التنبيه الثالث من النوع السابع والعشرين (عالم الكتب ١/ ٨١).

هذه الخمسة ومصحفًا إلى اليمن ومصحفًا إلى البحرين، لكن لمّا لم يُسْمَع لهذين المصحفين خبر، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف استبدلوا من مصحف البحرين واليمن قارئين كمل بهما العدد، فصادف ذلك موافقة العدد الذي ورد الخبر به .. (يقصد الأحرف السبعة).

وقد جاءنا عن مصحف اليمن هذا خبر، هو أن أحد العلماء المحققين (الشيخ محمد أحمد الحجري) كُلِّف في الأربعينيات من القرن الرابع عشر الهجري بفهرسة المخطوطات التابعة للمكتبة المتوكلية الخاصة بالإمام يحيى بن حميد الدين (ت١٣٦٨هـ/١٩٤٨م) فوجد المصحف العثماني من ضمن المخطوطات التي تحتوي عليها هذه المكتبة قال «ومن أنفس ما فيها المصحف الشريف العثماني أحد المصاحف السبعة التي جمعها الصحابة في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ»[١] ويقول د. عبد الله عثمان علي المنصوري الذي نقلنا عنه هذه المعلومة «وقد سعينا للتأكد من صحة ما ذكره المؤرخ الحجري إلى عين المكان أي المكتبة المتوكلية – المعروفة اليوم بالمكتبة الغربية التابعة لوزارة الأوقاف والإرشاد اليمنية فتمكنا بعد إلحاح شديد وطول انتظار من رؤية جزء من هذا المصحف الشريف فوجدناه مكتوبًا على ورق من جلد غزال»[٢] ثم ذكر د. المنصوري ما يثار في اليمن حول هذا المصحف من أنه مصحف سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وأنه هو (د. عبد الله المنصوري) يضعف هذا الادعاء.

---

(١) من كتاب: علم القراءات في اليمن. د. عبد الله عثمان علي المنصوري ص١٤١ وهو عن «مجموع بلدان اليمن وقبائلها ٣/ ٥١٣.

(٢) علم القراءات في اليمن ص١٤٢. ساعد في الوصول إلى المعلومات عن المصحف اليمني لقيني الفاضل السيد / علي العَقَّبْرِيّ. أتم الله له مسيرته العلمية.

المصحف البحريني:

هذا المصحف الكريم لا نعرف عنه شيئًا عدا مجيء الخبر عنه في رواية أبي حاتم أن سيدنا عثمان ﷺ أرسل مصحفًا إلى البحرين – ضمن المصاحف السبعة التي أرسلها إلى الأمصار، وعدا ما ذكره السيوطي (ت٩١١هـ). وهو بصدد تحديد عدد القراء المشهورين (نافع وابن كثير إلخ) بسبعة أن ابن مجاهد اختار خمسة بعدد الأمصار (يعني المدينة ومكة والبصرة والكوفة والشام) ثم أراد مراعاة عدد المصاحف (أي في رواية أبي حاتم) فلما لم يسمع خبرًا عن مصحفَي البحرين واليمن استبدل منهما قارئين كمل بهما العدد، فصادف ذلك موافقة العدد الذي ورد الخبر به (يقصد الأحرف السبعة)، ولا يهمنا هنا من هذا التعليل إلا قول السيوطي أن مصحفي اليمن والبحرين لم يسمع لهما خبر. وسياق الكلام أن ذلك كان منذ ابن مجاهد المتوفى (٣٢٤هـ) وهذا أمر يحتاج إلى بحث وتتبع. فقد تكشف وجود مصحف عثماني في اليمن، وعسى أن يتكشف وجود مصحف في البحرين، وقد صارت دولة مرموقة.

المصاحف الشامية:

قلت (المصاحف) مع أن المفروض – حسب أخبار كتابة المصاحف العثمانية – أن الذي أرسل إلى الشام من لدن سيدنا عثمان أو اللجنة التي شكلها هو مصحف واحد. ولكن لا يسعنا – إزاء كثرة الأمصار الشامية التي نسبت إليها مصاحف قيل عنها إنها عثمانية – إلا أن نفترض أن الذي أُرْسِل إلى الشام من المصاحف العثمانية هو عدة نسخ لا نسخة واحدة. ويؤيد هذا أن الشام كانت – في عصر صدر الإسلام – تقسم على سبعة أجناد فلسطين، والأردن، وحمص،

ودمشق، وقنسرين، والعواصم، والثغور. وأن طبرية كانت من أمصار فلسطين[1] فمن المقبول أن يكون أُرْسل إلى أكثرها مصحف لكل.

١ - مصحف حمص:

يبدو أن مصر حمص كان هو الأهم من بين أمصار الشام في أول عهد الدولة الإسلامية، أعني أهم من دمشق، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لما استمده عامله على الشام يزيد بن أبي سفيان مَن يعلِّم الناس القرآن ويفقههم = أرسل إليه ثلاثة من الصحابة هم معاذ وعبادة وأبو الدرداء، وقال لهم «ابدءوا بحمص فليُقِم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين...»[2].

كذلك فإن هناك شاهدًا على أن مصحفًا من المصاحف التي كتبها سيدنا عثمان ﷺ وُجّه إلى حمص، بل لعله أول مصحف عثماني أرسل إلى الشام. وقد رجع إلى هذا المصحف أبو حاتم السجستاني (المتوفى ٢٥٥هـ) للتثبت من رسم بعض الكلمات القرآنية فيه، كما في قوله: ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤] حيث رسمت كلمتا (الزبر والكتاب) بالباء فيهما أي (وبالزبر وبالكتاب المنير) في مصاحف أهل الشام. قال الداني «وكذلك حكم أبو حاتم أنهما مرسومان بالباء في مصحف **أهل حمص الذي بعث به عثمان إلى الشام**»[3].

وقال أبو حاتم أيضًا: «وفي مصحف أهل حمص الذي بعث به عثمان إلى

---

(١) راجع المنجد في اللغة والأعلام (الشام) (فلسطين).

(٢) ينظر طبقات ابن سعد ٢/ ٣٥٧.

(٣) ينظر المقنع – للداني. تحـ محمد أحمد دهمان ص١٠٢.

الشام في [التوبة: ١٠٠] ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[1] بغير (من).

٢ - مصحف دمشق:

يبدو أن مصر (دمشق) الذي كانت (حِمص) تنادّه في عهد الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهما كما ذكرنا في كلامنا عن (حمص) سرعان ما انتزع قيادة الشام وبخاصة منذ اتخذ الخليفة معاوية (ت٦٠هـ) دمشق عاصمة لخلافته. وعراقتها وموقعها في طرف بادية الشام تؤهلانها لذلك. وقد وحد بعضهم بين دمشق والشام أي جعل الشام اسمًا لدمشق أيضًا[2].

كما نقول الآن مصر ونقصد القاهرة.

وبالنسبة لمصحف دمشق فهذا تتبع مفيد:

أ - ذكر ابن قتيبة (٢٧٦هـ) في الأخبار الطوال أن أهل الشام وضعوا مصحف دمشق الأعظم على خمسة رماح في حرب صفين[3] سنة ٣٧هـ أي بعد استشهاد سيدنا عثمان بسنتين، وهذا يرجّح أن هذا المصحف أرسل إليها أيام سيدنا عثمان رضي الله عنه.

(١) نفسه ص١١٢ - ١١٣ ويتنبه إلى أن الآية المذكورة منسوبة في المقنع تحقيق دهمان هذا وتحقيق محمد الصادق قمحاوي إلى سورة الأعراف ٤٣، وهو خطأ بشع. فالذي في الأعراف ٤٣ ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وليس فيها اختلاف بين المصاحف أو القراءة. والصواب أن الآية محل الشاهد هنا هي رقم (١٠٠) من سورة التوبة فهي التي فيها هذا الاختلاف في الرسم وفي القراءات.

(٢) ينظر المنجد (دمشق) ففيه توثيق تفاصيل هذه الفقرة.

(٣) ينظر: القراءات وكبار القراء في الشام ٣٥ وهو عن الأخبار الطوال ١٨٩.

ب – وفي شذرات الذهب أنه في سنة ٥٤٣هـ نازلت الفرنج دمشق في عشرة آلاف فارس وستين ألف راجل، فخرج المسلمون من دمشق للمصافّ فكانوا مئة وثلاثين ألف رجل وعسكر البلد، فاستشهد نحو المئتين ثم برزوا في اليوم الثاني فاستشهد جماعة وقتل من الفرنج عدد كثير «فلما كان في اليوم الخامس وصل غازي بن أتابك وأخوه نور الدين في عشرين ألفًا – وكان أهل دمشق في الاستغاثة والتضرع إلى الله، **وأخرجوا المصحف العثماني إلى صحن الجامع**. فأغاثهم الله وهزموا الفرنجة، وقتلوا قسيسهم الذي ادعى أن المسيح وعده بأخذ دمشق[1].

جـ – وذكر ابن جبير (ت٦١٤هـ) الذي زار دمشق سنة ٥٧٨هـ أن المصحف في الركن الشرقي من المقصورة الحديثية في المحراب في خزانة كبيرة تفتح كل يوم (جمعة) إثر الصلاة، فيتبرك الناس بلمسه وتقبيله ويكثر الازدحام عليه[2].

د – قال أبو القاسم التُجيبي السبتي في ما حكاه عنه ابن عبد الملك المراكشي – في سياق نفيه أن يكون مصحف قرطبة (الأندلسي) الذي فُقِدَ غَرَقا هو المصحف الشامي «أما الشامي فهو باق بالمقصورة بجامع دمشق، وقد عاينته سنة سبع وخمسين وست مئة، كما عاينت المكي»[3]

---

(١) ينظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي دار الكتب العلمية مجـ٢/ ١٣٤.

(٢) (القراءات وكبار القراء في الشام) وهو عن (الجامع الأموي بدمشق) كلاهما لمحمد مطيع الحافظ.

(٣) من مقال د. عائشة عبد الرحمن في الأهرام ٢١/ ٣/ ١٩٩٣.

هـ - وذكر ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) أن في الجانب الأيسر من الجامع المصحف العثماني بخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان[١].

و - وقال ابن كثير (ت٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) في كتابه فضائل القرآن عن مصحف دمشق هذا «أما المصاحف الأئمة فأشهرها اليوم الذي بالشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديمًا بمدينة طبرية، ثم نقل إلى دمشق في حدود سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م. وقد رأيته كتابًا عزيزًا جليلاً عظيمًا ضخمًا بخط مبين قوي، بحبر محكم، في رَقٍّ أظنه من جلود الإبل[٢].

ز - وجاء في النشر لابن الجزري (ت/ ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) «ورسم (يا بنؤم) في [طه ٩٤] بواو ووصل بنون ابن، ثم وصلت ألف ابن بياء النداء المحذوفة الألف. هذا هو الصواب كما نص عليه أبو الحسن السخاوي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) نقله عن المصحف الشامي رؤية» ثم قال ابن الجزري: «وكذلك رأيتها أنا فيه، غير أن بها أثر حك أظنه وقع بعد السخاوي والله أعلم». ثم استمر ابن الجزري قائلًا «وهذا المصحف الذي ينقل عنه السخاوي ويشير إليه بالمصحف الشامي هو بالمشهد الشرقي الشمالي الذي يقال له مشهد عليّ بالجامع الأموي من دمشق المحروسة. وأخبرنا شيوخنا الموثوق بهم أن هذا المصحف كان أولًا بالمسجد المعروف بالكشك داخل دمشق، الذي جدد عمارته الملك العادل نور الدين بن زنكي رحمه الله، وأن السخاوي رحمه الله كان سبب مجيئه إلى هذا المكان من الجامع، ثم إني أنا (ابن الجزري) رأيتها كذلك في

---

(١) القراءات وكبار القراء وهو عن الجامع الأموي بدمشق لمؤلف كتاب القراءات هذا نفسه.

(٢) ينظر فضائل القرآن لابن كثير دار المنار (١٣٤٨هـ) ص٤٩.

المصحف الكبير الشامي الكائن بمقصورة الجامع الأموي المعروف بالمصحف العثماني»[1] (يلحظ أن ابن الجزري ذكر مصحفين في الجامع الأموي).

ح – وذكر ابن طولون (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) أن السلطان سليما العثماني (ت٩٢٧هـ - ١٥٢٠م) صلى في الجامع الأموي وقرأ في المصحف العثماني فيه[2].

ط – وهناك أخبار عن المصحف العثماني الذي في الجامع الأموي في القرن الرابع عشر الهجري، حيث شب حريق في الجامع الأموي ١٣١١هـ - ١٨٩٣م وقيل إن المصحف حرق فيه، كما قيل إن الذي حرق مصحف آخر كان جيء به من مسجد عتيق في بصرى، وكان يقال عن هذا المصحف إنه المصحف العثماني[3].

٣ – مصحف طبرية دمشق:

أ – طبرية مدينة عريقة في فلسطين أُسست قبل بدء التاريخ الميلادي بربع قرن تقريبًا. وكانت مركزًا ثقافيًّا كبيرًا، وجُعلت عاصمة لإمارة الجليل في فلسطين[4].

ب – جاء في مختصر تاريخ الإسلام للذهبي أنه في سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م كان بطبرية مصحف عثماني نقله طغتكين (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) إلى جامع دمشق، وهو الذي بمقصورة الخطابة.

---

(١) النشر لابن الجزري تحـ د. سيد أحمد دراز ص٦٥٠.

(٢) عن مفاكهة الخلان ٢١/ ٢٦ والكواكب السائرة ٢/ ٨٩.

(٣) من كتاب (حريق الجامع الأموي)لمحمد مطيع صـ١٢ .

(٤) ينظر المنجد في اللغة والأعلام (طبرية – ط٢٥ ص٤٣٤).

جـ - وفي تاريخ دمشق لابن القلانسي (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) أن الأمير مودود بن أتابك زنكي بن آق سنقر (زنكي ت٥٤١هـ ومودود ت ٥٦٥هـ) صلى مع طغتكين صلاة الجمعة «وتبرك بالنظر إلى المصحف الكريم الذي (أرسله) سيدنا عثمان من المدينة إلى طبرية، (ونقله) أتابك من طبرية إلى جامع دمشق»[1].

د - وقال ابن كثير (٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) في كتابه فضائل القرآن. «أما المصاحف الأئمة فأشهرها اليوم الذي بالشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديمًا بمدينة طبرية، ثم نقل إلى دمشق في حدود سنة (٥١٨هـ). وقد رأيته كتابًا عزيزًا جليلاً عظيمًا ضخمًا بخط حسن مبين قوي، بحبر محكم، في رق أظنه من جلود الإبل»[2] وأرى أن تأريخ ابن كثير لنقل هذا المصحف من طبرية إلى الجامع الأموي سنة ٥١٨هـ هو الأدق.

هـ - وقد ذكرنا أن الإمام ابن الجزري (٨٣٣هـ) نقل عن الإمام السخاوي (٦٤٣هـ) أنه رجع إلى المصحف الشامي في رسم (يا بئوم) [طه ٩٤هـ] ورآها فيه. ثم قال ابن الجزري: «وهذا المصحف الذي ينقل عنه السخاوي ويشير إليه بالمصحف الشامي هو بالمشهد الشرقي الشمالي الذي يقال له مشهد علي بالجامع الأموي من دمشق المحروسة». ثم قال ابن الجزري «وأخبرنا شيوخنا الموثوق بهم أن هذا المصحف كان أولًا بالمسجد المعروف بالكوشك داخل دمشق، الذي جدد عمارته الملك العادل نور الدين بن زنكي (ت ٥٧٠هـ) رحمه الله، وأن السخاوي رحمه الله كان سبب مجيئه إلى هذا المكان من الجامع. ثم قال ابن

---

(١) من القراءات وكبار القراء في دمشق ص٣٦ وهو عن تاريخ دمشق للقلانسي ١٨٧.

(٢) من فضائل القرآن لابن كثير دار المنار (١٣٤٨هـ) ص٤٩.

الجزري «ثم إني أنا رأيتها كذلك (يعني رسم يا بنوم) في المصحف الكبير الشامي الكائن بمقصورة الجامع الأموي المعروف بالمصحف العثماني»[1].

و – لعلنا نلاحظ أن ابن الجزري يتحدث عن مصحفين: الأول هو المصحف الذي كان بمسجد الكوشك، وعبارة ابن الجزري في قوله «ويشير إليه بالمصحف الشامي» تُشكّك في كونه كذلك عنده، في حين أن عبارته عن المصحف الآخر حاسمة في وصفه بالشامي، وبالمصحف الكبير، وبأنه بمقصورة الجامع الأموي، وبأنه معروف بالمصحف الشامي. أما المصحف الأول فالرواية الشفوية أنه كان بمسجد الكوشك (الصغير)، ثم نقل إلى المشهد الشرقي الشمالي الذي يقال له مشهد علي. فهل مصحف مشهد علي هذا هو نفسه مصحف طبرية نُقل أولًا إلى مسجد الكوشك ثم نقل إلى الجامع الأموي؟

وهنا توضيح مطلوب: المتصوَّر أن الواقف متجهًا إلى القبلة في جامع دمشق – تكون يده اليسرى إلى الشرق. والمفروض أن مقصورة الإمام والخطيب التي وضع فيها المصحف الشامي تكون في منتصف الجانب القبلي أي الجنوبي من الجامع، فيكون مشهد علي الذي فيه المصحف المنقول من طبرية شرقيَّها كما قال ابن كثير وابن الجزري. ولا مفر من افتراض أن بعض المؤرخين الذين ذكرناهم خفي عليهم أن في الجامع الأموي مصحفين لا واحدًا.

ز – وجاء في شذرات الذهب عن وفيات (٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م) «وفيها (توفي) أبو الفضائل المنقذي أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني الدمشقي – خادم

---

(١) ينظر النشر لابن كثير تحـ سيد أحمد دراز ٦٤٠ (وقف حمزة وهشام).

مصحف مشهد علي بن الحسين روي عن ابن حسان .. وتوفي في ذي الحجة»[1].

ومن هذا علمنا أن مصحف الكوشك وهو مصحف مشهد علي بقي إلى تلك السنة، وله خادم، وأن المقصود علي بن الحسين رضي الله عنهما.

ح – وفي أخبار حريق الجامع الأموي (١٣١١هـ/ ١٨٩٣م) قال جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م) إن الحريق شمل المآثر الموجودة في الجامع حتى شمل المصحف العثماني الكبير. وقال مختار العظم «وفي هذه المرة احترق مصحف عثمان ﷺ برعانة الناس الذين اشتغلوا عنه بغيره. لكن محمد كرد علي (ت١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م) يرى أن المصحف المذكور ليس هو مصحف عثمان، إذ قال «وحرق فيه مصحف كبير بالخط الكوفي كان جيء به من مسجد عتيق في بصرى، وكان الناس يقولون إنه المصحف العثماني»[2] فهل يقصد العلامة محمد كرد علي أن الذي احترق هو مصحف مشهد علي وأن المصحف العثماني الكبير سلم من الحريق؟.

وأخيرًا يقول د. صبحي الصالح رحمه الله (ت١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) عن مصحف دمشق العثماني الذي في الجامع الأموي «ويميل بعض الباحثين إلى القول بأن هذا المصحف الشامي أمسى زمنًا في حوزة قياصرة الروس في دار الكتب في لينينجراد ثم نقل إلى إنجلتره. (وهذه المعلومة رجع فيها د. صبحي الصالح إلى شوفان Chauvin) بينما يرى آخرون أن هذا المصحف بقي في مسجد دمشق حتى احترق فيه ١٣١٠هـ (١٨٩٢م). (والمرجع: خطط الشام

---

(١) شذرات الذهب (دار الكتب العلمية مجـ٣ جـ٥/ ٤٣٠).

(٢) هذه الفقرة (ح) من كتاب القراءات وكبار القراء في الشام ٣٨.

٥/ ٢٧٩) وقد أضاف (الصالح) في نفس هذا التعليق قوله. «وقد ذكر لي الزميل يوسف العش (ت١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) أن القاضي عبد المحسن الأسطواني أخبره أنه قد رأى المصحف الشامي قبل احتراقه، وكان محفوظًا بالمقصورة، وله بيت خشب» اهـ[1].

٤ - مصحف بصرى:

بصرى مدينة عريقة من مدن سورية. فهي من أمصار الشام. ولم يمر بي أنه كان لها مصحف إلا في كلام مختار العظم الذي مر بنا في الكلام عن مصحف طبرية.

مصحف طشقند:

هذا المصحف نقل من (سمر قند - بتركستان) إلى طشقند - بأوزبكستان)، ولكن مصدره الذي خرج منه إلى (سمرقند) قيل فيه بأقوال:

أ - أن يكون من ذخائر المخطوطات التي نقلها إلى سمر قند تيمورلنك (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) لما اكتسح في حروبه أقاليم الخلافة العباسية (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م).

ب - أن يكون هدية من أحد سلاطين الترك إلى الطبيب الذي عالجه أو إلى الإمام النقشبندي عبيد الله أحرار الذي شفى الله ذلك السلطان التركي على يده فنقله الطبيب أو الإمام عبيد الله أحرار إلى سمرقند.

جـ - أن يكون هدية من الملك الظاهر بيبرس البندقداري (ت٦٧٦هـ/

---

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن د. صبحي الصالح ص٨٨.

١٢٧٧م) إلى الملك المغولي بركة خان (وهو معاصر لبيبرس) عندما أسلم بركة وراسل بيبرس. وعلى هذا الاحتمال الأخير يكون مصدر المصحف الطشقندي هو مصر، وعلى القولين (أ) و (ب) يكون مصدره الشام[١].

وتقول عنه الدكتورة عائشة عبد الرحمن:

«عاينته في مقره في (المتحف التاريخي لشعوب أوزباكستان) بعاصمتها طشقند، عندما سافرت إليها في أكتوبر ١٩٥٨م - ١٣٧٧هـ، عضوًا في وفد الجمهورية العربية المتحدة، إلى المؤتمر الأول للكتاب الآسيويين والإفريقيين».

«لم يؤذن لي في لمس المصحف، وهو مكتوب بالخط الكوفي القديم، ويرجح أن يكون من خط القرن الأول للهجرة أو أوائل القرن الثاني. وعليه مهابة العراقة، وجلال موضعه لدى مسلمي آسيا الوسطى. وعليه آثار بقع لا يساور المسلمين هناك ريب في أنها من دم الشهيد عثمان ﷺ، يوم الدار سنة ٣٥هـ.

ثم تقول د. عائشة. «وفي سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م غزت قوات قيصر روسيا إقليم تركستان. وكان من مهام الحملة نقل ذخائر مخطوطاتها الإسلامية إلى «بطرسبورج». وفي هذه الذخائر مصحف سيدنا عثمان ﷺ، وقد تولى القائد (الجنرال فون كارفمان) شخصيًا مهمة نقله، مما يشهد بتوجيه حركته لخدمة مآرب الاستشراق الاستعماري، وإن كان قائد الحملة قد صرح وقتئذ بأن (هذا المصحف ليست لديه قيمة عند أهله، بل هو مجرد أثر يخص أمراء بخارى، وقد لبث لديهم مئات سنين دون أن يتاح لأحد قراءته أو الانتفاع به) بنص الترجمة

---

(١) هذا الفقرة ملخصة من مقال د. عائشة في أهرام ٢١/ ٣/ ١٩٩٣.

العربية للمؤرخ الرمزي[1]، وهو من شهود المرحلة».

«وأتابع (د. عائشة) معه مسار المصحف الشريف، حيث كان في انتظاره مع سائر الذخائر المحمولة إلى بطرسبورج، لجان من الخبراء عكفوا على ترميمه وفحصه، وكان قد وصل من خزائن تركستان الإسلامية في حالة مثيرة للأسف: فمن بين صفحاته الثلاث والخمسين وثلاث مئة لم تسلم منه سوى خمس عشرة صفحة من عبث الأرضة ودواعي البلى .. وبقي المصحف الكريم في الكتب خانة الإمبراطورية في بطرسبورج نحوًا من نصف قرن، ثم استجاب الزعيم «لينين» لرغبة مسلمي آسيا الوسطى فنقل المصحف الثمين المبارك سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م من لينينجراد (= بطرسبورج قبل ثورة أكتوبر سنة ١٩١٩م) – إلى طشقند عاصمة أوزباكستان، حيث أودع في (المتحف التاريخي لشعوب أوزباكستان) في علبة من الخشب الثمين داخل صندوق من فولاذ، وإلى جانبه إناء من زجاج مملوء بسائل كيميائي للوقاية من الحشرات. وإلى عهدي (د. عائشة) بمشاهدته هناك في أكتوبر سنة (١٩٥٨م = ١٣٧٨هـ)، لم يكن مباحًا للزائرين لمس المخطوط فضلًا عن النظر فيه وفحصه، وإنما أُعِدَّت منه نسخ مصورة وزعت على المراكز الإسلامية، مع نسخ منها مصورة في متحف طشقند..

---

(١) هو م.م. الرمزي (ولعل هذا نفسه اسم رمزي) وهو صاحب كتاب (تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وملوك التتار) وهو تاريخ حافل لعصر اغتصاب الروس لممالك آسيا الوسطى الإسلامية. طبع في أورنبرج سنة ١٩٠٧ ومنه استُقِي الخبر عن هدية السلطان بيبرس للسلطان بركة. وفيه وصف مفصل للمصحف الهدية (ينظر مقال د. عائشة في أهرام ٢١/ ٣/ ١٩٩٣).

المصحف الأندلسي:

انتهت دولة بني أمية في الشرق وكانت عاصمتها (دمشق) سنة ١٣٢هـ وكانت قد بدأت بالصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٠هـ (عام الجماعة). وفي عهد الدولة الأموية فتح الأندلس طارق بن زياد سنة ٩٢هـ وبعد سقوط الدولة الأموية في المشرق بست سنوات أي سنة ١٣٨هـ دخل الأندلس صقر قريش (عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية) ناجيًا من مصارع آله بالمشرق. فأقام للإسلام في الأندلس دولة عزيزة، وامتدت خلافته ثلاثًا وثلاثين سنة (١٣٨هـ - ١٧٢هـ) وضع فيها قواعد دولة الإسلام الكبرى هناك. وقد أسس مدينة قرطبة حاضرة الإسلام الكبرى هناك، ووضع في جامعها مصحفًا كريمًا، وثّق العلماء هناك بكل سبيل نسبته إلى سيدنا عثمان ﷺ وأنه أحد المصاحف الأربعة (كذا) التي بعث بها عثمان إلى الأمصار. وقد ظل هذا المصحف في جامع قرطبة حتى نهاية دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين، حيث نقل من قرطبة إلى مراكش قاعدة ملكهم. وبنى له **عبد المؤمن** بن علي الكومي مؤسس دولة الموحدين (٥٢٦ - ٥٥٨هـ = ١١٣١ - ١١٦٢م) جامع الكُتبيين بمراكش. لكنه سَنّ اصطحاب الخليفة هذا المصحف في سفرياته تبركًا، إلى أن حمله المعتضد بالله حفيد يوسف بن عبد المؤمن متوجهًا إلى تلمسان آخر سنة (٦٤٥هـ = ١٢٤٧م) فقتل قريبًا منها. ونهبت ذخائره ومنها المصحف الذخيرة. ولما استولى أبو الحسن المريني على أفريقية وعرف أن المصحف في خزائن أصحاب تلمسان، وافتتحها (٧٣٧هـ = ١٣٣٦م)، أصبح المصحف في حوزته فانتسخ منه ثلاث نسخ، وجمع

القراء لضبطها وتهذيبها، وأوقف على كل من الحرم المكي، والمدني وبيت المقدس واحدة منها، وأوقف الضياع بمصر والشرق على القراء في تلك النسخ. وفي موقعة جزيرة طريف سنة (٧٤٣هـ = ١٣٤٢م) وقع المصحف بيد البرتغال، فاحتال أبو الحسن حتى استرده، لكنه ظل يصحبه في أسفاره. وبعد استيلائه على أفريقية (تونس) قفل راجعًا بحرًا إلى المغرب فغرقت مراكبه وفيها ذلك المصحف الأصلي الذي كان يُدْعَى العثماني الشامي. وكان ذلك آخر العهد به[١].

أما عن حقيقة كون ذلك المصحف، هو المصحف الشامي أي الذي كتب بأمر سيدنا عثمان وأرسل إلى الشام في عهده ﷺ فقد قال باحتمال أن يكون ذلك هو المصحف العثماني الشامي «ابن بشكوال» في (كتاب الصلة) ولكن رده ابن عبد الملك المراكشي، من أئمة هذا الشأن بقول «أبي القاسم التجيبي السبتي»: (... أما الشامي فهو باق في المقصورة بجامع دمشق، وقد عاينته سنة سبع وخمسين وستمائة (= ١٢٥٨م)، كما عاينت المكي ..) ونقل ذلك أبو العباس الناصري في تاريخه الجامع لدول المغرب الأقصى[٢] انتهى كلام الدكتورة عائشة.

وأقول أنا إن قول أبي القاسم زاخر بمقومات القبول. فما كانت ظروف عبد الرحمن الداخل تتيح له حمل مصحف كبير معه وهو هارب من القتل، ولا كانت المجازفة بتهريبه من نطاق دولة العباسيين في فورة قيامها هيّنة أو يخفى أمرها أمدًا طويلًا. ثم إن بقاء المصحف المدعي نقله من الشام يحسم ادعاء أن الأندلسي هو الشامي، إلا

---

(١) كل هذه الفصلة عن المصحف الأندلسي ملخصة من مقالين للدكتورة بنت الشاطئ في جريدة الأهرام بتاريخ ١٨، ١٩/ ٣/ ١٩٩٣م.

(٢) من مقال للدكتورة عائشة عبد الرحمن الأهرام ٢١/ ٣/ ١٩٩٣م.

إذا قيل بتعدد المصاحف الشامية[1] فيبقى إثبات أن الأندلسي أحدها.

وخلاصة ما ذكرناه عن المصاحف العثمانية الأمهات:

أ- أن المصحف (الأندلسي) فقد غرقًا.

ب- أن هناك مصحفًا في طشقند عاصمة أوزباكستان ربما يكون أصله أحد المصاحف الشامية، أو مصحف المدينة المنورة، أو المصحف الذي أرسله بيبرس إلى بركة خان. وبيان أصل هذا المصحف يحتاج تحقيقًا[2].

جـ - أن مصحف مسجد سيدنا الحسين بالقاهرة هو في خزانة خاصة في المسجد، ومصحف جامع عمرو بن العاص، ومصحف المدرسة الفاضلية في متحف الآثار الإسلامية (دار الكتب - باب الخلق - القاهرة) ويحتاج بيان نسبتها إلى مصاحف عثمان ﷺ بحوثًا علمية حاسمة.

د - مصحف مجمع اللغة العربية سلم إليه حديثًا. وهو مع المصاحف المذكورة في (جـ) يحتاج دراسة علمية لبيان أصولها.

هـ- مصحف بهنسا ما حقيقته؟ وهل آل إلى متحف الآثار الإسلامية.

و- مصحف مكة المكرمة يحتاج تحقيقًا لبيان مصيره. والله المستعان.

ز- مصحف البحرين يحتاج بحثًا لبيان مصيره أيضًا.

ح - مصحف اليمن يحتاج تحقيقًا علميًا لبيان صحة نسبته إلى المصاحف العثمانية أو مدى احتمالية ذلك على الأقل.

---

(١) بتصرف يسير للاختصار من مقال الدكتورة عائشة عبد الرحمن في جريدة الأهرام ١٧/٣/١٩٩٣.

(٢) ينظر ما كتب هنا عن مصحف دمشق.

وبعد، فهذا ما بلغه جهد الفقير إلى الله تعالى مؤلف هذا الكتاب بشأن المصاحف العثمانية. وأهيب بمن لديه خبر أو جهد يمكّن من كشف مصير هذه المصاحف أن يبذله، وبخاصة عن مصحف مكة المكرمة ومصحف المدينة المنورة ومصحف البحرين. كما أرجو أن يقيض الله تعالى من يقدم دراسة تحسم الأمر في بيان حقيقة ما لم يحسم أمره من هذه المصاحف. والله الموفق.



الخاتمة

بهذا الذي قدمناه في هذا الكتاب المبارك نكون قد أبرزنا سبيلين علميين لتواتر نقل النص القرآني الكريم من رسول الله محمد ﷺ إلى أمته:

أولهما: سبيل النقل الشفاهي (أ) تلقيًا منه ﷺ بواسطة طبقة الاثنى عشر صحابيا على الأقل، وهم رءوسٌ لأَسْناد أئمة القرّاء العشرة الذين وصلت سلاسل الإسناد إليهم تلقيًا – مرورًا بطبقة الستة والعشرين. ثم اعتمدت الأمة قراءاتهم. وجدير بالذكر هنا أن الأقوال في عدد الذين يتحقق بهم تواتر النقل كثيرة فقيل خمسة في كل طبقة، وقيل عشرة، وقيل اثنا عشر.. ورفض بعض الأئمة التحديد بعدد(١). والمهم لنا هنا أن العدد – عند القائلين به متحقق تحققًا بَيّنًا متينًا، وبخاصة أنهم هنا من أزكى البشر على الإطلاق، لأنهم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

(ب) ثم بواسطة أربع عشرة صورة من صور التبليغ الشفاهي تسع منها كانت سماعًا منه ﷺ مباشرة.

(ج) ثم بواسطة الذين حفظوا القرآن الكريم كله أو جله في عهد النبي ﷺ وقد عينًّا منهم أكثر من عشرين صحابيًّا.

(د) ثم بواسطة مقرئي العامة والأفراد.

(هـ)ثم بواسطة استفاضة قراءة القرآن الكريم في المجتمع الإسلامي.

---

(١) ينظر غاية الوصول شرح لب الأصول للشيخ زكريا الأنصاري (عيسى الحلبي) ٩٥ – ٩٦. وينظر كذلك المستصفى للغزالي (الأميرية) ١/ ١٣٤ – ١٣٩، والمحصول للرازي (دار الكتب العلمية) ٢/ ١٣٢ – ١٣٣. وتقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزيّ (دار الأقصى) ١١٩ – ١٢٠.

(و) وأخيرًا بواسطة أئمة القراءات العشر التي اعتمدتها الأمة.

هذا، وكل من (ب)، (ج)، (د)، (هـ) يحصل به نوع من تواتر النقل. وإنما نوهنا بـ(أ) فحسب، لانتظام النقل فيها على طبقات آخرها (و).

وثانيهما: سبيل نقل النص الكريم خطيًّا (أ) بإملائه ﷺ القرآن على كُتّابه ﷺ ليدونوه في الرقاع والأكتاف والعسب واللخاف.

(ب) بجمعه في عهد أبي بكر جمعًا موثقًا بالشهود في صحف بإشراف زيد بن ثابت وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(ج) ثم بنَسْخه من صحف أبي بكر إلى مصاحف وزعت على أمصار الدولة في عهد عثمان بن عفان وبإشراف زيد بن ثابت أيضًا رضي الله عنهما.

(د) وتتبعنا قضايا هذا النسخ بالتفصيل من توثيق كونه نَسخًا لا إنشاء، إلى كل تفاصيل لجنة نسخ المصاحف العثمانية حتى إتمام عملها.

(هـ)عقدنا فصلاً لتناول مسائل متعلقة بهذه المصاحف العثمانية: الحرف الذي كتبت به، وما يعني، وعدد المصاحف التي كتبت، والجهات التي أرسلت إليها.

(و) وفصلًا خامسًا لتتبع مسيرة كتابة المصحف، وفصلًا عن الرسم العثماني.

(ز) وفصلًا أخيرًا لبحث مصائر كل من المصاحف العثمانية التي وزعت على الأمصار.

وبهذا كله فصّلنا أمر وثاقة نقل النص القرآني الكريم من رسول الله ﷺ إلى أمته توثيقًا علميًّا بسبيلين شفاهي وخطّيّ.

والحمد لله رب العالمين – وصدق الله وعده ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧].

المراجع

١) الإبانة عن معاني القراءات، للإمام مكي بن أبي طالب حمّوش القيسي (٣٥٥ – ٤٣٧هـ)، تح د. عبدالفتاح شلبي - مكتبة نهضة مصر بالفجالة (مقدمة المحقق ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).

٢) إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي، الإمام عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ)، تح إبراهيم عطوة - مصطفى البابي الحلبي (تاريخ تصدير المحقق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

٣) أبو السائب المخزومي أخباره ونقداته (من نقاد النسيب في الحجاز)، د. إبراهيم صبري راشد، التركي بطنطا (١٤٣٥هـ/ ١٩٩٤م).

٤) إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر، للإمام أحمد بن عبدالغني الدمياطي الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ)، رواه وصححه على محمد الضباع - دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان (د.ت).

٥) الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١)، وبهامشه: إعجاز القرآن للقاضي أبوبكر الباقلاني - عالم الكتب. بيروت (د.ت).

٦) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير (أبي الحسن علي بن محمد) الجزري (٥٥٥ – ٦٣٠هـ) - (الشعب) ١٩٧٠م.

٧) الأعلام قاموس تراجم، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين. بيروت ط٤ – ١٩٧٩م.

٨) الإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش (أحمد بن علي بن خلف الأنصاري ت٥٤٠هـ)، تح د. عبدالمجيد قطامش، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ط١ - (١٤٠٣هـ).

٩) إنباه الرواه على أنباه النحاه، لجمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، مؤسسة الكتاب الثقافية بيروت. ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٠) الأهرام (جريدة) (ينظر الأعداد المقصودة في الفصل السابع من الباب الثاني من هذا الكتاب).

١١) البحر المحيط (تفسير)، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ت٧٤٥هـ، تح الشيخ عادل عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

١٢) تأويل مشكل القرآن، للإمام أبي محمد عبدالله بن مسلم (بن قتيبة) (٢١٣ – ٢٧٦هـ)، تح السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢ (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

١٣) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٥٤ – ٣١٠هـ)، تح محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٣٨٧م/ ١٩٦٧هـ.

١٤) تاريخ القرآن، د. عبدالصبور شاهين، دار الاعتصام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٥) تاريخ القرآن، وغرائب رسمه، وحكمه، للشيخ محمد طاهر الكردي، ط٢.

١٦) تحقيقات في التلقي والأداء، د. محمد حسن جبل، ط٤، التركي بطنطا ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

١٧) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للإمام جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تح د. محمد العوضي، دار البيان العربي ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٨) التذكار في أفضل الأذكار، للقرطبي (أبي عبدالله محمد بن أحمد ت ٧٦١هـ)، تح ثروت محمد نافع، دار التوحيد – القاهرة ١٩٧٩م.

١٩) التذكرة في القراءات، للإمام أبي الحسن ظاهر بن غلبون (ت ٣٩٩هـ)، تح د. عبدالفتاح بحيري إبراهيم، ط٢ – الزهراء للإعلام العربي ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٢٠) تفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٤ – ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٢١) تفسير ابن عطيه (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، لأبي محمد بن عبدالحق بن عطية الأندلسي (١٤٨١ – ٥٤١/ ٥٤٦هـ)، تحقيق الرحالي الفاروق وأصحابه – طبع على نفقة الشيخ خليفة بن محمد آل ثان أمير دولة قطر ط١ – ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م. وهناك نشرات أخرى بتحقيقات أخرى لهذا التفسير.

٢٢) تفسير الطبري (جامع البيان عن وجوه تأويل القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، تح. محمود شاكر و أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، وتح د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١ عالم الكتب ١٤٢٤ / ٢٠٠٣م.

٢٣) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ط٣ عن طبعة دار الكتب المصرية – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٢٤) تقريب الوصول إلى علم الأصول، للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي الغرناطي المالكي (ت ٧٤١هـ)، تح محمد علي فركوس – دار الأقصى (تاريخ مقدمة المحقق ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

٢٥) تهذيب الأسماء واللغات، للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت (تصوير عن طبعة سابقة) د.ت.

٢٦) تهذيب التهذيب، للإمام الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) ط١ – مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكن – ١٣٢٥هـ.

٢٧) التوقيف على مهمات التعاريف (معجم لغوي مصطلحي)، تأليف محمد عبدالرءوف المناوي (٩٥٢ – ١٠٣١هـ)، تح د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١ – ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٨) التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، عني بتصحيحه أوتو برتزل، دار الكتاب العربي ط٢ (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٢٩) الجامع الصحيح، للإمام الترمذي (أبي عيسى محمد بن عيسى ت ٢٧٩هـ)، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠) الجامع الكبير (جمع الجوامع)، للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٨٤٩ – ٩١١هـ) نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.ت).

٣١) جمال القراء وكمال الإقراء، للإمام علم الدين السخاوي علي بن محمد (ت ٦٤٣هـ)، تح د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط١ – ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٣٢) جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد، للإمام إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢هـ)، مخطوط مصور عن نسخة مكتبة كلية القرآن الكريم. بطنطا.

٣٣) حاشية محيي الدين شيخ زاده (ت ٩٥١هـ) على تفسير القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، دار صادر، بيروت (د. ت).

٣٤) حديث الأحرف السبعة، د. محمد حسن حسن جبل (تحت الطبع).

٣٥) حذف من نسب قريش (كتاب) لمؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥هـ) نشره د. صلاح الدين المنجد (كنوز العرب) دار العروبة.

٣٦) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية.

٣٧) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٢٢ – ٣٩٢هـ)، تح الشيخ محمد علي النجار – دار الكتاب العربي (تاريخ التصدير ١٣٧١ / ١٩٥٢م).

٣٨) خصائص لهجتي تميم وقريش، د. الموافي الرفاعي البيلي، مطبعة السعادة، ط١ – ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٣٩) دراسة في مصادر الأدب، د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، مصر ١٩٨٦م.

٤٠) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٤١) دفاع عن القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، البربري للطباعة الحديثة ببسيون ٢٠٠٠م.

٤٢) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، د. غانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ط١ (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٤٣) رسم المصحف ونقطه، د. عبدالحيّ حسين الفرماوي، المكتبة المكية، دارفور المكتبات ط١ - (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٤٤) الرياض النضرة في مناقب العشرة، للمحب الطبري (ت ٦٩٤)، تح د. حمزة النشرتي وآخرين، المكتبة القيمة / القاهرة. وهناك طبعة أسبق دون هذا التحقيق (المنار).

٤٥) السبعة (كتاب) في القراءات، للإمام أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس (بن مجاهد) (٢٤٥ – ٣٢٤هـ)، تح د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف بمصر (تاريخ المقدمة ١٤٠٠هـ).

٤٦) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ)، تح د. مصطفى عبدالواحد وآخرين، لجنة أحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وزارة الأوقاف، القاهرة (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

٤٧) سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٨٤هـ/ ١٣٧٤م)، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط١ (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٤٨) السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق الأساتذة: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.

٤٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام أبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (مصورة عن طبعة قديمة د. ت).

٥٠) شرح الرضى (شرح شافية ابن الحاجب)، للشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ) مع شرح شواهده للعالم الجليل عبدالقادر البغدادي، تح الأساتذة محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٥١) شرح السنة، للبغوي، تح زهير الشاويش وصاحبه.

٥٢) صحيح البخاري (الجامع الصحيح: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ – ٢٥٦هـ) عُنى بإخراجه وخدمته محمد زهير بن ناصر الناصر. دار المنهاج، دار طوق النجاة. ط٢ – ١٤٢٩هـ.

٥٣) صحيح مسلم بشرح النووي. المطبعة المصرية ومكتبتها د.ت.

٥٤) الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد الهاشمي البصري المعروف بابن سعد (١٦٨ – ٢٣٠هـ)، تح محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية ط٢ – ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٥٥) علم القراءات في اليمن منذ صدر الإسلام إلى القرن الثامن الهجري، د. عثمان عبدالله علي المنصوري، إصدارات جامعة صنعاء لعام ٢٠٠٤م رقم٩.

٥٦) غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، للإمام أبي العلاء الحسن ابن أحمد الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ)، تح. د. أشرف محمد فؤاد طلعت، مكتبة التوفيق الإسلامية ط. ٢ (١٤١٨ / ١٩٩٨).

٥٧) غاية النهاية في طبقات القراء، للإمام محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣هـ)، عنى بنشره برجستراسر (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م).

٥٨) غاية الوصول شرح لب الأصول، كلاهما للشيخ زكريا الأنصاري (٨٢٣ - ٩٢٦) (عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر د.ت).

٥٩) فتح الباري بشرح البخاري، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني. المعروف بابن حجر (٧٧٣ – ٨٥٢هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي (١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م).

٦٠) فتح القدير (الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير)، للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء – المنصورة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٦١) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين الدقائق الخفية، للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل (وبالهامش كتابان)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٢) فضائل القرآن، للإمام أبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤هـ)، تح وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٦٣) فضائل القرآن، للإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر (بن كثير) (٧٠٠ – ٧٧٤هـ)، تح أبي إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١ – ١٤١٦هـ.

٦٤) الفهرست، لابن النديم (تح د. محمد عوني، د. إيمان جلال)، الهيئة العامة لقصور الثقافة (الذخائر ١٤٩). وهناك نشرة أسبق من هذه دار المعرفة بيروت د. ت، ونشرة ثالثة أسبق أيضًا، دار قطري بن الفجاءة ١٩٨٥م.

٦٥) القراءات وكبار القراء في الشام، محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، سوريا.

٦٦) كشاف اصطلاحات الفنون، للعلامة محمد علي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)،

وضع حواشيه أحمد بسج، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
٦٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمد بن عمر الزمخشري (٤٦٧ – ٥٣٨هـ) مع أربع حواشٍ، رتبه وضبطه محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت ط١ – ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م (وله نشرات أخر كثيرة).
٦٨) لطائف الإشارات لفنون القراءات، للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المصري، تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان، و د. عبدالصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
٦٩) لغة قريش، مختار سيدي الغوث – النادي الأدبي بالرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٧٠) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط٢٤ (يناير ٢٠٠٠م).
٧١) المختصر في مرسوم المصحف الكريم، لأبي الطاهر إسماعيل بن ظافر العقيلي (ت ٦٢٣)، تح د. غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، ط١ – ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
٧٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، للإمام شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي ت (٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)، تح طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).
٧٣) المصاحف (كتاب)، لأبي بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني المعروف بابن أبي داود، تح د. محب الدين عبدالسبحان واعظ، دار البشائر الإسلامية ط٢ (١٤٢٣ / ٢٠٠٢م).

٧٤) مصادر الشعر الجاهلي، د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف – مصر ١٩٦٦م.
٧٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ).
٧٦) مصنف عبدالرازق (وهو الإمام أبو بكر عبدالرازق بن همام الصنعاني) المكتب الإسلامي – بيروت.
٧٧) معجم الأدباء، لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٣م.
٧٨) معرفة القراء الكبار، للإمام محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٧٩) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، للإمام محمد بن عمر الفخر الرازي ٥٤٤ – ٦٠٤هـ)، دار الغد العربي ط١ ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
٨٠) مقدمة كتاب المباني (ضمن: مقدمتان في علوم القرآن)، المستشرق آرثر جفري، ط٢، صححها عبدالله إسماعيل الصاوي، مكتبة الخانجي (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).
٨١) المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار – مع كتاب النقط، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الدالي (ت ٤٤٤هـ)، تح محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق (مقدمة ط٢ – ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).
٨٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
٨٣) المنتهى، للإمام أبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي (٣٢٢ – ٤٠٨هـ)، تح د. محمد شفاعت رباني – كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية – بالمدينة المنورة (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٨٤) المنجد في اللغة والأعلام – معجم، دار الشروق، بيروت – ط٢٥ – مقدمة ط٢١ – ١٩٧٣م.

٨٥) نسب قريش (كتاب) لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (ت ٢٣٦هـ) عنى بنشره إ. ليفي بروفنسال ط٢ دار المعارف بمصر ١٩٧٦م.

٨٦) النشر في القراءات العشر، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ت (٨٣٣هـ)، أشرف على تصحيحه ومراجعته الشيخ محمد علي الضباع شيخ عموم المقارئ المصرية – المكتبة التجارية الكبرى بمصر د. ت. وهناك تحقيق آخر للنشر حصل به د. سيد أحمد دراز علي درجة الدكتوراه. ولم ينشر بعد.

٨٧) الوجيز في فضائل الكتاب العزيز، للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد بن فرج القرطبي، تح د. علاء الدين علي رضا – دار الحديث – القاهرة (د. ت).

٨٨) الوسيلة إلى كشف العقيلة، للإمام علم الدين على بين محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، تح د. مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، ط٣ ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.



مسرد محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الباب الأول

النقل الشفاهي لنص القرآن الكريم من النبي ﷺ

إلى أمته مسرد فصل الباب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني

وثاقة نقل النص الكريم بالتدوين الخطي

الموضوع	الصفحة
● **الفصل الأول**: تدوين النص القرآن الكريم في عهد ﷺ	(١٨٦-٢١٠)
أولاً: في العهد المكي	١٨٦
إملاء النص الكريم وكتابه في العهد المكي	١٨٩
ثانيًا: في العهد المدني	١٩٤
كتاب النص الكريم في العهد المدني	١٩٤
فورية تدوين القرآن الكريم كتابة	١٩٦
شواهد فورية التدوين	١٩٧
قيمة فورية تسجيل الوحي القرآني	٢٠٢
المعارضة (: المراجعة) أي التحقق من صحة ما كتب	٢٠٥
تحديد موضع الآية عند نزولها	٢٠٧
● **الفصل الثاني**: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه	(٢١١-٢٣٢)
الدافع إلى الجمع والمشورة به ص٢١٢ القرار ولجنة جمع المصحف ص٢١٢	
أهلية اللجنة لما كلفت به ص٢١٤ تقدير زيد المسئولية ص٢١٥	
عبارة التكليف وخطة العمل ص٢١٦	
الإعلان على التعاون مع اللجنة ص٢١٨	
المملي والكاتب في هذه الجمعة البكرية صورة التنفيذ ص٢١٨	
المعارضة (: المراجعة) ص٢٢	
ترتيب الآيات في سورها في الجمع البكري ص٢٢٥	
ترتيب السور في المصحف (حاشية عن المادة التي كتب فيها القرآن في عهد أبي بكر)	٢٢٨
● **الفصل الثالث**: نسخ القرآن الكريم في مصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه	(٢٣٣-٢٦٨)
مشاورة عثمان الصحابة في نسخ مصاحف موحدة للأمصار لتوحيد القراءة	٢٣٧
المصاحف العثمانية كتبت انتساخا من صحف أبي بكر لا من الرقاع وما إليها	٢٣٩

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

